وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

بواعث الشعر في شعر الشواعر الاندلسيات

(دراسة في الموضوع والفن)

رسالة تقدّمت بها الطالبة

رئام شاكر هادي التميمي

إلى مجلس كليّة الآداب - جامعة القادسية وهي جزء من متطلّبات نيل

شهادة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها/أدب

إشراف

الأستاذ الدكتور

ياسر علي عبد الخالدي

١٤٤٤هـ ٢٠٢٣م

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﷺ
إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

صدق الله العلي العظيم

[البقرة: ٣٢]

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة، وأعضاءها أننا اطلعنا على الرسالة الماجستير الموسومة **(بواعث الشعر في شعر الشواعر الاندلسيات دراسة في الموضوع والفن)** للطالبة **(رنام شاكر هادي)**، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وما له علاقة بها، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، فرع الأدب و بتقدير(امتياز).

الإمضاء :
الاسم : أ.د. ماضل عبود التميمي
التاريخ : ١٩/٣/٢٠٢٣

(رئيساً)

الإمضاء :
الاسم : أ.م.د فاطمة كبيد مطلوب
التاريخ : ١٩/٣/٢٠٢٣

(عضواً)

الإمضاء :
الاسم : أ.م.د. زكي عبد الرزاق
التاريخ : ٢٢/٣/٢٠٢٣

(عضواً)

الإمضاء :
الاسم : أ.د. [illegible]
التاريخ : ٢/٤/٢٠٢٣

(عضواً ومشرفاً)

صدقت الرسالة من قبل مجلس كلية الآداب- جامعة القادسية

الإمضاء :

أ. د. ياسر علي عبد الخالدي

عميد كلية الآداب/ جامعة القادسية

التاريخ : / / ٢٠٢٣

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة، وأعضاءها أننا اطّلعنا على الرسالة الماجستير الموسومة **(بواعث الشعر في شعر الشواعر الاندلسيات دراسة في الموضوع والفن)** للطالبة **(رنام شاكر هادي)**، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وما له علاقة بها، ونرى أنّها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، فرع الأدب و بتقدير(امتياز).

الإمضاء :
الاسم : أ.د. ماضي سعود التميمي
التاريخ : ١٩/٣/٢٠٢٣

(رئيساً)

الإمضاء :
الاسم : أ.م.د فاطمة كبيد عطوان
التاريخ : ١٩/٣/٢٠٢٣

(عضواً)

الإمضاء :
الاسم : أ.م.د. زكي عباس راضي
التاريخ : ٢٢/٣/٢٠٢٣

(عضواً)

الإمضاء :
الاسم : أ.د. وسام كريم حميد
التاريخ : ٢/٤/٢٠٢٣

(عضواً ومشرفاً)

صدقت الرسالة من قبل مجلس كلية الآداب- جامعة القادسية

الإمضاء :
أ. د. ياسر علي عبد الخالدي
عميد كلية الآداب/ جامعة القادسية
التاريخ : / / ٢٠٢٣

الإهداء

إلى الذي تمنيت يروي فرحتي
الى الفيض الذي ارتوت منه ملامحي
ومنفذ العلم الذي عَلمني
ولكونه تضاريس حياتي
حباً وبراً ..... والدي رحمه الله

إلى بسمة الصبر والى يقين المواجهة
الى من تعادل بثمارها وعطائها النخيل الباسقات
ثناءاً وجميلاً ..... **والدتي**

الى سندي ورفيق دربي امتناناً و شكراً ..... **زوجي**
الى فلذات كبدي لأكون لهما فخراً وعزاً ..... (يزن ، الحسن)
الى اخـوتي وأخـواتي مشاركـةً وإحسـاناً

أهدي اليكم ثمرة جهدي المتواضع

(رئـام)

قال تعالى:﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾[النمل:١٩]

لله الحمد من قبل ومن بعد...

وبعد أن أنهيت ما حاولت جاهدة أن أكمل به مشواري الذي رسمه ليّ والدي ((رحمه الله)) أتقدم بجزيل شكري وصادق عرفاني الى استاذي **(أ. د. ياسر علي عبد الخالدي)** الذي كان له فضل الاشراف على هذه الدراسة، فقد أجزل لي من فيض علمه، وغمرني بجميل إرشاده وتوجيهه، يعجز لساني وقلمي عن شكره، وليس له مني إلاّ الدعاء علنا وسرا بالتوفيق والسداد فأسأل الله أن يجزيه خيرا ويجعله ذخرا لخدمة لغة القرآن، وإلى جميع الأساتذة في قسم اللغة العربية بجامعة القادسية–كلية الآداب وأخصّ بالذكر منهم رئيس القسم الدكتور الفاضل **(أ. م. د. ثائر عبد الكريم البديري)**، وأساتيذي الذين تتلمذت على أيديهم في أثناء السنة التحضيرية، إذ نَموتُ فكرا، علما، وثقافةً من نَبعِهم الذي لا ينضب.

كما وأتقدم بريحانة شكري وامتناني لأستاذي **(أ. د. فاضل التميمي)** الذي وقف إلى جانبي مسانداً ومساعداً ومغدقاً علي بالمصادر المهمة في إثراء هذه الدراسة، كما اشكر كل من مر بطريقي وحاول مساعدتي ولو بكلمة رفعت من عزيمتي.

وحتماً الرحلة الدراسية لا تبدأ إلاّ بمعرفة من يكون بينهم سنداً وعوناً فالشكر كل الشكر لزميلتي التي فاقت عنوان الزمالة فكانت خير عون وأجمل سند رافقتني طيلة دراستي ادعو الله استمرارها لتكون مدى الحياة **(زينة علي عباس)**.

البــاحثة

المحتـويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ-ث
التمهيد مقدمات نظرية في البيئة الأندلسية وشواعر الأندلس وبواعث الشعر	١-٢٧
الفصل الأول: البـــواعث النفســـية	٢٨-٧٢
مدخل:	٢٨
المبحث الأول: الشكـــــوى	٣٦-٤٨
المبحث الثاني: الحـــــزن	٤٩-٦٠
المبحث الثالث: الغربة والحنين	٦١-٧٢
الفصل الثاني: البــواعث الاجتماعـية	٧٤-١١٠
مدخل:	٧٤
المبحث الأول: المديــح	٧٧-٨٩
المبحث الثاني: الهــجاء	٩٠-١٠٠
المبحث الثالث: العتاب والاعتذار	١٠١-١١٠
الفصل الثالث: بواعث الطبيعة وبواعث الاخرى	١١١-١٥٢
مدخل:	١١١
المبحث الأول: غزل الطبيعة	١١٤-١٢٥
المبحث الثاني: الوصف	١٢٦-١٣٦
بواعث أخرى:	١٣٧-١٤٢

١-الفخر	
٢-الغيرة	١٤٣-١٤٧
٣-الغناء	١٤٨-١٥٢
الخاتمة	١٥٣-١٥٥
ثبت المصادر والمراجع	١٥٦-١٧١
الملخص باللغة الانكليزية	A

المـقـدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلَ مَحْمُودٍ وآخِرَ مَعْبُودٍ وَأَقْرَبَ مَوْجُودٍ الْبَدِيءِ بِلَا مَعْلُومٍ لِأَزَلِيَّتِهِ وَلَا آخِرٍ لِأَوَّلِيَّتِهِ والْكَائِنِ قَبْلَ الْكَوْنِ بِغَيْرِ كِيَانٍ والْمَوْجُودِ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِغَيْرِ عِيَانٍ والْقَرِيبِ مِنْ كُلِّ نَجْوَى بِغَيْرِ تَدَانٍ...

والصلاةُ والسلامُ على خاتمِ الرسل محمد (ﷺ)، وعلى آلهِ وصَحبه ومن والاه.... **وبعـــد:**

فتقدمت السنون وتراكمت المعارف، وازداد الباحثون وتنوعت مشاربهم، ونبع المعرفة لازال ينتج الكثير من العلوم ويسبب الأسباب لانتهاج الباحثين سببا في اختيار عناوين لبحوثهم التي تدرس حالة معينة او ظاهرة ملازمة لمكان ما أو شخصٍ ما أو فلسفة معينة، ولكون الأدب الأندلسي من أهم المشارب شغل الباحثين والكتّاب، عبر التاريخ الطويل وتمخض عنه استنتاج أسباب عقلية علمية لانتهاج الشعراء والشواعر ذلك النوع لما يحمله من خصوصية فذة.

فقد عرف العرب باهتمامهم بالأدب إذ يعكس الواقع الذي يعيشه الأديب من خلال تجاربه وتفاعله مع عالمه الداخلي والخارجي، فالأدب يتطور بتطور الزمن على مر العصور، ويتغيّر بتغير الظروف السياسيّة والاجتماعيّة والطبيعيّة التي لها تأثير قوي في مساره لأنها ملاصقة الإنسان، فيبني الأديب واقعه المحيط به من خلال نتاجه الأدبي لأنه انعكاس لعالمه الخاص.

أما الشعر فذلك العالم المليء بالصور المترجمة للحياة الخاصة والعامة، اخذ يجري بالحياة كجريان الدم في عروق الانسان وهنا استرقنا لحاظاً من ذلك العالم لنتأمل بعض الشيء في الشعر الاندلسي الفن الشعري الذي نبع من الاندلس، فأبدع شعراؤه في التعبير عن مكنوناتهم الداخلية من انفعالات نفسية وأحاسيس ومشاعر حتى أن العوامل السياسيّة والاجتماعيّة والطبيعيّة كانت عبارة عن بواعث نفسيّة اشتغلت في إثارة شجون الشعراء وتحريك انفعالاتهم لكتابة الشعر لاسيما الشواعر في العصر الاندلسي.

وجاءت هذه الرسالة "**بواعث الشعر في شعر الشواعر الاندلسيات دراسة في الموضوع والفن**" للكشف عن ابداع الشواعر الاندلسيات والبواعث التي دفعتهن لقول الشعر ،واكتشاف الملامح الإبداعية في شعرهن ،وقدرتهن اللغوية التي تميزن بها عن غيرهن ،تتجلى فيه المخيلة وتتضح فيه صناعة الشعر، فقد فاقت اقرانها في بيئات الشعر العربية بالانفتاح الكبير على معطيات محيطها في البوح و التعبير عن

الذات، فكانت الأجرأ في تناول موضوعات الشعر والأقدر على تنفيس ما بخلجاتها على هيئأة صور شعرية بليغة وصفت بها واقعها وحياتها من خلال التجارب الصادقة التي عاشتها في تلك المدة.

وقد أفادت الدراسة من دراسات سبقتها وكان لها فضل في الاطلاع على المصادر والمراجع التي تتعلق بهذا الموضوع وهي على قسمين:

القسم الأول: الدراسات التي تناولت البواعث في الشعر:

-دراسة ليلى نعيم عطية الخفاجي: البواعث النفسية في شعر فرسان العرب (دراسة نفسية تحليلية)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-دراسة شافية هلال: البواعث النفسية في شعر العبيد: دراسة نفسية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج٣١، ع١ ،٢٠١٧م.

-دراسة عبير سليمان عطية عساف الدليمي: البواعث النفسية وأثرها في المعنى الشعري الاندلسي (٦٣٥_٨٩٧هـ) عصر بني الأحمر انموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الانبار، كلية الآداب ،١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.

اما **القسم الثاني:** فكان الدراسات التي تحدثت عن الشواعر الاندلسيات:

-دراسة لـ (فوزية عبد الله العقيلي) بعنوان: الرؤية الذاتية في شعر المرأة الاندلسية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ،١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

-دراسة لـ (أوراس ثامر محمد الوادي) بعنوان: صورة الرجل في شعر الشواعر الاندلسيات _دراسة موضوعية فنية_، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية -ابن رشد ،١٤٢٦-٢٠٠٥م.

-دراسة لـ (صباح فارس احمد الجحيشي) بعنوان: الهجر والوصل في شعر المرأة الاندلسية، جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية ،١٤٤٠هـ ٢٠١٩م.

-دراسة لـ (عامر يوسف محمد مصري): الشواعر الاندلسيات ودورهن في نهضة الشعر الاندلسي (دراسة أدبية نقدية)، أطروحة دكتوراه، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات ،٢٠٢٠م

ومن الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة هي إنَّ النتاجات الشعرية للشواعر الاندلسيات ليست بالكثيرة مما جعلها تكون عائقا كبيراً لذا اقتصرت الدراسة على دراسة "**ديوان شواعر الاندلس**" للدكتورة **واقده يوسف كريم** لأنه قد جمع وتم تحقيقه من قبلها، وكذلك قلة المصادر والمراجع التي تروي اخبار النساء الاندلسيات أو أن بعض المصادر لم تزخر بإشباع للحياة الاجتماعية للشواعر؛ لأن تلك المصادر قد حصر اهتمامها ببعض الشواعر من دون الأخرى.

واقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، مع عدم إغفال بقية المناهج ومنها المنهج النفسي والاجتماعي في بيان بواعث الشعر من خلال الانفعالات والدوافع التي أدت بالشواعر الى تعبيرهن.

وتكونت الدراسة من: **(تمهـــيد)** خصص للتعريف بالبيئة الاندلسية والشواعر الاندلسيات وبواعث الشعر.

وركزت الدراسة في **الفصل الأول:** على **(البواعث النفسية)** وتضمن ثلاثة مباحث **(الشكوى، والحزن، والغربة والحنين).**

وكان **الفصل الثاني:** حديثا عن **(البواعث الاجتماعية)** وتضمن ثلاثة مباحث **(المديح، والهجاء، والعتاب والاعتذار).**

وجاء الفصل الثالث: عن **(بواعث الطبيعة)** وتضمنت **(غزل الطبيعة والوصف)**، و **(البواعث الأخرى)** وهي **(الفخر، الغيرة، الغناء).**

وخلصت في نهاية الدراسة الى **خاتمة** ضمنتها اهم النتائج التي توصلت اليها، وأردفت بتثبيت **المصادر والمراجع** التي استعنت بها في الدراسة.

وفي نهاية المطاف لا يسعني إلاّ أن أقدم جزيل الشكر والامتنان لأستاذي المشرف **(أ. د. ياسر علي عبد سلمان الخالدي)** الذي أخذ على عاتقه من بداية الدراسة تبعة التوجيه والإرشاد، فمهد لي كل العقبات، وقومني بحسن أسلوبه، وتعهدني برعايته، وصّوب كل خطأ وقعت فيه، فقد كان يشد على يدي ليأخذني الى الطريق الصحيح، وليس ذلك بغريب عليه، فهذا هو طبعه وهذه هي سجيته فجزاه الله الخير كله وجعله نبراسا لطلبة العلم.

أقول إنَّ هذه بضاعتي وهي ما جادت به نفسي ولم أدخر في ذلك جهداً فأن وفقت بفضل من الله جلّت قدرته وان كانت الأُخرى فحسبي أنها كانت أولى خطواتي.

((وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب))

الباحـــــثة

التمهيد ..

مقدمات نظرية في البيئة الاندلسية وشواعر الاندلس

وبواعث الشعر

أولاً : مقدمة في البيئة الاندلسية.

١-اسم الاندلس.

٢- العناصر البشرية في الاندلس .

٣-الشخصية الاندلسية .

ثانياً: التعريف بشواعر الاندلس.

ثالثاً: بواعث الشعر .

((التـــــمـــــهـــــيـــد))

أولاً: البيئة الأندلسية:

-اسم الأندلس:

عُرفت الأندلس بأنها كلمة أعجمية لم يستعملها العرب قديماً وقد جرى على الالسن أن تلزمها الالف واللام، غير إن بعض العرب يحذفونها خاصة في الشعر [١]، ومن ذلك:

سألتُ القومَ عن انسٍ فقالوا بأنـدُلسٍ واندلس بعيد [٢]

لفظ الأندلس كان يُطلق للإشارة إلى جزيرة أيبيريا [٣] بأكملها وذلك لأنها؛ كانت تحت حكم المسلمين في جميع ولاياتها. ومع مرور الوقت وفقدان المسلمين لعدد من الأراضي والمدن، بدأ هذا اللفظ يفقد من معناه الجغرافي تدريجيًا، نظرًا لتقليص الأراضي التي يسيطرون عليها. وقد اشتُهِرت المحافظة الجنوبية من إسبانيا بلفظ الأندلس لمدة طويلة، حتى أصبح يُشار بها في النهاية إلى مملكة غرناطة فقط، إذ استمرت في الدفاع المضنى ضد المسيحيين الإسبان لمدة قرن ونصف القرن، قبل أن يسقطوا في أيدي الأعداء [٤]، فالأندلس ذو حضارة اسلامية.

اسم الاندلس له صلة باسم قبائل الوَندال [٥]، التي سكنت البلاد بعد الرُّومان، وغُيّر اسمها من (vandalos، أو wandalos)، واشتُهِر بـ "الأندلس" أو "بلاد الأندلس" بعد الفتح الإسلامي. تم محو اسم إسبانيا تماماً، وكان الاسم مرتبطاً بالحقب الإسلامية فقط، بغض النظر عن انبساطها أو انحسارها. ولم يتم التخلي عن هذا الاسم بعد سقوط الحكم الإسلامي في الأندلس، بل ما يزال مستعملاً المعنى

---

(١) ينظر: الاندلس: ج . س. كولان :٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٩.

(٣) ايبريا: شعب مجهول الأصل والمصدر عاصر في اسبانيا القديمة دول القلت والفينيقين واليونان والرومان وقد انتشر في اسبانيا كلها وجنوبي فرنسا. ينظر: الاندلس: ٤١.

(٤) ينظر: في الأدب الأندلسي: د. عدنان صالح مصطفى: ٩.

(٥) الوندال :وهم بعض القبائل الاوربية الشمالية، فأغاروا على ممتلكات الرومان ومن بينها جنوب اسبانيا الذي عرف منذ دلك العهد باسم "فتدليسيا" نسبة الى "الوندال" أو "وندلس". ينظر: أطياف من تاريخ الادب العربي ونصوصه في الاندلس: ١١.

القديم كلما تم ذكر الأندلس أو أي جانب من جوانبها، سواء كان ذلك في العلم، أو الفن، أو الآثار وغيرها [١]، لذلك ارتبط اسم الأندلس بالحضارة الإسلامية مثلما ارتبط بالفتوحات الإسلامية.

أما العرب فقد أطلقوا اسم الأندلس على جميع المدن الإسبانية التي فتحوها، وكان لا يعرف بها غير نظام إقطاعي الفندال، التي أبحر منها جماعات الفنداليين في نزوحهم إلى أفريقيا، فسُمِّيَت باسمهم، وقيل لها "فِنْدَا لَيْسِيَا"، وهي أول أرض وطأها العرب من إسبانيا، وعرفوا اسمها فحُوروه، فقالوا "الأنْدَلُس" [٢]، فكل الإشارات تدل على أن الأندلس أول أرض وطأها العرب من إسبانيا.

وَبَقِيَ اسمُ الأندلُس في إسبانيا الحديثة بَعدَ أَنْ أَخَذَ صورة أندلُسِيّة، ويشبه ما سَمَّاهُ بنو سعيد "مُوسَطَة الأندلُس" وَالتي تَضُمُّ أَقاليم: المرّيّة، غرناطة، مالقة، جيان، قرطبة، وإشبيلية، وقادس، وُلْبَة، إذ لا يزال اسم "الأندلس" محفورا في ذاكرة جميع المسلمين [٣]، فبقي اسم "الأندلُس" مستعملا في إسبانيا الحديثة لِوصْف المنطقة التي تَشْمَلُ هذه الأَقاليم.

أما حدود الأندلس في أيام الخلافة الأندلسية، فتشمل كل من البرتغال تقريبًا وأكثر من إسبانيا الحالية. كانت الأندلس تمتد جنوبًا لخط افتراضي يصل بين نهر دويرة في الغرب حتى برشلونة في الشرق، مع ارتفاعٍ في الوسط يفصل هذا الخط بين إسبانيا النصرانية في الشمال والأندلس "إسبانيا الإسلامية" في جنوبه [٤]، يمكن القول إنها بقيت نصفين: نصف نصراني ونصف مسلم.

وحينَ يُذكر اصطلاحُ "الأندلس" يُقصد به أيضاً المنطقةَ الإسلاميةَ التي شمَلَها الإسلامُ، سكاناً ونفوذاً، من شبهِ الجزيرةِ الأيبيرية، وعلى الأغلب تضمّنَها أيام الخلافةِ الأندلسيةِ أو متضمنةً لكلّ شبهِ الجزيرةِ، وهناك بعضُ أسماءِ الأمكنةِ والمدنِ فيها ذات أصلٍ أندَلُسي، مقتطفٌ إلى الإسبانيةِ أو أنَّهُ إسبانيٌّ نقلَ إلى العربيةِ، فَعَدَدٌ مِنَ الأسماءِ ينمازُ بطابعِهِ الأندلُسيّ، وكلُّ اسمٍ بالإسبانيةِ حالياً مسبوقٌ بألِ التعريفِ دليلٌ على أندلُسيَّتهِ أو تأثره [٥]، توجد الكثير من الأسماء والمدن في إسبانيا الحديثة والتي يمكن أن تدل على أصولها الإسلامية وتاريخها.

---

(١) ينظر: في الادب الاندلسي، .د. محمد رضوان الداية: ١٧.

(٢) ينظر: ادباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث: ٦.

(٣) ينظر: دراسات اندلسية: ٢٤-٢٥.

(٤) ينظر: التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: ٣٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ٣٧.

الأندلس أرض خصبة ومنتجة، وفيها العديد من المدن والقواعد العظيمة، وتوجد بها معادنٌ مثل الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد، وغيرها، فالخيرات فيها دائمة، وتتميز بأنها شامية في عطرها، ويمانية في اعتدالها، واستوائها هندية في عبقها وذكائها، وأهوازية في عظم جناتها، وصينية في جواهر معادنها، وعدنية في منافع سواحلها [١]. ويتنوع مناخ الأندلس بحسب تنوع مناطقها، منها السلاسل الجبلية والسهول والهضاب والوديان. تتفاوت درجات الحرارة بحسب طبيعة البيئة؛ فقد تكون شديدة البرودة في الشمال وشديدة الحرارة في الجنوب [٢]، فالبيئة اثرت في الأدب الأندلسي عامةً والشعر خاصةً.

سكان الاندلس:

عندما استقر الإسلام في الأندلس، بدأ كثيرون من العرب يتدفقون إلى هناك، إذ هاجر إليها العديد من الناس من دول الإسلامية، واندمجوا مع سكان البلاد الأصليين. ونتيجة لذلك، نشأ جيل جديد بدأ في بناء حضارة رائعة تؤدي دورًا رئيسيًا في الأندلس. بيئة أصلها أوروبي، يسكن بها شعوب مختلفة، مثل القوط والإسبان واليهود، ولكلٍ منها عادات وتقاليد وأنماط حياة مختلفة، ولغات مختلفة أيضاً، ولكلٍ منها لغته الخاصة. استمر الاندماج بين الحضارتين لأكثر من ثمانية قرون، وأدى ذلك إلى ظهور حضارة جديدة بخصائصها الخاصة، إذ ظهرت ثمارها، وأصبح المجتمع الأندلسي مزيجًا من العناصر البشرية المتنوعة [٣]:

العرب: سمي العرب الذين دخلوا بالفتح باسم البلديين، وأولئك الذين دخلوا عام ١٢٥ هـ مع طالعة بلج بن بشر القشيري باسم الشاميين، وأُطلق على الاسبان الذين تعايشوا مع الجيل العربي ودخلوا في الإسلام مع الفاتحين باسم المسالمة، وكانوا يسمون دعاة السلام. وأولئك الذين حموا دينهم من الذمة أطلقوا باسم العجم أو (عجم الأندلس)، وكان لديهم زعيم بالغموس. فهؤلاء وسائر أهل الذمة مرتبطون ببعضهم البعض بإحكام تحت رعاية الدولة وحمايتها [٤]، والجميع منقاد بأحكام الدولة آنذاك.

---

(١) ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار: ٣٣_٣٤.

(٢) ينظر: في الشعر الاندلسي، د. عدنان صالح: ١٠.

(٣) ينظر: محاضرات في تاريخ الادب الاندلسي: ١٧.

(٤) ينظر: في الادب الاندلسي : محمد رضوان الداية :٢١.

البربر: هم الذين وفدوا إلى بلاد الأندلس من شمال إفريقيا، وقد كانوا يمثلون معظم جيش طارق بن زياد، وهم يشاركون العرب في الإسلام والبداوة والعصبية القبلية، كما أسهمت معهم في فتح البلاد [١].

المماليك: ظهرت طبقة جديدة في المجتمع الأندلسي، الطبقة المملوكية، كانت الأكثر ميلًا في البداية لأداء واجبات الجند [٢].

المولدون: هم الذين وُلِدُوا من آباء مسلمين ونشأوا على الإسلام، وكانوا يشكلون في عهد بني أمية الوفرة المسيطرة من السكان، ومنهم تألفت جموع الأندلسيين وأهل البيوتات. وكان من شأن وفرة أبناء هذا الجيل من المولدِين شيوع اللغة الرومانسية بين الأندلسيين، وهي اللاتينية الحديثة، ويسمّيها المؤرّخون العرب "العجمية" أو "الطينية". ومن طريق المولدين تداخلت العربية والرومانسية تداخلًا كان من مظاهره نشأة فن الموشحات [٣]، كان هؤلاء يشكلون الغالبية الساحقة من السكان، وكان لهم دور مهم في تشكيل الهُوية الثقافية واللغوية للأندلسيين.

اما **الموالي:** فقد جاءوا في ركاب العرب منذ قطعوا الطريق إلى الأندلس، إذ كانوا مقترنين بهم تابعين لهم. حتى لقد نسيت، بمرور الزمن، أصول كثير منهم وعدوا فعلاً من القبائل التي تربطهم بها روابط الولاء [٤]، نسوا هذه المجموعات جذورهم وأصولهم وأصبحوا جزءاً من المجتمع المحلي في الأندلس بشكل كامل.

هذا لا يعني أن المجتمع الأندلسي منقسم بتنوع العنصر البشري وتمايزه، بل هو مجتمع قوي مترابط، يجذب الآخر ويتكيّف مع الطابع الأندلسي الفريد، فكانت هناك دائمًا البيئة المشتركة والثقافة المشتركة، وقد كانت هناك السياسة الموحدة وحضارة أندلسية رائعة، وأهم ما يجعل الوحدة الإنسانيّة في المجتمع الأندلسي قوية للغاية هو أن العنصر البشري الذي يجسد معظم سكان الأندلس هو مزيج من

---

(١) ينظر: محاضرات في تاريخ الادب الاندلسي:١٨.

(٢) ينظر: الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه: ٢٢.

(٣) ينظر: في الادب الاندلسي: محمد رضوان الداية : ٢١.

(٤) ينظر: الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة: ٣٠.

العناصر العربية والإسبانية، وألف هذا الاختلاط ما هم أحق من سكان إسبانيا باسم الأندلسيين [١]، فساد التعايش الاجتماعي.

أخذ العرب في الاندلس يعيشون على صنف العرب في المشرق وكان لذلك وقع في جميع هيئات حياتهم السياسية والاجتماعية والعقلية والفنية، حياتهم السياسية جربوا أن يجعلوها كالحياة السياسية في بغداد اذ نرى الناصر يلقب نفسه بالخليفة، ويلقب امراء الطوائف أنفسهم بالرشيد والمأمون والمتوكل والناصر والمعتمد يقول ابن شرف القيرواني [٢]:

[البسيط]

ممّـا يُزَهِّـدُنـى فـي أرْضِ أنْـدَلُسٍ سَـــمـاعُ مُقْتَـدِرٍ فيهـا ومُعتَمـدِ

ألقـابُ مملكـةٍ في غير مَوْضـــعهـا كالهرِّ يَحْكى انتفاخاً صَـوْلةَ الأسَـدِ [٣]

أما الحياة الاجتماعيّة فقد كانت خليطًا من طقوس وعادات موروثة ومستجدة، فقد عم التأثر فيها كل شيء، فكان الارتباط بين المشرق والمغرب محكمًا، إذ كان المسافرون المغاربة يقدمون على المشرق للتزود من العلوم والآداب وللتعرف على مختلف فنون العلم [٤]،فتتن الناس بأنواع الطعام والغناء والطرب، وانشغلوا عن الاستعداد للجهاد، كما رحل كثير من المشارقة إلى الأندلس، منهم أبو الحسن علي بن نافع المغني المعروف (زرياب)، الذي كان له الفضل في تنمية فني الغناء والموسيقى في الأندلس، فشغل الناس بابتكاراته في عالم الطعام واللباس. لكل فصل نوع من الطعام واللباس، ولكل مجلس آداب وتقاليد، ولكل حفلة طرب وغناء وموسيقا بمختلف الألحان، ولقد تصدى العلماء لمحاربة الترف والإسراف، [٥]، إذ كان لهم تأثير في المجتمع.

جمع أهل الأندلس من كل مكان في سائر العصور والأزمان. فقد نزَلَ بها الكلتُ والبسكُ والقرطاجيون والرومانُ والفندالُ والقوطُ، وأقامها العرب في النهاية. وبعد امتزاجهم واستقرار العرب فيها، تشكَّل المجتمع الأندلسي. امتزجوا فيما بينهم، وكانت نتيجة هذا الامتزاج هي أنهم أثروا وتأثروا بهم،

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣١.

(٢) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٤١٣.

(٣) ديوان ابن شرف القيرواني: ٥٩.

(٤) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٤١٣.

(٥) ينظر: الشعر الأندلسي: ١٦_١٧.

وأوصلوا آثار وثقافة كل منهما إلى الآخر. ومع ذلك، كانوا يتطلعون إلى أمجاد آبائهم وأجدادهم في المشرق، ويعدونها المثال الذي يجب أن يحتذى به، والقدوة التي يقتدى بها في مختلف نواحي الحياة [١]، فالحضارة الأندلسية كانت مصدر الرفاهية والسعادة لمعظم حياتهم.

وَإِلَى هَذَا يُشِيرُ ابْنُ بَسامٍ فِي الذَّخِيرَةِ: "إلاّ إنَّ أهل هذا الأفقِ، أبَوْ إلاّ متابعة أهل المشرقِ، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادَة؛ حتى لو نعَق بتلك الآفاق غرابٌ، أو طنَّ بأقْصى الشام والعراق ذُباب لجثوا على هذا صنمًا، وتلوا ذلك كتابًا محكمًا" [٢]، إن الناس في تلك البلدان يلتزمون بتعاليم أهل المشرق، ويعودون في فهم الدين وتطبيقه إلى ما ورد في تلك الأقوال التي تنسب إلى قتادة بن دعامة، ويرونها معتمدة وموثوقة بشدة. وهذا الأمر يشير إلى أنهم يحترمون تراثهم ويحافظون عليه بعناية، ويتعلمون منه في فهم دينهم.

الشخصية الأندلسية:

وعُرِفَ الأندلسيون بشخصية متميزة، أسهم في تكوينها اقليمهم وأصلهم وموضع بلادهم واقتصاد بيئتهم. فقد كانت الأندلس ذات طبيعة ساحرة، بما حباها الله من رياض وأنهار، وجداول وأشجار، وبساتين وحقول، وورود ورياحين، وهواء عليل، وخصب ونماء، وقد ألهمت شعراء الأندلس، فأقبلوا يسرحون النظر في خمائلها، ويتغنون بمفاتنها وطبيعتها الساحرة، ويصف ابن خفاجة، شاعر الطبيعة الأكبر، هذه المعالم، **بقوله** [٣]:

[البسيط]

يـــا هلَ أنـــــــــدلُسٍ للهِ دَرُّكُـــمُ ... مـــــاءٌ وظـــــلٌ وأنهارٌ وأشـــجارُ

مـــــا جَنّـــــةُ الخُلدِ الله إلاّ في دِياركمُ ... ولو تَخَيّرتُ، هـــذا كنـــتْ أختـــارُ

ولا تختشـــوا بعد ذا أن تدخلوا سَـــقراً ... فَليسَ تُـدخَـلُ بعـدَ الجَنّـةِ النَـارُ [٤]

ولقد أطنب في وصف الأندلس كل من أرخ لها فوصفها إبن الخطيب بقوله: "خَصَّ الله بِلَادَ الأَندلُس مِنَ الرّبِيعِ، وَغَدَقَ السَّقْيَا، وَلَذَّاذةَ الأَقْوات، وَفَرَاهَةَ الْحَيَوَان، وَدُرُورَ الْفَوَاكِه، وَكَثْرَةَ الْمِيَاه، وَتَبْحُرَ

---

(١) ينظر: التجديد في الادب الاندلسي: ١٣.

(٢) الذخيرة: ١٢/١.

(٣) ينظر: الأدب الاندلسي ، سامي يوسف: ٧٩.

(٤) ديوان إبن خفاجة: ١٣٣-١٣٤.

الْعُمْرَان، وَجُودَةَ اللِّبَاس، وَشَرَفَ الْآنِيَّة، وَكَثْرَةَ السِّلاح، وَصِحَّةَ الْهَوَاء، وابيضاض أَلوانِ الإِنسَان، وَنبل الأَذهان، وَقبول الصنائِع، وَشهَامَةَ الطبَائِع، وَنفُوذَ الْإِدراك، وَإِحكام التمَدن وَالْإِعتِمَار، بمَّا حَرمَهُ الكَثِيرُ مِنَ الْأَقطَار مِما سوَاهَا " [1]، إن الله تعالى خص بلاد الأندلس بالكثير من النعم والمزايا الجميلة التي لم تحصل في الكثير من الأقطار الأخرى، وهنا شهادة ابن الخطيب لجمال وثراء بلاد الأندلس بالمزايا العديدة التي أعطتها مكانة فريدة بين بلدان العالم.

تتميز الشخصية الأندلسية بصفات طيبة أفردتها من بقية الشخصيات في المجتمعات الإسلامية الأخرى، فقد برز فيها حب العلم والدين والثقافة، والعمل والنظافة والأناقة، وتنظيم شؤون المعيشة، وحب العدل، ورفض الفوضى، وتقدير العلماء، وغيرها من السمات الحميدة التي تساعد الأمم على الارتقاء والازدهار [2]، يلجأ إليها الناس من جميع الدول.

تميزَ أهلُ الأندلس بالاهتمامِ الفائقِ بالنظافة والعنايةِ بما يرتدونه وبمستلزماتِ الفرشِ وغيرها من الأمور الشخصيةِ. فعلى الرغمِ من أن بعضهم كان يعيشُ في ظروفٍ اقتصاديّة صعبة، إلاّ أنهم كانوا محافظينَ على مستوى حياتهم الشخصيةِ ومتعهدينَ بتحقيقِ العدالةِ في التعاملات الماليةِ، ويعتمدونَ على الاحتياطِ والتوفيرِ في الأمور الماليةِ. وكانوا يدركونَ قيمة الموارِدِ ويتجنبونَ الإسرافَ والتبذير، وكانوا يعملونَ بجدٍ للحفاظِ على ما يملكونَ من ثروةٍ. فضلا عن ذلك، كانوا يجتهدونَ في الحفاظِ على مواردهم، خوفًا من التعرضِ للسؤالِ والحاجةِ [3]، فنرى أنهم يستحقون التقدير والإشادة.

وكانت الشخصية الأندلسية تتميز برفضها للغش والخداع؛ ولذلك كان قانون الحسبة ينظمه أهل العلم والفطنة. وكان لهم قوانين يتعلمونها بينهم كما يتعلمون أحكام الفقه. وكان الأشخاص في الأندلس يتابعون الأوزان التي يضعها التجار عند البيع، وإذا لاحظوا نقصًا في الأوزان فإنهم يعاملون التجار بالشدة. وعلاوة على ذلك، كان الأندلسيون يحترمون صاحب الأشغال الخراجية ويعاملونه بمكانته الحقيقية، حتى لو كانت منزلته أقل من منزلة الوزير؛ لأنه كان يتمتع بشعبية واسعة وكان يجلب أكبر فائدة للناس، ولهذا كانوا يتجهون إليه ويمدون أيديهم للمساعدة [4]، تطمح للمثالية.

([1]) نفح الطيب :١/١٢٦.

([2]) ينظر: الاخلاق الاسلامية في الشعر الاندلسي عصر ملوك الطوائف: ٤٧.

([3]) ينظر: صورة المرأة في الادب الاندلسي:١٢٣.

([4]) ينظر: الاخلاق الاسلامية في الشعر الاندلسي عصر ملوك الطوائف: ٤٩.

أما عن زي أهل الاندلس، فالشائع عنهم ترك العمائم، ولاسيما في شرق الأندلس، فلا يكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً إليه الا وهو بعمامة، وقد تساهلوا بذلك في الشرق. أما الناس الاعتياديون والأجناد فقليل منهم يرتدي العمامة، سواء في الشرق أو في الغرب، وكثيراً ما يتزيَّن سلاطينهم بزي النصارى المجاورين لهم. أما شعار الحداد عندهم فهو اللون الأبيض خلافاً لأهل المشرق الذين يتبعون اللون الأسود، وفي ذلك يقول **الحلواني** [1]:

لئن كان البياض لباس حزن بـأنـدلـس فـذاك مـن الصـــواب

الم ترني لبســت بياض شــيبي لأنـي قـد حزنـت علـى الشــبـاب

وفي أهل الأندلس، حسن تدبير وبعد عن الإسراف والتبذير، لدرجة أن أولئك الذين لا يفهمون التفاصيل الدقيقة لطبيعتهم لا يمكنهم تجنب لومهم على اللؤم، بينما هم في واقعهم أبرياء من البخل، لكنهم يبذلون قصارى جهدهم لتقديم المساعدة دون استنزاف مواردهم المالية، أو يكلفون أنفسهم. لا يعتبرون في الواقع كرماء، ولكن في الوقت نفسه هم أشخاص من أهل العون والمروءة [2]، من السمات المميزة.

كذلك كانت من صفاتهم أيضًا أن أهل الأندلس يكرهون التسول ويعتبرون العمل كمهنة للعيش بكرامة، وفي حين أنَّهم يسعون جاهدين لتجنب الفقر، إلا أنهم يقدرون الفقراء ويحترمونهم، ولا يسمحون بأن يتعرضوا للاستخفاف أو التنكُّر في المجتمع. ويتميزون أيضاً بالاحتياط والتدبير في المعاش، وحفظ ما يكون في أيديهم، فلا يوجد سائلون في الأسواق إلاّ في حالة وجود عذر، وهذا يعكس تحمسهم للعمل ورفضهم للعيش بلا جدوى. كما ينسب إليهم البخل في الإنفاق، وهذا يعكس رغبتهم في الاحتفاظ بالثروة وعدم التبذير بها، ولا يعني بالضرورة أنهم لا يعطون أو يتصدقون، ولكنهم يفضلون إيجاد طرائق أخرى للتصدق والمساعدة من دون إضاعة الثروة [3]، خوف ذل السؤال.

فكل ما سبق من صفات الشخصية الاندلسية تنطبق عليها في عصورها كافة.

([1]) ينظر: المصدر نفسه: ٤٩

([2]) ينظر: الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه: ٨٢.

([3]) ينظر: الاخلاق الاسلامية في الشعر الاندلسي عصر ملوك الطوائف: ٤٨.

شواعر الاندلس:

حظيت المرأة الأندلسية بمكانة بارزة بين عناصر المجتمع وأطيافه، ويعود ذلك إلى درجة الحرية التي استمتعت بها في تلك المدة. كما أن العرب أحبوها وأعجبوا بها؛ لأنها تتمتع بصفات فريدة. فضلا عن ذلك، يحترم الرجال الأندلسيون المرأة ويقدرون مكانتها [١].

وتميزت المرأة الأندلسية، عن أختها في المجتمعات الأخرى ولا سيما في المجتمع الإسلامي، بميزات ظاهرة بسبب طبيعة تكوينها، والظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أحاطت بها. وكان لها الأثر الكبير في الثقافة، إذ برزت في مجالات الأدب، وشاركت في نهضة حركة الشعر بصفة خاصة، والنهضة الأدبية بشكل عام، وكذلك في مناظرات ومساجلات. وفي هذا الإطار، فُتح المجال أمامها في ميدان التعلم والثقافة، مما أثر في بناء شخصيتها ووسع مجالات تفكيرها، وجعلها تحتل مكانة مرموقة في مجتمعها، وأتاح لها أن تشارك في كل فنون الشعر وأبوابها [٢]، فنعمت بكامل استقلاليتها القولية والفعلية.

فقد وهب المجتمع الاندلسي المرأة مكانة عظيمة أسهمت في بناء صرح الأدب وتنميقه وتزيينه، وأثرت مجالسهن بالمناظرات والمساجلات والمطارحات، يتألقن فيها بحضورهن وردودهن الذكية والمنطقية وساعد على ازدهار ذلك مباهج الحضارة الراقية التي غلفت جو الاندلس بزخرفتها، وكذلك جمال البيئة الاندلسية التي جعلت أهلها ينطقون برقائق الأشعار، عند نسمات الأسحار فتزهر الآداب، وتتغذى الألباب، وأن النساء الاندلسيات حرائر وأماء وجَوَارِ كُن يشاركن في إثراء المعرفة والأدب النسائي، وإن كانت الحرائر والسيدات أكبر أثراً [٣]، وبهذا، حظيت المرأة الأندلسية بمكانة مرموقة في مجتمعها، إذ تميزت بقوة شخصيتها وثبات رأيها وإيمانها بالعدالة، وكانت تسعى جاهدة لتحسين واقع المرأة وزيادة مشاركتها في الحياة العامة. وبذلك، كانت المرأة الأندلسية مظهرًا للحضارة الراقية التي تميزت بها الأندلس في تلك المدة.

كانت منزلة المرأة في الأندلس تختلف حسب طبقتها في المجتمع، فحال المرأة في الوسط الأرستقراطي يتباين عن حالها لدى العامة. فقد نعمت المرأة الأرستقراطية بمكانة رفيعة، وعُدّت نداً للرجل،

---

(١) ينظر: الذات والآخر في الشعر الأندلسي:١٦١.

(٢) ينظر: المرأة الاندلسية مرآة حضارة شعت لحضة وتشظت: ٩٥.

(٣) ينظر: نساء من الأندلس : ١٢.

فكانت تقف معه على قدر المساواة، وتفوقه أحياناً وتجمع الثروات. وكانت تتمتع بكل وسائل العيش الترفة، حتى في بعض الأحيان كانت تتمرد على بعض التقاليد الغالبة التي كانت تمنعها من أن تمارس ما يحلو لها. إذ كانت بعض النساء من الطبقة الأرستقراطية متحررات إلى حد بعيد، فولادة بنت المستكفي ومهجة القرطبية كانا يمثلان الطبقة الأرستقراطية الحرة. فضلا عن إلى ذلك، فإنهم لم يهملوا تعليم المرأة، فهناك كثير من الإشارات في المجتمع الأندلسي تدل على ذلك [١]، تمتعت بكامل حقوقها.

أما المرأة المنتمية إلى الطبقة الوسطى، فلم تختلف كثيراً عن المرأة الأرستقراطية، إذ تحاول أن تحترمها وتتشبه بها في تصرفاتها وطرق عيشها، وتسعى بكل جهدها لرفع صوتها وزيادة شأنها أمام الرجل. ويختلف حال المرأة الأرستقراطية والوسطى عن حالها في الطبقة الفقيرة، إذ كانت المرأة في هذه الطبقة تحت سيطرة وتبعية الرجل في كل المجالات [٢]، وكانت الطبقية واضحة المعالم في مجتمعها.

في ظل هذا المجتمع، كانت المرأة الأندلسية تتمتع بقدر كبير من الحرية ولا تقل شأنًا عن المرأة في المشرق، وذلك بسبب مواجهة المرأة الشعوب الأوروبية، خاصةً بعد التزاوج بين العرب والبلدان الأخرى. ولعبت المرأة دورًا في الحكم السياسي، إذ كانت ذات نفوذ واسع في أيام هشام بن عبد الرحمن، وظلت تهيمن بشكل كبير في أيام ابنه عبد الرحمن، وكانت لطروب جارية عبد الرحمن مؤثرة كثيرًا عليه، ولكن لا ندري نطاق تأثيرها في الحياة السياسية. وتولت المرأة المناصب، فكانت لبنى كاتبة للخليفة الحكم بن عبد الرحمن، وهي نحوية، شاعرة، بصيرة بالحساب، عروضية، خطاطة، وشارك بعضهن في رواية الحديث، فكانت غالبة بنت محمد المعلمة تروي الحديث، وشاركت أخريات في الشعر [٣]، اغلب الاندلسيات تمتعن بالحرية.

اختلفت مكانة الشواعر الاندلسيات عنها في المشرق العربي، فقد (سُئل بشار بن برد يوما عن النساء الشواعر فقال: لم تقل امرأة شعرا الا تبين الضعف فيه فقيل العرب له و كذلك الخنساء؟ فقال: تلك التي غلبت الفحول) [٤]، وفي الواقع، فإنَّ بشار متعصب في قوله هذا ضد المرأة، على الرغم من روائع الغزل التي قالها فيها. وبصورة عامة، فإنَّ رواة الشعر العربي الأقدمين لم يعيروا شعر المرأة

---

(١) ينظر: اسهام المرأة الاندلسية في النشاط العلمي في الاندلس: ٧٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧٣.

(٣) ينظر: تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة: ٢٥-٢٦.

(٤) جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب :٢٣٢.

الاهتمام الذي يستحقه. من غير المعقول ألاّ يكون في الشعر العربي امرأةً سوى الخنساء يعجب بشعرها بشار [١]، ولذا نعتقد أن ذلك كان سبباً لضعف المكانة الشعرية.

ففي محطة الأندلس، ومع التقسيم التاريخي المألوف، أي: عصر الولاة، وعصر الأمارة، وعصر الخلافة، إلخ، نجد أن عصر الولاة الذي امتد حوالي ٤٥ سنة، لم يترك لنا أثرًا أدبيًا متميزًا، ولم تظهر فيه شاعرةٌ بارزةٌ. وتبدأ انطلاقة الأدب النسوي مع مدة أمارة الأمويين وخلافتهم فيما بعد، وما نلاحظه في الأدب الأندلسي هو كثرة عدد الشواعر قياسًا على الشعر العربي في المشرق، والسبب في ذلك هو بيئة الأندلس الطبيعية التي كانت هي الملهم الأول لقولهن الشعر، بما تحويه من جمالٍ وخصوبةٍ، ومناخٍ معتدلٍ، والحياة الاجتماعية التي أتاحت للمرأة مجاراةَ الرجل في القولِ وفي كل مجالات الحياة. وسيرة ولادة بنت المستكفي دليلٌ واضحٌ على ذلك. ولم يقتصر نشاطُهن على الشعر، بل برعن في مجالات الحياة المختلفة [٢]، ولذا فهي مختلفة عن المرأة المشرقية.

ففي **عصر الامارة** تحدثنا كتب التاريخ والادب عن ثلاث شواعر هي:

حسانة التميمية:

أبوها ابو المخشى الشاعر، تعلمت ودرست، فتربت تربية الطهر والعفاف، لم ينقل عنها ما يخدش مجدها وشرفها، الشيء الذي جعلها تستنكف عن السيئات وتدافع عن حقها إذا ما لحقها ظلم الظالمين توفى ابوها فتركها في رعاية الاقدار لا تجد من تحتمي به في معترك الحياة الا الامير الحكم بن هشام الذي بعثت اليه قطعة شعرية تستعطفه وتنبئه ان والدها قد استأثرت به بعد ان كانت تتمتع في نعماه، وتبختر زهواً تحت أفياء رعايته وحمايته، واليوم لا ناصر لها في الحياة الا هو [٣] **اذ تقول:**

[البسيط]

إنـــي اليك أبا العاصي موجعـــــة ... أبـا الحُسَـــين سَـــقتُـه الواكف الـدَّيَمُ

قَد كنتُ ارتعُ في نُعمَاهُ عاكفـــــةً ... فـالِيـومَ أوي الـى نُـعمُـاكَ يَـا حَـكـمُ

أَنتَ الإمَامُ الذّي انقادَ الأنَامُ لَـــــهُ ... وَمَلكـــتَهُ مقَـاليـدَ النُهـي الأُمَـمُ

لا شَيءَ أخشَى إذا ماكنتَ لي كَنـــفا ... أوي الـــــــــيه ولا يَعرونِي العَدمُ

---

(١) ينظر: دراسات في التاريخ والادب والفن الاندلسي محطات اندلسية: ٨٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨٨.

(٣) ينظر: الشعر النسوي في الاندلس:٤٧.

لا زِلتَ بالعزَّةِ القَعساءِ مُرتـــــديـــــاً حتـى تَـذِلَّ إليـكَ الـعُربُ والـعَجَمُ [١]

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه، وامر لها بإجراء مرتب وكتب إلى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن [٢]، تعد حسانة التميمة إحدى الشواعر النادرات التي اشتهرت في عصرها، ورغم ذلك فقد بقيت قصائدها على مدى العصور وتم تداولها في الأوساط الأدبية والثقافية العربية.

الجارية العجفاء:

وافدة من المشرق ولا يعرف لها اسم حقيقي، جارية رجل مغمور يدعى مسلم بن يحيى، وهو بدوره مولى لبني زهرة، كانت العجفاء تقول الشعر وتغنيه وتعزف العود، ويبدو من الصفة التي أطلقت عليها انها نحيلة هزيلة دميمة الوجه، ولكنها كانت ساحرة البيان والصوت والعزف، وكسائر القيان تقول الشعر الوجداني الغنائي في مجال الغزل والشكوى [٣]، على الرغم من أنه لا يوجد الكثير من المعلومات عن هذه الشخصية، إلا أنها تشكل جزءًا من تاريخ الشعر العربي والفن الغنائي في المشرق.

قمر البغدادية:

شاعرة بغدادية، بذل إبراهيم بن حجاج صاحب اشبيلية كل نفس حتى استقدمها إلى الأندلس، وكانت من الجمال وحلاوة النغم ما جعله يزدرى غيرها من النساء [٤]، فمن شعرها انها تمدح مولاها إبراهيم بن حجاج **اذ تقول:**

[البسيط]

مـافي المـغـارب مـن كـريم نـرتـجي الا خـلـيـف الـجـودِ إبـراهـيـم

إنـي حـلـلـت لـديـه مـنـزل نـعـمـة كـل الـمـنـازل مـا عـداه دمـيـم [٥]

ومن شواعر تلك المرحلة مرحلة **الخلافة الاموية في قرطبة:**

عائشة القرطبية:

---

(١) الديوان :٣٣.

(٢) نفح الطيب : ٤ /١٦٧.

(٣) ينظر: دراسات في التاريخ والادب والفن الاندلسي محطات اندلسية:٨٩.

(٤) نساء شاعرات ديوان الحسان :١٨٨.

(٥) الديوان :١٠١.

قال ابن حيان في "المقتبس": لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علماً وفهماً وادبا وشعراً وفصاحة، تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة، وكانت حسنة الخط، تكتب المصاحف، وماتت عذراء لم تنكح سنة اربعمائة [١]، تتميز شعرية عائشة القرطبية بالعمق والتأثير على القارئ أو السامع، ويعكس شعرها قضايا مختلفة، فكانت تكتب الشعر بطريقة تجعل الكلمات تنبض بالحياة وتنقل المشاعر بشكل جيد.

حفصة بنت حمدون الحجارية:

من وادي حجارة، شاعرة اديبة، رائعة الشعر، رائعة البيان [٢]، من المسهب: ان بلدها يفخر بها وكانت في المائة الرابعة، ولها شعر كثير منه قولها [٣]:

[مجزوء الكامل]

يا وَحشتـــــــي لأَحبتـــــــي ... يا وحشـــــــــــةً مُتماديـــَـــة

يا لـــــــيلةً ودعتـُــــهم ... يا لـــــــيلةً هـــــي مَاهـــيَة [٤]

الغسانية البيجانية:

أديبة عربية من أهل بجانه في القرن الرابع للهجرة كانت تمدح الملوك، وهي من أهل المائة الرابعة [٥]، وقال أبو عبد الله ذكرها لنا الرئيس أبو الحسن بن راشد ولم يعرف اسمها، وقال إنها كانت من بيجّانة [٢] من نظمها من ابيات:

[الطويل]

عهـدتهم والعيش في ظـل وصـــلهم ... انيق وروض الوصـــل أخضـــر فينان

ليـالي ســـعـد لا يخـاف على الهوى ... عتاب ولا يخشى على الوصل هجران [٦]

مريم بنت أبي يعقوب الانصاري:

---

(١) ينظر: نفح الطيب : ٢٨٥\١٤-٢٨٦.

(٢) ينظر: نساء شاعرات ديوان الحسان:١٨١ .

(٣) ينظر: المغرب في حلى المغرب: ٣٧/٢.

(٤) الديوان :٣٧.

(٥) ينظر: معجم النساء الشاعرات: ١٩٩.

(٢) ينظر: بغية الملتمس: ٣٧٠.

(٦) الديوان: ٩٥.

سكنت اشبيلية، وأصلها من شلب على ما قيل، وكانت صدر نبهائها، وأدباءها، حازت أفخر الإجادة وشرفها، وأظهرت درر المحاسن من صدفها، وكانت تعلم النساء الادب، وتحتشم لدينها، وفضلها، وعمرت طويلا، واشتهرت بعد الاربعمائة [١]، عُرفت بشعرها الذي يتميز بالإحساس العميق والوصف الجميل.

عصر ملوك الطوائف:

أطل القرن الخامس الهجري والخلافة الأموية تنطق انفاسها الاخيرة، وعلى الرغم من التفرق الذي شهدته الاندلس آنذاك، فإنَّ القرن الخامس للهجرة شهد نشاط الحياة الفكرية والأدبية، فشهد هذا القرن فيضاً من الشواعر عمّ كل المدن الأندلسية ولم يعد الشعر مقصوراً على العاصمة قرطبة، ولا شك أن أولى شواعر تلك المرحلة هي [٢]:

ولادة بنت المستكفي:

أميرة حسناء، فاتنة ساحرة، جذابة مرحة، خفيفة الظل، حلوة الروح، ناقدة شاعرة، حصيفة ذكية، بصيرة بالأساليب الشعرية متمكنة من الأسرار العربية، استقبلتها الحياة والمعارك محتدمة، وجيوش المسلمين تتلاطم تلاطم الأمواج العتية من علويين وبربر وأمويين [٣]. ذكرها **ابن بشكول** فقال: كانت أديبة، شاعرة، جزلة القول، حسنة الشعر، وكانت تنافس الشعراء، وتساجل الأدباء، وعمرت عمرا طويلا، وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين، وقيل: أربع وثمانين واربعمائة وقال في "المغرب" بعد ذكره أنها في الغرب كعلية بالشرق إلاّ أن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق، وأما الأدب والشعر النادر وخفة الروح فلم تقصر عنها، وكان لها صنعة في الغناء لها مجلس يغشاه ادباء قرطبة وظرفاؤها [٤].

ومن أقوالها الغزلية ما أرسلته إلى ابن زيدون تستحثه لزيارتها اذ تقول:

[الطويل]

تـرقّـب إذا جـــنّ الظــلام زيـارتـــي فــإنّـــي رأيــت الليــل أكــتـم للسـرّ

---

(١) ينظر: معجم الاديبات الشواعر:٤٤٤.

(٢) ينظر: دراسات في التاريخ والادب والفن الاندلسي محطات اندلسية: ١٤٣.

(٣) الشعر النسوي في الاندلس:٧٣.

(٤) ينظر: نفح الطيب: ٢٠٨/٤.

وَبي منك ما لو كانَ بالشـــمسِ لم تلح وبــالبــدر لم يطلع وَبالنجم لم يسر [١]

وتتحدث كتب التاريخ عن ثلاث شواعر عرفتهن مدينة **(المرية)**

ام الكرام بنت المعتصم بن صمادح:

قال ابن سعيد في "المغرب" كانت تنظم الشعر، وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسَّمار، وعملت فيه الموشحات [٢].

زينب المرية:

بنت الخليفة ابي يعقوب بن يوسف ابن الخليفة ابي محمد عبد المؤمن بن علي، ولدت بالأندلس وتزوجها ابن عمها أبو زيد بن أبي حفص ابن الخليفة، كانت عالمة صائبة الرأي معروفة بالتفوق على نساء أهل زمانها، لم يذكر تاريخ وفاتها [٣].

غاية المنى:

وهي جارية أندلسية متأدبة، تقول الشعر وتحسن المحاضرة (متخرجة في فنون الغناء، لها صوت حسن وصنعة جيدة بالأصوات وكان أكثر غنائها من أصوات عريب) لذلك رجح أحد الباحثين على أنها من مولدات الشرق لغنائها من أصواتهم [٤]، قدمت الى المعتصم بن صمادح [٥]، فأراد اختبارها فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: غاية المنى، فقال لها أجيزي [٦]:

[مجزوء الخفيف]

اسألوا غاية المنى

من كسا جسمي الضنى

وأراني مولها سيقول الهوى أنا

اعتماد زوجة المعتمد:

---

(١) الديوان : ١٢٤.

(٢) ينظر: نفح الطيب : ١٧٠/٤.

(٣) اعلام نساء الاندلس: ٥١.

(٤) المرأة في الشعر الاندلسي عصر الطوائف:٢٤٩-٢٥٠

(٥) هو محمد بن معن المعتصم بن صمادح الذي كان اقوى امراء المرية (ت٤٨٤هـ) .. وينظر: المغرب في حلى المغرب:١٩٩/٢. و ينظر: اعلام نساء الاندلس :٥٣

(٦) ينظر: نفح الطيب: ٢٠٥\٤.

جارية المعتمد بن عباد وأُم أولاده، وتشتهر بالرميكية، وفي المسهب والمغرب أنه ركب المعتمد في النهر ومعه ابن عمار وزيره، وقد زردت الريح النهر، فقال ابن عباد لابن عمار اجز:

[الرمل]

صنع الريح من الماء زرد

فأطال ابن عمار الفكرة، فقالت امرأة من الغسالات:

أي درع لقتال لو جمد

فتعجب ابن عباد من حسن ما اتت به، مع عجز ابن عمار ونظر اليها فاذا هي صورة حسنة، فأعجبته فسألها، أذات زوج هي؟ فقالت: لا فتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء [١].

بثينة بنت المعتمد:

شاعرة نهلت الشعر من ذويها، كما ورثت الجمال عن أُمها (الرميكية)، فوالدها ملك وشاعر مطبوع، والدتها شاعرة ظريفة، فجاءت (نحواً منها في الجمال والنادرة ونظم الشعر) وكانت حاضرة الجواب سريعة الخاطر حلوة النادرة [٢].

ولما أحيط بأبيها ووقع النهب في قصره كانت في جملة من سبي، ولم يزل المعتمد والرميكية عليها في وله دائم لا يعلمان ما آل إليه أمرها إلى أن كتبت إليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب، وكان أحد تجار إشبيلية اشتراها على أنها جارية سرّيّة ووهبها لابنه، فنظر من شأنها وهيّئت له، فلما أراد الدخول عليها امتنعت، وأظهرت نسبها، وقالت: لا أحل لك إلا بعقد النكاح إنّ رضي أبي بذلك، وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها، وانتظار جوابه، فكان الذي كتبته بخطها من نظمها ما صورته [٣] **إذ تقول:**

[الكامل]

إسـمَـع كَـلامـي واِسـتَـمِع لمَقالَتي ... فـهـيَ السُّـلوكُ بـدَت مِـن الأجـيَادِ

لا تُـنـكـروا أنّـي سُـبـيـتُ وأنّـَني ... بِـنـتٌ لمَـلكٍ مـن بـَنـي عـبّـَادِ [٤]

---

(١) ينظر: نفح الطيب:٢١١\٤

(٢) ينظر: المرأة في الشعر الاندلسي عصر الطوائف(من سنة ٤٠٠-٤٨٤هـ) :٢٤٢

(٣) ينظر: نفح الطيب: ٢٨٤\٤.

(٤) الديوان: ٢٤.

نزهون الغرناطية (نزهون بنت القلاعي):

بنت القلاعي المروانية، من شواعر الاندلس الصادحات، ومن اعذبهن نفسا واطيبهن طبعا، ولها في مجالس الوزراء منزلة عالية. جوهرة لم يسمح بمثلها الدهر وفريدة على نساء العصر، كان ابو بكر بن سعيد صاحب الكتاب المعروف والشهير "المغرب في حلى المغرب" كانت له مجالس ادب وتحضرها الشاعرة إذ أولع الناس بمحاضرتها ومراسلتها، فكتب لها مرة [١]:

[المجتث]

يـــا مـــن لَـــهُ ألـــفُ خِـــلٍّ ... مِـن عـاشـــقٍ وصـــــديـقِ

أراك خليتَ للنـــــــــــــــا ... ـــــسِ مَنزِلاً في الطَّريقِ [٢]

فأجابته: [الطويل]

حللـــــــــــت ابا بكرٍ مَحَلاً مَنعتهُ ... ســـواكَ وهل غيرُ الحبيب لهُ صـــدري

وإن كـــان لـي كم من حبيـب فـإنمـا ... يُقـدِّمُ أهـلُ الحقِّ حُـبَّ أبي بَكرِ[٣]

عصر الطوائف والموحدين:

وقبل أن نغادر غرناطة "دمشق الاندلس" والبيئة الجميلة التي كانت تتمتع بها هذه المدينة من سحر وجمال وسهول ووديان وخضرة دائمة، نلتقي هناك شاعرة اخرى كانت معاصرة لنزهون، ولكنها على نقيضها في اسلوبها في الحياة وفي الشعر [٤].

حمدونة بنت زياد:

من وادي آش بالأندلس، وهي خنساء المغرب، وشاعرة بالأندلس، أديبة زمانها وفريدة أوانها، فأن أوجزت أعجزت بالمقال، وأن اطالت كاثرت الغيث الهطال، روت عن أفاضل العلماء ورووا عنها، ومنهم العلامة أبو القاسم البراق [٥]، ومن بديع شعرها قولها:

---

(١) ينظر: معجم الاديبات الشواعر:٤٥٨.

(٢) الديوان: ١١٤.

(٣) الديوان:١١٤.

(٤) ينظر: دراسات في التاريخ والادب والفن الاندلسي محطات اندلسية:١٩٣.

(٥) معجم الاديبات الشواعر:١٩٢.

[الطويل]

ولمـــا ابى الواشـــون إلا افتراقنـــا ومـــالـهـم عنـــدي وعنـــدك مـن ثـــار
وشـــــنوا على اســـــمـاعنـا كـل غـارة وقـــل حمـــاتي عنـــد ذاك وانصـــــاري
غـزوتـهـم مـن مـقـلـتـيـك وادمـعـي ومن نفسـي بالسـيف والسـيل والنار (١)

وزعم بعضهم إنّ هذه الابيات لبهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية، ولكنها لحمده اثبت وأشهر [٢].

ام العلاء بنت يوسف الحجارية:

كانت شاعرة لبيبة فصيحة اديبة ذات حسن وجمال وادب وكمال، لها قصائد طنانة، وموشحات رنانة، وإنّها من أهل المائة الخامسة [٣]، فمن شعرها قولها:

[الرمل]

كـلُ مـا يَصـــــدرُ مِنكم حَســـنُ وَبُـعـلـيَـاكُـم يَـحـلـى الـزَّمـنُ
تَـعـطِـفُ الـعَـيـن عَـلـى مَـنـظـركُـم وبِـــذكـــراكُـــم تَـــلـــذُّ الأُذنُ
مَـن يَـعِـش دونَـكُـمُ فـي عُـمـرِهِ فَـهـو فـي نَـيـلِ الأَمـانـي يُـغبَنُ [٤]

قسمونه بنت إسماعيل اليهودية:

قال في "المغرب" من أهل المائة السادسة، كان أبوها قد اعتنى بتأديبها، وكان ابوها ربما صنع القسيم من الموشحة، فأتمها بقسيم آخر، وقال لها ابوها يوما أجيزي [٥]:

[الكامل]

لي صـــــاحبـة ذات بهجـة قـد قـابَلـت نفعا بضـــر واســـتَحلَّت جِرمَها [٦]

ففكرت مدة غير كثيرة وقالت:

---

(١) الديوان: ٦٠.
(٢) ينظر: معجم الاديبات الشواعر:١٩٢.
(٣) ينظر: المصدر نفسه:٤٣.
(٤) الديوان: ٩٢.
(٥) ينظر: نزهة الجلساء في اشعار النساء:٤٧.
(٦) الديوان: ٩٩.

كـالشَّـــمسِ مِنّهـا البـدرُ يَقبِسُ نُورهِ أَبدا ويكسِـــفُ بَعد ذلك جِرمَها [١]

أسماء العامرية:

من أهل اشبيلية، كتبت الى عبد المؤمن ابن علي رسالة كتبت فيها إليه بنسبها العامري، وتسأله في رفع الإنزال عن دارها، والاعتقال عن مالها، وفي آخرها قصيدة [٢] **اذ تقول:**

[الوافر]

عَرفنـا النصـــرَ والفتحَ المبينـا لسـيّـدنـا أمـيـر المُـؤمـنـيـنـا

إذا كـــــانَ الحـــــديثُ عن المعالي رأيـت حـديـثـكـم فـيـنـا شُجونا

رَويـــتُـــم عـــلمـــه فـــعـلمـتـمـوهُ وَصُـنـتـم عـهـدهُ فَـغدا مَـصـونـا [٣]

الشلبية:

قال ابن الآبار: ولم أقف على اسمها، فيقال: انها ألقيت يوم الجمعة عل مصلى المنصور، فلما قضي الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها، وأمر للمرأة بصلة [٤].

ام الهناء القرطبية:

بنت القاضي ابي محمد عبد الحق بن عطية، سمعت أباها، وكانت حاضرة النادرة، سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل، ولها تأليف في القبور، ولما ولي ابوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجدا لمفارقة وطنه، فأنشدته متمثلة [٥]:

[الكامل]

يـا عين صـــــار الـدمع عنـدك عـادة تـبكـيـن فـي فـرح وفـي احـزان [٦]

حفصة الركونية:

---

(١) الديوان: ٩٩.

(٢) ينظر: نفح الطيب: ٢٩٢\٤.

(٣) الديوان: ١٥.

(٤) ينظر: نفح الطيب: ٢٩٤\٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٢\٤.

(٦) الديوان: ١٢٠.

من أهل غرناطة، قال ابن سعيد في كتاب الغراميات كانت أديبة شاعرة جميلة مشهورة بالحسب والمال، وهي إحدى شريفات غرناطة بوفر المال، وفرط الجمال، وما تزدان به المجالس من حسن المساجلة، ولهو الحديث، ولذلك لم يكن بدعا أن يغدو في أثرها كثير من نساء أهل العصر وكانت نشأتها في القرن السادس وعمرت الى منتهاه [١].

وأنشد لها ما قالته في أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ارتجالا بين يديه:

[المجتث]

يَـا سَـــيّـدَ الـنَّـاسِ يـا مَـن ... يُـؤمّـلُ الـنَّـاسُ رفـدَه

امـنُـن عَـلَّـيَّ بـطـرسٍ ... يَـكـونُ لِـلـدَّهـرِ عُـدَّه

تَـخـطُ يُـمـنـاكَ فِـيـه : ... والـحَـمـد لـلـهِ وحـدَه [٢]

أُم السعد:

بنت عصام بن أحمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يحيى الحميري من أهل قرطبة. وتعرف "بسعدونة"، قال: "البدر النابلسي" في "التذييل": لها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما من أهل بيتها [٣]. انشدت لنفسها في "تمثال" نعل النبي "ص" **قائلة:**

ســـــألِـتُـم الـتـمـثـالَ إذ لَـم أجـد ... لِلثمِ نعـلِ المُصـــطفى من ســـبيـلِ

لـعـلـنـي أحـظـى بـتـقـبـيـلـه ... في جنَّـةِ الفردوسِ أَســنَى مقيـلِ [٤]

سارة الحلبية:

سارة بنت أحمد بن عثمان ابن الصلاح، الحلبية، الأستاذة الأديبة الشاعرة، لقيها بفاس عبد الله بن علي ابن سلمون واجازته والبسته خرقة التصوف وأنشدته ما تقدم في ترجمته (٦٦٧). وخاطبت ابن

---

(١) ينظر: نزهة الجلساء في اشعار النساء: ٤٤.

(٢) الديوان: ٤٤.

(٣) ينظر: نزهة الجلساء: ٢٩.

(٤) الديوان: ٦٨.

رشيد الفهري وخاطبها، ودخلت الأندلس ومدحت أمرائها، ثم قدمت على سبتة في آخر المئة السابعة فمدحت رؤساءها وخاطبت كتابها وشعراءها [١].

هذا وقد برزت عدة أسماء عرفن بالشعر والأدب ولكن أخبارهن وآثارهن ظلت نزرة قليلة لا تبين شخصيتهن أو تبين منزلتهن لا يوجد زمن ولا مكان محدد لحياتهن [٢]، تاريخ ومكان بعضهن غير معروف بشكل واضح.

فجاءت هذه النهضة النسوية لأن البيئة الأندلسية كانت مليئة بالحيوية والمتعة الراقية، لذلك تحركت الروح الشاعرة، للتعبير عن تجاربها المتعددة، فتنطلق الى قول الشعر تظفر الكلمات ياسمينا وقرنفل، ويروى أنه وجد في الاندلس ستون ألفاً من الشواعر وكان أغلبهن في غرناطة وكن يعرفن بالعربيات بدلا من الغرناطيات، لأنهن نهجن نهج العرب في القريض، وأعتقد ان هذا العدد مبالغ فيه، ولكنه لا يخلو من حقيقة، اذ لولا وجود حركة شعرية نسوية ما أطلق هذا الحكم [٣]، فالشاعرة لها مكانتها في الحياة الأدبية.

بواعث الشعر:

البواعث هي المحفزات والأسباب التي تدفع الشاعر إلى الكتابة والإبداع الشعري. وتُعد البواعث مرحلةً مهمةً في عملية الإبداع الشعري، إذ تؤدي اثرا حاسمًا في توجيه تفكير الشاعر وإلهامه. وتتألف البواعث من العوامل الطبيعية والنفسية والاجتماعية التي تحيط بالشاعر، وتؤثر على حالته النفسية وتفكيره وإبداعه الشعري. وفي هذا يمكن أن يتأثر الشاعر بجمال الطبيعة والأماكن التي يعيش فيها، وأيضًا بالمشاعر والأحاسيس الشخصية التي يعيشها مثل الحب والشوق والخوف والقلق والبؤس والشقاء، وبالأحداث والمشاكل الاجتماعيّة والرسالة الاجتماعيّة التي يحاول الشاعر ترجمتها وتوصيلها من خلال إبداعاته الشعرية. وتُعد هذه البواعث مصدر إلهام مهماً للشاعر إذ تساعده على توليد الأفكار وإنتاج النصوص الشعرية المميزة.

فتعد الطبيعة اهم البواعث التي دفعت الشعراء في الأندلس إلى الإبداع والتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم في شعرهم، وقد تميز الشعر الأندلسي بوصفه للطبيعة بمختلف تفاصيلها، مما يعكس حب

---

(١) ينظر: جذوة المقتبس: ٥٢٢.

(٢) ينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: ١٧٤.

(٣) ينظر : ينظر الشعر النسوي في الاندلس: ٤٠.

الأندلسيين للطبيعة واهتمامهم بها، ولذلك، فإن الشعر كان له تأثير كبير في ترجمة هذا الحب إلى واقع الحياة، ولهذا تميز الشعر الأندلسي بأصالته وتميزه في التعبير عن المشاعر الإنسانية من خلال وصف الطبيعة بجميع جوانبها، مما جعل الطبيعة محورًا للوحات الشعراء وتعبيراتهم عن الحزن والفرح وغيرها من المشاعر[١]، يتأثر الشاعر بكل ما يجري حوله من أحداث وتجارب، سواء كانت إيجابية أو سلبية، ويحاول ترجمة هذه التجارب والمشاعر والأفكار إلى لغة شعرية تعبر عنها بأبهى صورة.

ولعل اهم ما يميز الاندلس ترفها وجنتها ووصف شعرائها لبيئتها وحسن مناظرها، فقد ذهبوا يتغنون بمناظرها ومواطن الجمال والفتنة فيها ويشيدون بها ايما اشادة كقول **ابن سفر المريني** [٢]:

فـي أرضِ أنْـدَلُـسٍ تـلـتـذّ نَـعْـمـاءُ ولا تـفـارقُ فـيـهـا الـقـلـبَ سَـــرَّاءُ

وكيف لا تُبهجُ الأبصـــــارَ رؤيتُهـا وكلُّ رَوْضٍ بها في الوَشّـــي صَـــنْعاءُ

أنـــــــهارها فضَّةٌ والمسْكُ تربتُـــها والخـــــــــزُّ رَوْضَتُها والدُّرُّ حَصْباءُ

كان الشاعر ملما بطبيعة الأندلس، إذ وصفها وشخص مظاهرها، واستنطق مختلف مشاهدها، بأرضها الطيبة إذ الحياة الجميلة، فهي ذات أنهار كالفضة، وثرية المسك، وروضة كالحرير، وحصى كالدر، وهواء عليل يرق بفضله جافي الطبع وصور نسيمها ونداها بالطيب الذي امتزجت رائحته بماء الورد [٣]، فكانت هي الملهم لشعرائها.

وتفنن الأندلسيون تفننا واسعا في هذا الجانب، ساقهم ترفهم الى وصف الخمر مع وصف الزهر ثم وصف مجالس الشراب وما ينطوي فيها من قيان واستتبع ذلك الترف عندهم غناء واسعا كان من اثاره ظهور الموشحات والازجال [٤]، فالأندلسيون كانوا متميزين في الترف والرفاهية التي كانت تتمتع بها هذه المجالس، بالإضافة الى تمتع الناس بالغناء والموسيقى، وكان من بين النتائج الفنية لهذا النمط الثقافي هو ظهور أنواع مختلفة من الشعر والموسيقى.

ومنح الله الاندلس طبيعة ساحرة فكانت اغنى بقاع المسلمين مشهدا وأكثرها جمالا ترتفع فيها الجبال وتمتد في بطاحها السهول الواسعة وتجري فيها الجداول والانهار، فقد تحدث عن جمالها كل من

---

(١) ينظر: المكان في الشعر الاندلسي :محمد عويد الطربولي: ٣٨.

(٢) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٤١٤.

(٣) ينظر: الادب الاندلسي، د. سامي يوسف: ٨٠.

(٤) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٤١٤.

حلها، وقد كان من أثر جمال الاندلس أن ولعت بها القلوب وهامت بها النفوس، فتعلق بها الاندلسيون واقبلوا يسرحون النظر في قطائفها وينعمون بمفاتنها ما شاء لهم، وأخذ الشعراء الكتاب ينسقون كلمهم دررا في وصف رياضها ومباهج جنانها بعد ان فتحت في نفوسهم قول الشعر وجعلتهم يرون فيها [١]، كما يقول **ابن خفاجة:**

إن لـــلـــجـــنـــةِ فـــي الأنـــدلـــسِ مـــجـــتـــلـــى حُســـــنٍ وريّـــا نـــفـــسِ

فَســـنـــا صـــــبحتـــهـــا من شـــنـــبٍ ودُجـــى ظـــلـــمـــتـــهـــا مـــن لـــعـــسِ

فـــإذا مـــا هـــبـــت الـــرّيـــحُ صـــــبّـــاً صِـــــحتُ: وأشـــــواقي إلى الأندلُسِ [٢]

تمثل الطبيعة باعثا يحفز الإنسان على التفكير والابتكار والإبداع، ويأتي من العوامل الطبيعية التي تحيط بالإنسان، بما تتضمنه من مشاهد وألوان وروائح وأصوات، فعندما يراقب الشاعر جمال الطبيعة وروعتها، يتأثر بمشاعر الإعجاب والدهشة والجمال، وينتابه شعور بالرغبة في التعبير عن هذه المشاعر بأسلوب شعري جميل ومعبر.

كانت مجالس الأنس واللهو بمثابة بيئة إلهاميه للشعراء الأندلسيين، إذ كانت تضم مفردات شعرية غنية وتمثل مظهرًا حيويًا عازفًا على أوتار من الفرح والإطراب، وتعبر عن شوق الشعراء للطبيعة الأندلسية وحنينهم إليها عند فقدانها. وكان هذا الحنين هدفًا شعريًا بارزًا للشعراء الأندلسيين [٣]. كما اشتُهِرَت بعض المجالس الأدبية التي كان يلتقي فيها كبار الأدباء والشعراء، مثل مجلس المعتمد بن عباد ومجلس ولادة في قرطبة [٤]، ولقد لعبت هذه المجالس دوراً مهماً في تأثيرها على شعراء الأندلس وتطوير قدراتهم الشعرية.

وننتقل إلى باعث آخر من بواعث الشعر، وهو الامتزاج الحضاري في هذا الجو، من جهود المؤدبين الذين قاموا بالقياس على الأساليب الغنائية المشرقية. فقد كان الأسلوب الشعري في الأندلس يتأثر بهذه التقاليد؛ لذلك كان الشعر في حاجة إلى أبعاد إضافية تجعله ينفصل عن هذا النوع من الغناء ويتمتع بالعمق الثقافي. وقد حاول العلماء والمؤرخون والمؤلفون في الأندلس العمل على تعزيز الثقافة

---

(١) ينظر: في الادب الاندلسي د. جودت الركابي :١٣٠.

(٢) ديوان ابن خفاجة: ١٧٨.

(٣) ينظر: المكان في الشعر الاندلسي: محمد عويد الطربولي:٣٩.

(٤) ينظر: الاخلاق الاسلامية في الشعر الاندلسي عصر ملوك الطوائف: ٧٠-٧٥.

والتقريب بين المقيمين والمهاجرين، وتعزيز الفقه واللغة والطب والتنجيم، وتشجيع المؤلفين على الكتابة والتأليف [١]، فكان لهذا الامتزاج الحضاري الأثر الكبير في تكوين المجتمع الاندلسي لتعزيز الحضارة والثقافة فيه.

تأثير الثقافة العربية المشرقية على الأندلس كان فعالًا وقويًا، إذ يشير إلى وصول العلماء والأدباء والفنانين من المشرق إلى الأندلس، وهم يحملون معهم ثروةً من التراث العربي القديم والحديث، فضلا عن العادات الاجتماعيّة المشرقية. كما أن الأندلسيين كانوا يسافرون إلى المشرق للتعلم والتأليف، ويعودون بالكتب والمعارف التي اكتسبوها هناك لنشر العلم بين الناس [٢]. وبهذا الامتزاج الثقافي بين العرب المشرقيين والأندلسيين، احتوت مساكن الاندلس الثقافة المشرقية ونمت الحضارة في الأندلس، وتحقق النبوغ في مختلف فروع العلم والمعرفة، إذ كان هذا الأمر يعززه دعم الحكام في الأندلس للثقافة والعلم، وتوفير الظروف المناسبة لتقدمها ونموها.

أما باعث الغناء يشير إلى العوامل التي تثير الشعور بالإلهام والإبداع لدى الشعراء الأندلسيين، والتي تشكل الأساس لإنتاجهم قصائد شعرية رائعة وجميلة. وقد كانت الأندلس في المدة الإسلامية الذهبية منصة لتألق الشعراء والأدباء، اذ كانوا يعدون المشاعر الإنسانيّة العميقة كالحب والغرام والشوق والأسى والفرح والأمل والإيمان هي العناصر الأساسية التي تحفز الإبداع الشعري.

ولعل أهم من رحلوا من بغداد إلى الأندلس، والذين تركوا أثراً كبيراً في حياة الأندلس الفنية والعلمية، هو **علي بن نافع الملقب بـ "زرياب"**، والذي حمل معه إلى الأندلس فنوناً من الأنغام المشرقية، وقد أسهم بشكل كبير في تطور الموسيقى والغناء في المنطقة، كما كان له دور مهم في المجال الاجتماعي، إذ أدهش أمير الأندلس بمهاراته، وأصبح ملازماً له. وبسبب هذه المواهب الرائعة، أصبح زرياب معروفاً في الأندلس باسم الرجل المتمدن والعصري [٣]، فنتيجة لهذا التواصل كان النضج والتميز واضحاً.

تُرافقَت فترةُ الانتعاش الثقافي والاقتصادي الذي شهدته الأندلس خلال الفترة الإسلامية الذهبية بتغيُّراتٍ في نمط حياة الأندلسيين، مما أدى إلى تحوُّلهم إلى البحث عن الراحة والترفيه والمتعة. ونتيجة لذلك، ظهرَت ثقافةٌ جديدةٌ مميزةٌ بالترف والتأنق والاهتمام بالفنون والموسيقى والشعر، وتمكَّنت الحياةُ

(١) ينظر: تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة :احسان عباس: ٦٢.

(٢) ينظر: فصول في الادب الاندلسي: ٤٤-٤٥.

(٣) ينظر: ملامح الشعر الاندلسي:٢٤.

الاقتصادية في الأندلس من الازدهار نتيجة الاستقرار النسبي في الحياة السياسية. وقد ساهمَ هذا التحولُ في الثقافة والنمط الحياتي للأندلسيين في انتشار العلم والثقافة، وأدى إلى ازدهار الكتابة والأدب والشعر والنثر، كما شجَّعَ تصنيف الشعر والتأليف الأدبي وتنمية العلوم والمعارف. ويعكس هذا الأمر أهمية الثقافة والأدب والعلم في الأندلس خلال ازمان الانتعاش الثقافي، وكيف أن تغيُّرات النمط الحياتي للأندلسيين أثرت بشكل واضح على تنمية هذه الثقافة ونموِّها [١]، فكل ما سبق كان له تأثير ملحوظ على حياة الأندلسيين.

كما أن المرأة الأندلسية تؤدي دورًا مهمًا في الحياة السياسية في الأندلس، إذ كانت تتمتع بالقوة والنفوذ، وتشارك في السلطة إلى جانب زوجها، وتتصرف بملء استقلالها في ثروتها الخاصة وأملاكها. ويعود هذا النفوذ والقوة التي كانت تتمتع بها المرأة الأندلسية إلى حكمتها وعلو مكانتها، فكان نفوذ بعض النساء الأندلسيات في الحكومة الأندلسية كبيرًا، إذ صبحت أم الخليفة هشام من دهاة النساء وأعظمهن سلطانًا ونفوذًا، ويشير التاريخ إلى تدخل بعض النساء الأندلسيات في شؤون الدولة [٢]. كما هو مشهور بشأن **اعتماد الرميكية** ذات الشأن العظيم في تاريخ المعتمد، فقد ملكها المعتمد وتملكت زمام هواه، واتخذ المعتمد من اسم اعتماد الرميكية لقبًا رسميًا لنفسه في تاريخ دولة بني عباد التي أنجبت للمعتمد أولادًا شاركوا أباهم في امتلاك الأندلس [٣]، للمرأة دور إيجابي واضح في مشاركتها الحياة السياسية، اذ كان لها دوافع محفزة وقوة تمكنها من الظهور في المجال السياسي.

إنَّ أهم باعث للشعر في الأندلس هو الحرية التي كان يتمتع بها الشعراء في التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، دون الخوف من التعرض للملاحقة أو العقاب. وبدأوا يتنافسون في إبداع القصائد والنصوص الشعرية التي تتحدث عن الحب والجمال والطبيعة والإيمان وغيرها من المواضيع، ويستعملون أساليب الشعر الجميلة والرقيقة للتعبير عن أفكارهم وآرائهم. والشواعر، كانت تتمتع بحرية نادراً ما تتمتع بها اختها في الشرق في بعض النواحي، إذ احتلت المرأة الأندلسية مكانة عظيمة في المجتمع. وكانت النساء من بين المبدعات في الأدب والفكر والنحو واللغة والشعر والعروض والطب والفلك وعلم التشريح والرقص

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦-٣٥.

(٢) ينظر: إسهام المرأة الاندلسية في النشاط العلمي في الاندلس:٧٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه:٧٧.

والغناء، وغيرها من المجالات [١]، وهذا يعكس البيئة الثقافية المتسامحة والمتعددة الثقافات التي كانت تعيش فيها الأندلس في ذلك الوقت، وبالتالي فإن الحرية عند شواعر الاندلس تعكس حالة الإبداع الشعري والتعبير الحر الذي تمتع به الشعراء في الأندلس، والذي أدى إلى تطوير الأدب والشعر في تلك الحقبة الزمنية.

تعددت الآراء والأقوال حول حرية المرأة الأندلسية، وأثار ذلك جدلاً بين الباحثين، إذ تنقسم الآراء بين مؤيد ومعارض. يسعى المؤيد إلى توضيح مدى تأثير الغرب الإسباني على حرية المرأة المسلمة في الأندلس، بينما يسعى المعارض إلى توضيح مدى محافظة الإسلام والمسلمين، إن لم يكن تزمتهم، في الحفاظ على حرية المرأة.

يتبنى "هنري بيرس" الرأي الأول بشأن حرية المرأة، إذ يروج لفكرة أن المرأة الإسبانية المسلمة قد حصلت على حرية كبيرة في الحركة والعمل والثقافة، ولعبت دوراً مهماً يفوق ما لعبته نظيراتها في المشرق، ولم تكن سجينة منزلها كما هي الحال في العادات الشرقية. ويؤيد بيرس هذا الرأي بما يقوله "**سانشيث البورنث**" بشأن حرية المرأة لمشبعة بجذور وإيحاءات غربية، بل ومسيحية أيضاً، والتي يتضح دورها بشكل واضح في تكوين العنصر الأندلسي [٢]، يرون أن الحضارة الإسلامية في الأندلس أسهمت في تحسين وضع المرأة، وأنها كانت تتمتع بدرجة من الحرية والاستقلالية في المجتمع.

أما الرأي الثاني فيتزعمه المستشرق الإسباني "ريبيرا" وتتسم آراؤه بالتشدد تجاه المرأة ووضعها ومكانتها ودورها. يؤكد "ريبيرا" وجود بارقة أمل لإنقاذ المرأة الأندلسية من الوضع المزري الذي وجدت فيه. كانت حياتها بطيئة وكئيبة، وكانت محبوسة ومعزولة، ولم ترَ العالم الخارجي أبدًا، ويعزو "ريبيرا" أسباب ذلك إلى أن النساء كان عددهن ضعف عدد الرجال، وأن طبيعتهن لا تؤهلهن لممارسة الأعمال التي يقوم بها الرجال، ويرضين دائمًا بأنصاف الأعمال والتي تكون غير ضرورية [٣]، يرون أنه لا يجب التفكير بأن المرأة الإسلامية كانت حرة تماماً، وأن بعض العادات والتقاليد الإسلامية كانت تحد من حريتها.

---

(١) ينظر: الاخلاق الاسلامية في الشعر الاندلسي عصر ملوك الطوائف: ٥٠.

(٢) المرأة في المجتمع الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط قرطبة: ٤٧.

(٣) المصدر نفسه: ٤٨.

وبهذا يمكننا القول إنّ الشاعرة الاندلسية، كانت حرة في التعبير عن أفكارها ومشاعرها وانفعالاتها سواء في المجالس أو المنتديات التي تم فيها اختلاط الرجال والنساء. فعبر شعرها عن صورة صادقة وحقيقية يحمل في طياته عواطف تتداخل بين الحب والشوق والكره.

الفصل الأول

البواعث النفسية

المبحث الأول: الشكـــوى

المبحث الثاني: الحـــزن

المبحث الثالث: الغـــربة والحـــنين

مدخل:

الباعث هو "ما يحمل على الفعل، كالباعث على الثورة، والباعث على التنظيم، ويطلق على كل سبب عقلي يحدث فعلا إراديا أو ينزع إلى أحداثه ،أو على كل حالة ذهنية تغلب فيها العناصر العقلية على العناصر الانفعالية، قال **(لاروشفو كولد)** لو اطلع الناس على جميع بواعثنا لاضطربنا من الحياء .وقال **(سارتر):** "الباعث هو السبب العقلي للفعل، أي مجموع الاعتبارات العقلية التي تسوغه ويطلق على علاقة الفعل بالأسباب الباعثة عليه اسم التسبيب أو التعليل فالتسبيب يكون قبل الفعل ويسمى حفزا وتشويقا والتعليل يكون بعد الفعل ويسمى تسويغا أو تبريرا" [١].فالبواعث هي تلك القوى التي تساعدنا نحو أشياء ليكون عبارة عن سلوك علمي ممكن أن يُشاهد وممكن أن يُحكم عليه من خلال سلوكه الذي نتج من خلال البواعث النفسية.

يشير استعمال علماء النفس لمصطلحات مثل "الدافع"، "الحاجة"، "الحافز"، "الغريزة" إلى تكوينات داخلية مفترضة تشير إلى العوامل التي تحفز السلوك البشري وتحدد سلوكهم فهي تعد أداة مفيدة لفهم السلوك البشري ولكن لا يمكن قياسها بشكل مباشر أو ملاحظتها بسهولة، يتم تطبيق مصطلح "الاحتياجات" عادة لوصف العوامل التي تحتاج إليها الأفراد للبقاء على قيد الحياة والتنمية الشخصية والنمو، تتضمن هذه الاحتياجات الجسدية مثل الغذاء والماء والنوم، والاحتياجات النفسية مثل الشعور بالأمان والحب والتقدير، والاحتياجات الإجتماعيّة أو غير الجسدية، أو التعلم أو التوليفيّة منهما، عادة ما يكون الاحتياج هو الدافع وراء السلوك البشري، ويمكن أن يحفز الأفراد على اتخاذ إجراءات معينة لتلبية هذه الاحتياجات، وتختلف من شخص لآخر وتتغيّر على مر الزمن [٢]، فكل ما ذكر كان يدل عن شيء لاشعوري داخلي ممكن يتحول إلى سلوك عملي شعوري محسوس.

وقد ميّز علماء النفس بين الدوافع الداخلية والخارجية بطريقة تشبه كثيرا تمييزهم للمعززات الداخلية والخارجية. الدوافع الداخلية تكون فطرية، تشير إلى الحاجات والغرائز البيولوجية الفطرية التي تولد مع الكائن الحي وتدفعها لإتخاذ سلوكيات معينة لتلبية هذه الحاجات، وتعد فطرية؛ لأنها تنشأ بشكل طبيعي وتكون موجودة في جميع الأفراد من الجنس نفسه. لا تحتاج إلى تعلم أو تدريب للتعرف عليها، وعادة ما

---

(١) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية:١٩٦.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم النفس ،ليندا دافيدوف:٤٣١.

تكون هذه الدوافع الداخلية مرتبطة بحاجات البقاء وتسمى أحيانًا "الدوافع الأساسية" أو "دوافع البقاء" [١]، إذاً فكل ما يحتاجه الإنسان للبقاء على قيد الحياة يُعد من الدوافع الفطرية الغير مُتعلمة بل والغير مكتسبة تسمى الداخلية أي ما كان منشأها من ذات الإنسان.

اما الدوافع الخارجية فتسمى هذه الدوافع دوافع ثانوية أو مكتسبة ويمكن تعلمها من خلال الخبرة والتفاعل مع البيئة المادية والاجتماعية وفقًا لعمليات الدعم والعوائق التي يوفرها المجتمع، تتضمن هذه الدوافع مجموعة من الاحتياجات النفسية والاجتماعية مثل الحاجة إلى الانتماء والصداقة والسيطرة والتفوق والاعتراف والقبول الاجتماعي وغيرها من الدوافع، التي يمكن على سلوك الفرد وتحفيزه على القيام بأنشطة معينة أو تجنب أنشطة أخرى [٢]، فالدوافع التي ممكن تعلمها من خلال مهارات معينه تساهم بشكل أو بأخر بتلبية حاجات الانسان تسمى بالدوافع الخارجية.

فالعنصر النفسي الأصيل هو عنصر بارز في كل خطوة من خطوات العمل الأدبي، فهو " تعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية" [٣]. وقد أدرك علماء النفس أهمية دراسة الإبداع الشعري، لأنه يمثل حالة انفعالية حقيقية تعبر عن المعاناة النفسية للمبدع. يعتمد الإبداع الشعري على المشاعر والأوهام التي تنشأ من العقل والقلب، مما يجعل المبدع يعيش تحت ضغط نفسي يؤثر على نفسيته وسلوكه. ومن خلال إنتاجه الفني، يتمكن المبدع من التعبير عن تلك المشاعر والأوهام التي يعيشها في عالمه الخاص، وينقلها إلى حياته الفنية. يؤثر الإبداع الشعري على نفسية وفكر المتلقي، حيث يمكن للشعر أن يحفز المشاعر والأفكار لديه وينقله إلى عوالم جديدة ومختلفة.

غالبا ما تؤثر البواعث والانفعالات والجوانب المعرفية على الحوافز الأساسية والتي تؤدي دوراً بارزاً في إثارة الدافعية لدى المبدع مثل تلك الأفكار والمشاعر التي تصدر عنه فتقوم بدورها باستثارة السلوك الشخصي لديه، لكنه قد لا يفسر بصورة ملائمة عمل كل الدوافع [٤]، لذلك فإنَّ الشاعر تتأثر قصيدته بالكم المعرفي الذي يحمله من خلال أثر دوافعه وانفعالاته فغالبا ما تكون القصائد هي تفريغ لانفعالات بداخل الشاعر.

---

(١) ينظر: مدخل إلى علم النفس، د. عماد عبد الرحيم الزغول، د. علي فالح الهنداوي :٢٩٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه :٢٩٨.

(٣) النقد الادبي اصوله ومناهجه :٢٠٧.

(٤) ينظر : مدخل الى علم النفس، ليندا دافيدوف :٤٣٩.

لا يكاد شاعر أو راوئي أو ناقد للشعر العربي يجرد خطابه من رؤى سيكولوجية ترتبط بأثر الشعر في صاحبه وفي المتلقي، ومن بدايات من عزي إليهم نعت لأثر الشعر في النفس أعشى قيس، إذ قال من قصيدة شك فيها ابن قتيبة، اذ يقول [١]:

وَالشِّعْرُ يَسْتَنزِلُ الكَرِيمَ كَمَا آسْـ تَنْزِلَ رَعدُ السَّحَابةِ السَّبَلاّ [٢]

أي أنه يجعل أثر الشعر في نفس الشاعر وفي المتلقي واضحاً كأثر الرعد في المطر، وفق تخيل الجاهليين الذين كانوا يرون في أشياء الطبيعة قوى خارقة تتدخل في حياتهم، ومن ثمَّ يمكن للشعر أن يؤثر في النفوس المتضادة [٣]، إذ إن مجمل الفنون هو تعبير عن أحاسيس ومشاعر صاحبها، تارة يعبر عن نفسه وتارة يعبر عن الآخرين، وذلك بشرط أن يشعر الفنان بما يشعر به الآخرون، وهذا الإحساس وتلك المشاعر مرتبطة بالحالة النفسية التي تتأثر بشكل مباشر أو غير مباشر بالدوافع والحوافز والبواعث والحاجات.

كان ابن سلاّم الجمحي، المتوفى سنة (٢٣١هـ) أول من تحدث عن مظاهر الانفعال وعلاقة الشعر بالنفس الإنسانية وذلك نتيجة؛ للتقلبات السياسية التي أدت إلى الحروب [٤]. إذ يقول "وبالطَّائف شعرٌ ليس بالكثير، وإنما كان يكثر الشِّعر بالحُروب التي تكون بين الأحْياء، نحو حَرب الأوسِ والخَزرج، أو قَوم يُغيرِون ويُغَار عليهم. والّذي قلَّل شِعر قُريش أَنه لم يكن بينَهُم ثائِرةٌ، ولم يحاربوا. وذلك الذي قلَّل شِعر عُمَان وأهلُ الطَّائف في طَرفِ" [٥]. وهنا كانت دلاله واضحة على أن الشعراء يكتبون ويبدعون بحال تواجد انفعالاتهم التي تُسهم في تحفيز قريحتهم الشعرية.

تحدث ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في كتابه "الشعر والشعراء" عن بعض الجوانب الفنية والنفسية للشعر، فذكر أن للشعر بواعث [٦] بقوله: "وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها

---

(١) ينظر: نظريات الشعر عند العرب:١٧١\٢.

(٢) ديوان الأعشى:٩٤.

(٣) ينظر: نظريات الشعر عند العرب: ١٧١\٢.

(٤) ينظر: الاتجاه النفسي في نقد الشعر:٢٣.

(٥) طبقات فحول الشعراء: ٢٥٩.

(٦) ينظر: من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده :١٩.

الشوق، ومنها الشراب ومنها الطرب، ومنها الغضب" [١]، هذه البواعث مرتبطة ارتباطا وثيقا بطبيعة الشاعر النفسية.

اما حازم القرطاجني (٦٨١هـ) فإنَّه وضح حقيقة البواعث النفسية لعملية الإبداع في أنها "أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس، لكون تلك الأمور مما يناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين، فالأمر قد يبسط النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء، ويقبضها بالكآبة والخوف، وقد يبسطها أيضاً بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع، وقد يقبضها ويوحشها بصيرورة الأمر من مبدأ سار إلى مآل غير سار" [٢]. فجاء لربط مفهوم الشعر بالشعور، وللشعراء أغراض وهي الباعثة على قول الشعر، فهي أمور تحدث عنها انفعالات وتأثيرات للنفس، فإذا كانت مما تناسبها، انبسطت لها النفس وارتاحت، فتحركت للمدح، وإذا كانت مما تمقتها، انقبضت لها النفس وتحركت للذم، وبهذا تكون الأقوال في الأشياء التي علقتها بمقاصد النفوس متنوعة إلى فنون كثيرة [٣]، فأن أساس الابداع هو ما يحدثه من تأثير وانفعال نفسي بداخله.

كما عدّ حازم القرطاجني أنّ التخييل والمحاكاة يشكّلان جوهر الإبداع الشعري، فقد حدّد العوامل الخارجية التي تعين المبدع على قول الشعر، فيقول: "إنّ الشعر لا يتأتى نظمه على أكمل ما يمكن إلاّ بحصول ثلاثة عوامل، وهي: المهيئات، والأدوات، والبواعث [٤]، وبناءً على ذلك، يضع حازم القرطاجني البواعث النفسية ضمن عملية الإبداع كدوافع لقول الشعر. ويختلف هذا الدافع من شاعر لآخر، ولكن الاختلاف يندرج في إثارة الانفعالات النفسية، التي من أهمها: الوجد، الاشتياق، الحنين إلى المنازل المألوفة، والافهام عند فراقها وتذكر عهودها وعهودهم الحميدة فيها [٥]. فإن أساس الشعر هو تأثيره في المتلقي وعمق وقعه في النفس الانسانية.

ويحدد **ابن رشيق القيرواني** (٤٥٦هـ) قواعد الشعر وبواعثه فيجعلها أربعة بواعث، بقوله: "فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة

---

(١) الشعر والشعراء: ٧٨/١.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ١١.

(٣) ينظر : المصدر نفسه:١١-١٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه:٤٠-٤١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه:٢٩٤.

النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع" [١]، بتوظيف هذه البواعث بشكل صحيح، يمكن للشاعر إيصال رسالته وتأثيرها بشكل أفضل على القارئ.

وفي وصف البواعث لقول الشعر الجيد والآثار النفسية للشعر، لا شك في أن المبالغة أو القواعد التي وضعها النقاد، إنّ لم تكن صحيحة، فقد شكى الشعراء من بخل بعض الممدوحين على سبيل المثال، إذ لو كان قلبهم بخيلاً لما مات شعراء كبار مثل ابن الرومي فقيرًا؛ لذلك من الأفضل أن نقف عند بعض المصطلحات المتعلقة بالجوانب النفسية، وهي الطبع، الرغبة، اللذة، الطمع، والمتعة والفائدة، اللمح والإيماء، والعجب والتعجب والتعجيب [٢]. الجوانب النفسية للشعر هي عناصر مهمة لفهم الشعر وتأثيره على القارئ.

نظريات التحليل النفسي:

تسعى نظرية التحليل النفسي إلى تفسير تطور العديد من الاضطرابات السيكولوجية، مثل الأرق والقلق والاكتئاب والفوبيا واضطرابات الشخصية وغيرها، من خلال دراسة العوامل النفسية والشخصية التي تتم في اللاشعور والتي يمكن أن تؤثر على سلوك الفرد [٣]. يعد **سيجموند فرويد** من أشهر الباحثين في مجال علم النفس، حأول تحليل الإبداع الشعري والفني، فتبين له أنّ مملكة الخيال مأوى يؤسس إبان الانتقال المرير من مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع، كي يقوم مقام إشباع الغرائز التي ينبغي التخلي عنها في واقع الحياة. الفنان كالعصابي، ينسحب من واقع لا يرضى به إلى دنيا الخيال هذه، ولكنه على خلاف العصابي، يعرف كيف يقفل منه راجعاً ليجد مقامًا راسخًا في الواقع [٤]. اكتشف فرويد أنَّ مملكة الخيال هي مأوى للإنسان، حيث يتخيل الأشياء التي يتعذر تحقيقها في الواقع، ويشبه الفنان العصابي الذي ينسحب من الواقع إلى دنيا الخيال. ولكن يختلف الفنان عن العصابي في أنه يعرف كيفية العودة من عالم الخيال إلى الواقع بطريقة متزنة، ويستطيع العمل والاندماج في المجتمع.

---

(١) العمدة :١٢٠.

(٢) ينظر: نظريات الشعر عند العرب :١٧٧/٢.

(٣) ينظر: أنماط الشخصية اسرار وخفايا :٣٧ .

(٤) ينظر: حياتي والتحليل النفسي:٩٨.

والفنان المبدع في رأى **فرويد** هو انسان محبط في الواقع؛ لأنه يريد الغنى والقوة والشرف، لكن تنقصه الوسائل للوصول إلى هذه الإشباعات، ومن ثم فهو يلجأ إلى التسامي الذي يشير إلى العملية التي يتم من خلالها تهذيب واعادة الدوافع والاندفاعات الفطرية والغريزية في شكل أدبيات جديدة ومتعلمة وغير غريزية وتحقيقها خياليا [١]. فالنشاط النفسي موزع بين ثلاث قوى، الأنا والأنا الأعلى والهو، وهذه القوى تعمل في مستويات ثلاثة، الشعور واللاشعور وما تحت الشعور فالنفس كما يقول فرويد مسرح جيولوجي مكون من فئات ثلاث، تنتج فيه قوى ثلاث معالم كل منها واضحة [٢]، فرويد اعتقد أن الفنان المبدع هو شخص محبط في الواقع؛ لأنه يسعى إلى تحقيق الإشاعات الغريزية الأساسية مثل الغنى والقوة والشرف ولكن يفتقر إلى الوسائل لتحقيق ذلك. ولذلك، فإنه يلجأ إلى الفن والتسامي لتهذيب وإعادة الدوافع والاندفاعات الفطرية والغريزية بشكل أدبي جديد وغير غريزي، اما القوى فتؤثر على سلوك الإنسان وتشكل شخصيته وسلوكياته.

اما تلميذه **يونج** في تحليله للشخصية الإنسانية كان أكثر عمقاً وأبعد مدى من فرويد فهو يرى أن أصول الشخصية والسلوك أكثر قدما من الفرد، ويمكن ارجاعها إلى العصور القديمة، أي أنها ترجع إلى الأصول الإنسانية كنوع، مما أدى إلى تكوين "اللاشعور الجمعي" [٣]، وفرويد يتفق معه على مبدأ اللاشعور بوصفه مظهرا من مظاهر الفن، ويسميه "اللاشعور الفردي أو الشخصي" أو "الخافية الخاصة" وهي ادراكات حسية ذات قوة غير كافية لبلوغ الواعية وهذه الادراكات على الرغم مما اختزنته من ذكريات مكبوتة أو منسية يكون في وسعنا استرجاعها [٤]، ولكنه يضيف إليه لونا آخر يسميه "اللاشعور الجمعي" أو "الخافية العامة" وهي "الجانب النفسي الذي يشكل الخافية بكل ما تحمله هذه الكلمة "اللاشعور الجمعي" من معنى" [٥]، ويعتقد يونغ أن فهم هذا الجانب النفسي للشخصية يمكن أن يساعدنا في فهم تأثير الجوانب النفسية للشعر وغيره من الفنون على النفس والمشاعر والتفكير.

---

(١) ينظر: الأسس النفسية للإبداع الادبي:٩٠.

(٢) ينظر: الأسس النفسية للإبداع الفني :٨٣.

(٣) ينظر: علم نفس الشخصية، د. حلمي المليجي :١٢١.

(٤) ينظر :المصدر نفسه:٢٦ .

(٥) علم النفس التحليلي ، ك. غ .يونغ: ٢٦.

ويرى يونج اللاشعور الجمعي هو منشأ الإبداع الفني هو الأساس العنصري الموروث للبناء الكلى للشخصية، فعليه يبنى الأنا واللاشعور الفردي والمكتسبات الفردية الأخرى، فهو يحوي كل الخبرات البشرية المتراكمة من الماضي البعيد، والتي تعود إلى مرحلة ما قبل الإنسان، بشرط أن تتكرر هذه التجارب مرات عديدة، وتترك آثارها في مخ الإنسان [١]، اذاً يختزن الشاعر التجارب التي يمر بها في اللاشعور وينقلها الينا في مقطوعات شعرية.

وان الوصول الى نظرية الابداع الفني عند **يونج** يكون بالإسقاط وتعني "العملية النفسية التي يجول بها الفنان تلك المشاهد الغريبة التي تطلع عليه من اعماقه اللاشعورية، يحولها الى موضوعات خارجية يمكن ان يتأملها الاخرون" [٢]، أن الفنان لديه قدرة خاصة على الاستشعار والحدس وفهم العواطف والمشاعر بشكل عميق، مما يسمح له بترجمتها إلى رموز فنية وتجسيدها وبهذا الحدس، يستطيع إيجاد الرموز التي تعبر عن مشاعره وأفكاره وإيصالها بشكل فعال للجمهور[٣]، ويتم ذلك عن طريق استنباط مشاهد العمل الفني من خلال الخيال والإبداع، ووضعها في شكل رمزي يمثل الفكرة التي يريد التعبير عنها.

اما **الفرد آدلر** فله وجهة نظر في الإبداع الفني، يرجع أدلر "إنّ مشاعر النقص الذاتي أو الإحساس بعدم الكمال تكون قوة دافعة أكبر لدى الإنسانية وبعبارة أخرى تدفع الانسان الحاجة إلى التغلب على نقصه، فالكمال هو هدف الحياة عنده" [٤]، يرجع الابداع إلى النقص الذاتي.

اما ما يؤكده **برجسون** أن جوهر الإبداع هو الانفعال عبر هزة عاطفية تبنى على وجوب التفرقة بين نوعين من الانفعال السطحي والعميق، حيث يتعلق الأول بالانفعالات التي تنشأ عن تصور أو فكرة معينة، ولا تؤثر في الفرد بشكل عميق أو دائم. أما الانفعال العميق فيكون هو السبب الرئيسي وراء ابتكار الخيالات والأفكار الجديدة والمبتكرة، وهو ما يميز الإبداع في الفن أو العلوم أو الحياة الاجتماعية.

---

(١) ينظر: سيكولوجية الشخصية، د. سيد محمد غنيم :٥٨٢.

(٢) الابداع في الفن:٢٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠.

(٤) نظريات الشخصية، ك. هول و ج لندزى ١٦٦.

ومن هنا يتضح أن جوهر الإبداع هو الانفعال العميق الذي يحرك الفرد نحو الإبداع والتجديد في أفكاره وخيالاته [1]، فالإبداع أساسه انفعال.

واضح أن الاختلافات بين علماء النفس تتعلق بالجزئيات والتفاصيل أقل من اهتمامها بالجوهر، فالعامل المشترك الذي يجمع بينهم جميعا هو الاتفاق على أهمية و دور الرغبات اللاشعورية في أنشطة الحياة الانسانية، وليس يهم بعد ذلك أكان مصدر الإبداع الفني هو اللاشعور الفردي الذي نادى به فرويد ، أو كان " اللاشعور الجمعي" الذى قال به يونج ،أو كان مصدر الابداع هو " الشعور بالنقص" كما قال إدلر إنما الاهم من هذا وذاك اتفاقهم على أهمية " اللاشعور" في عمليات الابداع الفني [2]، فالرغبات اللاشعورية لها دور في عمليات الابداع الفني.

(1) ينظر: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة :٢٠٩.

(2) ينظر: المنهج النفسي عند النقاد المصريين (رسالة ماجستير) :١٣.

[المبحـــــث الأول: الشكـــــــوى]

عُرفت الشكوى بأنها "الوتر الحزين الشجي في قيثارة الشاعر الفنان، يمنح فيها الكلمات ما تحشرج في فؤاده من غمة وحسرة، وما تفتت في لعابه من مرارة ولوعة، أوجدتها الغربة وقسوتها أو الدهر ونوائبه أو الحرب وويلاتها، أو الفقر وعوزه، أو غدر الناس وحسدهم، أو ما قد يصادف المرء من متاعب الحياة الكثيرة. ثّم يضفي عليها لونا كئيبا، وظلا حزينا، يوحشه التشاؤم والالم ويمسحه الأسى والشجن" [١]، أسباب الحزن والألم التي يتعرض لها الإنسان في الحياة والتي يمكن أن تتحول إلى قصائد شعرية بإبداع وجمالية لغوية.

فالشكوى عاطفة أساسها الإحساس بالحرمان يشعر بها الانسان؛ نتيجة الظروف التي يمر بها الفرد وللشاعر بصورة خاصة، ويتمثل هذا التعبير بمشاعر سلبية تعبر عن عاطفة الانسان المتشائمة الساخطة، وتعكس آلام النفس في أحزانها وآلامها نتيجة التناقض أو الإحباط أو العجز الذي يواجهه إزاء القوة التي لا يستطيع تغييرها كالقضاء والقدر أو يرى الخطأ والطغيان أو وجود الخلل في المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، اذ يقف عائقا دون إنضاج العلاقات الإنسانية الرفيعة، فلا يستطيع لها ردا عمليا، فيذهب صوب اللغة يعبر من خلالها عن آلامه واشجانه وتشاؤمه [٢]. اما مجال الشعر فهو "الشعور سواء اثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضه كشف فيها عن جانب من جوانب النفس، أو نفذ من خلال تجربته الذاتية إلى مسائل الكون، أو مشكلة من مشكلات المجتمع، تتراءى من ثنايا شعوره واحساسه" [٣]، اذاً هي عن مشاعر الفرد وأفكاره وأحاسيسه، يستطيع من خلالها التعبير عن الأوجاع والأحزان التي يكبتها في داخله، ويجد فيها مخرجاً لها.

ترتبط معظم النصوص بالوضع النفسي للمبدع أو المفكر لذا فهي عاكسة لما يشعر به ذلك المبدع بوصفه جزءاً من مجتمع متكامل، واذا كان الامر كذلك فهذا يعني أن الشاعر أو الكاتب في تلك البلاد لا يتجاهل الحقيقة التي كان يعيشها هو ومجتمعه، فأعلنها عبر أدبه وفكره بلغة صريحة لا التواء فيها ولا غموض، ولهذا يمكن القول: أن ذلك الأمر هو الذي جعل الأدب الأندلسي متوهجاً على مدى

([١]) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس :٢١٧.

([٢]) ينظر : الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير) :٤

([٣]) النقد الادبي الحديث :٣٥٦.

الأيام لصدقة وحسن فاعليته، ومن هذا المنطلق، فإن التاريخ قد خلد اولئك المفكرين الذين حملوا تلك الهموم وعانقوا تلك المسرات، واستقطبوا في نتاجهم كل ما تجيش به الصدور في وطنهم أو في ذواتهم من ثورة وخيبة وتمرد وخذلان وشوق ومرارة . فاستحوذ الحزن والقلق والرغبة على شعرهم، وتلقفته الجموع مشدودة إليه تتغنى به وتملأ حياتها بنغماته وسحره [١]، فمرّ بجميع الحالات الوجدانية.

فلا يمكن أن نعد جميع أشعار الشكوى الواردة عن شواعرنا، تأخذ مدلولا حقيقيا وانعكاسا اجتماعيا، بل يمكن تأويل بعض تلك النفثات الشعرية الباكية اللاعنة، بأنها خفقات ذاتية ونواتج آنية أوجعت بالشاعرة، وهي ذات ميزة فردية خاصة لا تسمح بشموليتها وتضخيمها، وهذا أيضا أمر طبيعي في كل المجتمعات البشرية في حياة الناس، فليس هناك مجتمع مثالي تنعدم فيه الشكوى والتذمر والنقمة من قاموسه [٢].

عرف الأستاذ عبد الرحيم الشكوى بوصفها تعبيراً عن الحرمان والظلم الذي يشعر به الإنسان، وتظهر عندما تتعقد ظروفه ويواجه صعوبات في الحياة سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو سياسية. ويمكن تقسيم الشكوى على قسمين: الشكوى الخاصة التي تتعلق بمسائل خاصة بالشاعر وتشمل فقدان الأمل والشباب وغيرها، والشكوى العامة التي تتعلق بشكوى الزمان وذم الدنيا. وقد يتمثل الهدف من الشكوى في العلاج النفسي للإنسان والتخفيف من أوجاعه وآلامه [٣]، فيوظفها الشاعر وسيلةً للتعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية والإنسانية.

فالشكوى "فن من فنون الشعر الوجداني العميق" [٤]، تُعد لوناً من ألوان الشعر، يستعملها الشعراء بشكل متكرر، إذ طرقته الشاعرة الأندلسية وأجادت فيه وقد إتخذت شكواهن أبعاداً عديدة وأشكالاً متنوعة، فمن صور الشكوى لديهن في الغزل قول **قسمونة** تصف جمالها، وتتحسر عليه، فتقول مخاطبة ظبيةً حوراء جميلة:

[الكامل]

يـا ظـبـيـةً تـرعـى بِروضٍ دائماً إنّـي حـكـيـتُـكِ فـي الـتَّـوحُّـشِ والـحَـوَرْ

---

(١) ينظر: الشكوى من العلة في ادب الاندلسيين :٢٥.

(٢) ينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس :٢١٧.

(٣) ينظر: الشكوى في الشعر العربي في النصف الأول من القرن العشرين (أطروحة دكتوراه) : ١٤.

(٤) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين :٤٥٩.

أَمـــســى كِـــلانـــا مُفرداً عَن صاحبٍ فَلنصـــــطَبر أبـــداً عَلى حُكمِ القَـدَرْ [1]

ويبدو إنَّ الوحدة هي الدافع النفسي لقول هذه الأبيات، فالحيرة كانت مستوطنة في نفس الشاعرة بل امتزج مع تلكَ الحيرة وجع وتساؤل جعل في نفسها انبعاثات ولدت تلك الأبيات التي اختلطت بالشكوى مما تعانيه من اضمحلال للأمل بل قد يكون انعدام الضوء في نفسها لتكمل الشاعرة باعثها النفسي في النفوس المليئة بالوجع والحسرة حتى أنها باتت في ندم كان واضحاً في مفرداتها ،فعبرت بصورة جميلة عمّا يجول بخواطر كثير من الناس، فترمز بالظبية إلى نفسها لتعطي طابعا دلالياً وجمالياً فحفلت بمعاني الجمال والنقاء، كما تحاول ان تستحضر الطبيعة من خلال محاكاتها "للروض" المكان الاليف لدى الشاعرة هو المكان المحبب ووظيفته في الشعر أن يشحن الذاكرة باستمرار بشتى الصور الباعثة على الحياة الإنسانية الدافئة فهو المكان الذي شعرت به الأنا الشاعرة بالرضا والطمأنينة والدفء فترك بصمات واضحة فيها لعوامل نفسية جعلتها أكثر أُلفة للمكان [2]، إذ وردت الفاظها صادقة الدلالة على احوالها ومشاعرها وتعبيرها واضحاً وصادقاً دون إيهام أو غموض.

فلفظة "التوحش" عبرت شعور عميق يصاحبه الحزن والألم والحيرة. وتعكس المزاج المكتئب الذي تعيشه الشاعرة وصعوبة التعبير عن مشاعرها الداخلية، فقد جعلت من الطبيعة مفردات لتعبر بها عمّا يجول في نفسها وما حولها من حزن وكآبة وضيق.

وأن المتأمل للبيتين السابقين يجد الشاعرة نظمت على إيقاع الكامل "ذي الموسيقى القوية الرنانة وأكثر بحور الشعر احداثا للرنين والقرع والتأثير النظمي الحاد" [3]، فناسب الانفعال الذي صيغت من اجله الأبيات.

كما وظفت الشاعرة النداء "يا" فكان بدافع الوحدة، أي الشعور بالعزلة التي دفعت الشاعرة لتحاول إيجاد شريك للتفاعل والتآزر معه، وهذا ما جعلها تلجأ للحيوان؛ لإبعاد الوحشة التي تصاحب الوحدة والعزلة، وبالتالي لتقربه منها ويبعد عنها ذلك الشعور المصاحب بالألم.

([1]) الديوان :٩٨.

([2]) ينظر :الانا والأخر في الشعر الاندلسي عصري المرابطين والموحدين (أطروحة دكتوراه) :٢١١.

([3]) البناء الفني والفكري للقصيدة الإسلامية :١٨٠.

ثم تبلغ الشكوى ذروتها عند الشاعرة فتشكو مضي الشباب وراعها إلاّ يتقدم إليها أحد وهي الجميلة الوسيمة [١] فتقول معبرة عن تجربتها:

[الطويل]

أرى روضـــةً قَـــد حانَ منهَا قِطافُها وَلســـــتُ أرى جـــــانٍ يـــمـــدُّ لهـــا يَـدا

فَـوا أســفــاً يَـمضي الشبابُ مضيَّعاً وَيبقى الَّـذي مـا إن أســـمِّيـهِ مفردَا [٢]

يميل الإنسان دائمًا إلى القوة والشباب، فهو يحب أيامه الخوالي، الأولى التي ينعم فيها بعمر الشباب والازدهار؛ لذلك نجد الشاعر العربي دائم التغني بشبابه، شديد التعلق به، قاتل من أجل ذلك الشباب، ثم بعد ذلك شديد الحنين إلى حياته الأولى كثيرًا وعندما يشعر بضعفه، وعجزه، وقرب حياته، ونهاية مسيرته، يتغيّر هذا الشعور ويتمنى عودة شبابه مرة أخرى [٣]،الحيرة كانت مستوطنة في نفس الشاعرة قسمونة بل امتزج مع تلكَ الحيرة وجع وتساؤل جعل في نفسها انبعاثات ولدت تلك الأبيات التي اختلطت بالشكوى مما تعانيه من اضمحلال للأمل بل قد يكون انعدام الضوء في نفسها حتى أنها باتت في ندم كان واضحاً في مفرداتها، فممكن التعبير عن ابياتها بانها ممزوجة بالأسف والندم والوجع ونجد ذلك في توظيفها للفظة "فوا اسفا" تحاول الشاعرة التعبير عن حالة اليأس والضيق التي تعيشها، والتي تجعل من كل ما حولها أمرًا محزنًا ومفجعًا. وبالتالي، تعطي الشاعرة معنى عميقًا للحسرة والألم والوحدة التي تشعر بها.

وقد أثرت الشيخوخة في بعض الشواعر فشكون من طول العمر وضعف القوة الجسدية وتراكم المتاعب، فعندما كانت **مريم ابنة يعقوب**، البالغة من العمر ٧٧ عامًا، تتلقى الرعاية [٤] **اذ تقول:**

[الطويل]

وما يُرتَجي من بِنتِ سَبعينَ حِجَّةً وسبعٍ كنسجِ العَنكبوتِ المهلهَلِ

تَدبُّ دَبيبَ الطّفلِ تَسعى إلى العَصا وتَمشي بِها مَشيَ الأسيرِ المُكبَّلِ [٥]

---

(١) ينظر: المرأة في الشعر الاندلسي عصر الطوائف من سنة (٤٠٠-٤٨٤هـ) :٣٣٢.

(٢) الديوان :٩٨.

(٣) ينظر: الشكوى في الشعر الجاهلي (بحث) :١٤٨.

(٤) ينظر: المرأة في الشعر الاندلسي عصر الطوائف من سنة (٤٠٠-٤٨٤هـ) :٣٣٣.

(٥) الديوان :١٠٣.

إنَّ الخوف من الشيخوخة؛ لأنها ارتبطت في ذهن المرء بمعاني التحقيق والانتهاء وفوات الأوان فالشيخوخة كما يقول اندريه موروا " هي الشعور بأنه قد فات الأوان ،وان اللعبة قد انتهت ،وان المسرح من الان قد اصبح ملكا لجيل آخر" [1] إنّ الهاجس النفسي عند الشاعرة هي مرحلة الاختبار الذاتي للشخص التي يراجع فيها المرء نفسه على مدى نجاحه وفشله في الحياة، مدى تكيّف الفرد للشيخوخة يتوقف على مدى تكيّفه في المراحل السابقة من حياته، فإذا كان كل تغيير في نظام الحياة مصحوباً بأزمة نفسية، فإن تكيّف الفرد للشيخوخة صعباً، فنجاح الفرد في التكيّف يرتبط أساساً بما وصل إليه في تحقيق رغباته ،وتبعا لنظرية ماسلو Maslow، إذا تمكن الفرد من إشباع رغباته الأساسية، فإنه ينتقل بعد ذلك لتحقيق أمنه، ثم علاقاته الاجتماعية، أي الرغبة بالانتماء والارتباط بالآخرين ثّم كل ما يتعلق بكماله ورغباته المتقدمة [2]، وبهذا يكون قد حقق ذاته وأهدافه في كل ما يطمح الوصول إليه، أن استعمال الشاعرة أبيات ممزوجة باللوعة والخوف على انهيار العمر بسرعة جارفه بطياتها كل ما مضى فقد كانت تبث الهم والشكوى من تذبذبات الزمن وقلة الشباب وضياع العمر وأنها لا تقوى على الحركة فما الذي ترجون من عمر تجاوز السبعين عاما وهو كنسيج العنكبوت، قد يكون محاولة لفت انتباه من يقدم لها الرعاية بأنها بحاجه لاهتمام أكثر.

رسمت لنا صورة رائعة عن حالتها التي كانت تمر بها، فاستحضرت نصا من القرآن الكريم بخيال تصويري وتأثير وجداني في نفس المتلقي، اذ شبهت جسدها ببيت العنكبوت وضمنت ذلك من قوله تعالى:" **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَولِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**"[3]، فتبين الحالة النفسية التي تشعر بعد ضعف جسدها.

شبهت الشاعرة نفسها بصور شعرية عدة، إذ تشبه نفسها بنسج العنكبوت المهترئة، وهذا يعني أنها قد فقدت جاذبيتها، لا يمكنها جذب انتباه واهتمامهم الرجال إليها. وفي موضع آخر تصف نفسها بحركتها البطيئة ودبيبها مثل دبيب الطفل، ويمكن تفسير ذلك على أنها تعاني من الهشاشة والضعف في الحركة وفي حياتها بشكل عام. ومن ثم تعبر هذه الصور عن الحالة النفسية للشاعرة ومعاناتها في هذه

---

(1) مشكلة الحياة :١٥٣.

(2) ينظر :الدافعية للإنجاز :٨٦

(3) سورة العنكبوت:٤١

المرحلة من الحياة، فرسمت صورة بليغة للدلالة على ضعفها، اما الالفاظ فقد عبرت بها بأسلوب سهل مباشر من دون تكلف أو تصنع.

ونقف في شعر **ولاّدة بنت المستكفي** وهي تشكو فراق حبيبها ابن زيدون قائلة:

[الطويل]

أَلا هَـل لَنَـا مـن بَـعد هذا التَّفرُّقِ سبـيـلٌ فَـيـشـكـو كـلُّ صـبٍّ [1] بـمـا لقـي

وَقد كُنتَ أوقاتَ التزاورِ في الشِّـتا أبـيـتُ عـلى جـمـرٍ مـن الشَّـوقِ مُـحـرقِ

فَـكـيـفَ وقـد أمـسيَتُ فـي حالِ قطعةٍ لَقد عـجَّـلَ المُـقـدر مـا كنتُ أتّقـي

تمرُّ الليـالي لا أرى البينَ يَنقَضـي وَلا الصـبـر مـن رقّ التـشوّق مُعتقـي

سَـقـى اللَهُ أرضاً قد غَدت لكَ منزلاً بـكـلِّ سـكـوبٍ هـاطـلِ الوبـلِ مُـغـدقِ [2]

يصور النص الشغف الشديد للشاعرة وهي تصف آلام الروح ومشاعر الانفعالات والشوق لمن تحب والألم الفعلي الذي عاشته الشاعرة عندما بعد عنها ابن زيدون ،فالحنين والتذكر لأيام ماضية أو المحاولة للعودة لأيام قد رحلت هو محاولة لاستعمال آليه من آليات الدفاع النفسي وهي آليه النكوص " "الحيلة الدفاعية التي تظهر عندما يتصرف فرد ما على نحو يميّز مستوى تطوري سابق" [3]، فنستدل من أبيات الشاعرة بأنها كانت متأزمة نفسياً، جعل الفراق في روحها حالة من الاضطراب مما جعلها تستعمل آليات نفسية الشكوى تارة والنكوص تارة أخرى وكل هذا هو محاولة للبقاء على الاستقرار النفسي على الرغم من ان مرحلة الفراق هي من أصعب الأشياء التي تخدش الروح الإنسانية كما تصور حرارة الشوق إليه وهذا ان دل انما يدل على العاطفة الجياشة التي عبرت عنها بأسلوبها المتدفق وبصورها التي توحي بالحسرة والتوجع لما أصابها، فبينت لنا أبعاداً ذاتها لحظة انتاج الصورة، فالصورة بواعث نفسية نابعة من ذات الشاعرة مكنت شدة حزنها والمها.

([1]) صب: عشقَ .اللسان، مادة (صبب) :٧/٢٧٠.

([2]) الديوان :١٢٦ .

([3]) نظريات الشخصية :عادل محمد هريدي :١٠٠.

ونلحظ في هذه الأبيات أنها ذات نغم موسيقي عال يثير فينا انتباها عجيبا وذلك لما فيه من توقع لصور خاصة تنسجم مع ما نسمع حتى يترك اثرا في نفوس السامعين [١]، وكسبت الأبيات تموجاً صوتياً تجس به الأذن وترتاح إليه النفس فقد كررت ولاّدة مثلاً حرف القاف ثماني عشرة مرة في خمسة أبيات فقط وأننا نعرف أن حرف القاف ذو نغم حاد واهتزاز وطقطقة يدل على رغبة في رفع الصوت والانتباه، فقد كررت هذا الحرف في هذه القطعة مرتين في البيت الأول وثلاث مرات في الثاني وخمس مرات في الثالث وأربع مرات في الرابع وأربع مرات في الخامس [٢]، فأحدثت نغما موسيقيا في التعبير عن حالة القلق والاضطراب الذي تعيشه.

كما وظفت الشاعرة أسلوب الاستفهام بـ" هل" الذي خرج لمعنى التمني والاستفهام بـ" كيف" الذي خرج لمعنى التعظيم وان استعمالها لهذا الأسلوب لما يتحلى به من بيان فني يحقق كثيراً من الجماليات اللغوية، ولتساعد على وصول المعنى إلى المتلقي حافلة بجمال فني ولغوي يثير الدهشة في نفس المتلقي [٣]، لجأت إليه للتنفيس عمّا في داخلها من انفعالات، فجاءت بأسلوب واضح وألفاظ جزلة متناسقة ومنسجمة وهذا يدل على قدرة الشاعرة اللغوية.

وان للشكوى ألواناً مختلفةً منها ما كان من الحياة أو المرض أو الموت أو الزمن، وهذا ما نجده عند **بثينة بنت المعتمد** حيث تشكو الزمان وتقلباته وغدر الأيام فقالت هذه الأبيات مودعة إياها حكمة السنين وموعظة الاحداث [٤] **اذ تقول:**

[البسيط]

مَـا يَعلم المرءُ والـدُّنيـا تَمرُّ بـهِ ... بَـانَّ صَـــرف ليَـالي الـدَّهرِ مَحـذورُ

بينَـا الفَتى مُتردٍ في مســـرتــهِ ... وافـى عَـلـيــه مـن الأيـامِ تـغـيـيـرُ

وَفرَّ من حولـهِ تلـكَ الجُيوشِ كَمـا ... تفر ان عـاينـت صـــقرا عصـــافير

وخرَّ خُســـراً فلا الأيـامُ دُمنَ لَـهُ ... ولا بِـمـا وعـدَ الاحـرارُ مـحـبـورُ [٥]

---

(١) ينظر: موسيقى الشعر: إبراهيم انيس :١١.

(٢) ينظر: المرأة في الشعر الاندلسي عصر الطوائف من سنة(٤٠٠-٤٨٤هـ) :٣٧٣ .

(٣) ينظر: عناصر الابداع في شعر ابن زيدون :٩٢-٩٤.

(٤) ينظر: المرأة في الشعر الاندلسي عصر الطوائف :٣٣٣ .

(٥) محبور: الحبور السرور. اللسان، مادة(حبر) :١٥/٣.

مِن بعدِ سَـــبعٍ كأحلامٍ تمرُّ وما يُرقى الى اللــهِ تَهليلُ وتكبيرُ

يحلُّ ســـوءٌ بِقوم لا مردَّ لــهُ وما مُردُّ من اللــه المقاديرُ[1]

يعد الزمان من الأمور الغامضة في الحياة لهذا بالغ الشعراء في التحذير من غدره ، فأيامه تزدرد الأعمار وتعكر صفو الحياة، ومهما بلغ الشاعر حدا من الاقدام والجرأة أو التردد والحيرة أو اللامبالاة والعبث فان صدره مسكون بهاجس الخوف من الزمان، ولن تغيّر أشعار القوة والتحدي صورة الخوف في نفس الشاعر[2]، فالمتأمل لهذه الأبيات يجد ان الباعث النفسي لشكوى الشاعرة هو الزمن والدهر تحمل بطياتها الشكوى المصحوبة بوجع والم من تقلبات الحياة بها ، وكذلك الحكمة والموعظة التي تنم عن وعي ومعرفه وإتزان انفعالي واضح ،إلاّ أن إتزانها الانفعالي جعل الانبعاثات النفسية تخرج بصيغة صور شعرية متزنة مصاغة بشكل واعٍ ،ورغم وجود الشكوى إلاّ أنها كانت تحاول ترويض النفس لما مرَ بها وهذا الترويض هو في علم النفس محاولة لضبط الانفعالات لبقاء الانسان بمرحلة السواء وعدم تأثير الظروف الداخلية أو الخارجية على نمط الحياة مما جعلها تخرج بصور شعرية دون الاعتكاف والمرور بالاضطرابات النفسية.

إنَّ "طابع التسليم للقضاء وترك الأمور للمقدور والتصبر على التغيير والتكون، طريق يخلص الإنسان مما يشعر به من تمزق والم ويبعث في ذاته الطمأنينة والهدوء النفسيين" [3]، فتتضمن هذه الأبيات الشعرية مواعظ وحكم تشير إلى هلاك بني عباد، أما المعنى الذي تجسده الشاعرة في هذه الأبيات الجميلة فهو ثباتها وإيمانها بقدرة الله سبحانه وتعالى في تغيّرات الفرح والحزن والأسى الذي يواجهها في هذه الحياة وأنها مؤمنة بقضاء الله وقدره حين تقول:

يحلُّ ســـوءٌ بِقوم لا مردَّ لــهُ وما مـردُّ من اللــه المقاديرُ

ونرى أن الشاعرة من خلال التكرار الصوتي في (لا مرد، ما ترد) استعملت نغمة موسيقية حادة أفادت التهويل والتنغيم مع إعطاء معنى الملازمة والديمومة [4]، لعلَّ إيقاع التشكيل الصوتي قد لعب دورًا

([1]) الديوان :٢٦.

([2]) ينظر: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام :٢٤٢.

([3]) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس : ٢٦٤

([4]) ينظر : المرأة في الشعر الاندلسي عصر الطوائف من سنة(٤٠٠-٤٨٤هـ): ٣٧٥

كبيرًا في التعبير عن الشعور الداخلي للشاعرة، حيث تُظهر الألفاظ وتُكشف عن موقفها الدقيق وايمانها بأنَّ القدر الذي يحلُّ بالإنسان هو مقدَّرٌ من الله سبحانه وتعالى. وهذا الأمر يُجعلُ من كلماتها قوةً تأثيريةً في المتلقي، إذ تُعبِّر بلغةٍ سلسةٍ وواضحةٍ، لا تتضمَّنُ غموضًا أو تعقيدًا.

وننتقل إلى صورة أخرى من صور الشكوى وهي الشكوى من ظلم الولاة اذ نجدها عند الشاعرة **الشلبية** إذ كتبت إلى أحد ملوك الموحدين شاكية ظلم أحد الولاة **قائلة:**

[الكامل]

قّـد آنَ أَنْ تَبكي العيونُ الآبيَـة ... وَلَقَـد أرى أنَّ الحجـارةَ بـاكيَهْ

يـا قـاصدَ المصر الَّذي يُرجى بهِ ... إن قَـدَّر الرَّحمـنُ رَفـعَ كَـراهـيَهْ

نـادِ الأمـيـرَ إذا وقـفتَ ببابهِ ... يا راعـيـاً إنَّ الرَّعـيَّـة فـانيَهْ

أَرسـلتَـهـا هـملاً ولا مَرعى لها ... وتَـركـتَها نهبَ السِّـباع العاديَهْ

(شِـلبُ) [1] كـلا شِـلبٍ وكـانـت ... فـأعـادَها الطَّاغونَ ناراً حاميَهْ

خَـافـوا ومَا خَافوا عقوبةَ رَبِّهم ... واللَّهُ لا تَـخـفَـى عـليـهِ خَـافيَهْ [2]

الظلم القاسي الذي تعرضت له الشاعرة بعث الألم في ذاتها، فعبرت عن حزنها في الشعر بأسلوب سهل بسيط لا تكلف فيه ولا غموض مع صراحة تامة وجرأة واضحة، إذ كانت تعاني من الظلم والقمع من حاكم ولايتها، وحولت مدينة شلب إلى شعلة مشتعلة بعد ان كانت جنة جميلة بمظهرها ومخبرها الجميل، ذلك الحاكم الظالم لا يخاف من عذاب الله تعالى، ثم وجهت شعرها الباكي الذي جعل الحجر يصرخ للسلطان يعقوب المنصور، الذي حكم في عهد أحد لملوك الموحدين بهذه الأبيات الحزينة [3]. جسَّدت الشاعرة روحًا نبيلة تتجلى في رفضها للظُلم، وتحدُّثت بكل شفافيةٍ لتناول قضيةٍ اجتماعيةٍ يُعاني منها معظمُ المجتمعاتِ العربية، وهي الفساد السياسي.

([1]) شلب :مدينة تقع غربي الاندلس لها بسائط فسيحة ,وبطائح عريضة ,لها جبل عظيم ,كثير المسارح والمياه واكثر ما ينبت فيه شجر التفاح العجيب ,تصوغ منه روائح العود ، ينظر: صفة جزيرة الاندلس :١٠٦.

([2]) الديوان :٨١.

([3]) ينظر: نساء من الأندلس:٢٦٦.

ويذكر "المقري" أن هذه الأبيات ألقيت يوم الجمعة على مصلى المنصور، وعندما انتهى المصلون من الصلاة وقرأوا هذه الأبيات، بدأوا يتساءلون عن القصة التي تحملها. وبعد البحث، تبين لهم حقيقة ما ورد في الأبيات، وتم رفع الظلم الذي كان يحل على مدينة "شلب" [١]. وهذا يدل على الدور الكبير للشاعرة الاندلسية.

من سياق النص نجد ان الشاعرة وظفت التكرار فهو الوسيلة الايحائية التي تؤدي دوراً تعبيريا واضحا في المقطوعة الشعرية، يوحي بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه على فكر الشاعرة أو شعورها [٢]، ففي قولها:

(شِلبُ) كـلا شـلبٍ وكـانـت جنّـةً فأعادَها الطَّاغونَ ناراً حاميَهْ

فتكرارها للفظة "شلب" يدلُّ على المعاناة النفسية التي تعاني منها، ويُظهِرُ احساسَها بالظُلم والمأساة التي حلّت بمدينة "شلب". ومن خلال تأسُّفها، تنتقد الوالي الظالم الذي أدّى إلى تحوُّل المدينة من جنةٍ إلى نارٍ حارقة.

أما في قولها:

خَافوا ومَا خَافوا عقوبةَ رَبّهم واللَّهُ لا تَخفَى عليهِ خَافيَهْ

فتكرارها للفظة " خافوا " تؤكد أنَّ الشخص الذي قام بالخراب يخشى الظالم، ولا يخشى عقاب الله سبحانه وتعالى. ومع ذلك، فإن الله هو الذي يعرف كل شيء وسيأخذ حقها من الظالم.

كما تناصت في ابياتها الشعرية مع القرآن الكريم وذلك قوله تعالى:" وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ "[٣]، وكذلك قوله: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ [٤]،اختارت الشاعرة استعمال قدراتها المتميزة على الإقناع والتأثير على المتلقي لتعبر عن موقفها من هذا الظلم، واستفادت من ثقافتها الدينية وتأثرها بالمعاني الإسلامية لتوظيفها بطريقة إبداعية في النص الشعري.

---

(١) ينظر: نفح الطيب:٤/١٤٩.

(٢) ينظر: عن بناء القصيدة العربية الحديثة :٥٨.

(٣) سورة القارعة:١٠-١١.

(٤) سورة الحاقة:١٨.

ووظفت الشاعرة أسلوب النداء في البيت الثاني والثالث لأنه "يعطي للشعر حيوية اذ يتمتع بالقدرة على جذب انتباه المتلقي بوساطة الصور التي يجيء عليها الشاعر"[١] فأرادت الشاعرة بتكرارها للنداء أن أن توجه الشكوى لأحد الملوك وتترجاه بأن يزيل الظلم عن هؤلاء الناس.

تتجلى صور الشكوى عند شاعرة من شواعر الاندلس وهي **زينب المرية** ولدت بالمرية وكانت جميلة ذات حسن وادب رقيقة الالفاظ، وذكر أنها كانت تساجل الادباء، فهذه شكواها ناجمة عن باعث عاطفي، من ابن عمها الذي يدعى المغيرة عندما رمى عليها يمين الطلاق [٢] **اذ تقول:**

[البسيط]

يـا أيُّهـا الرَّاكبُ الغادي لطيـَّـــتهِ ... عَـرِّج أنـبِّـئكَ عـن بَـعـضِ الذي أجدُ

مـا عَالجَ الناسُ من وجدٍ تَضمَّنهُم ... إلّا ووَجدي بِهم فوقَ الذي وَجَـــــدوا

حَـسبـي رضاهُ وإنّـي فـي مَسرَّتـهِ ... وودّهِ آخـرَ الأيّـَامِ أجـتـَهِـــدُ [٣]

الترجي والنداء والحاجة الملحة بداخل روح الشاعرة زينب المرية كان واضحا كونها تعاني من الوحدة المفرطة فالحنين للزمن الماضي كان باعثا نفسيا عبرت من خلاله عن إنفعالاتها، مما جعلها تعتاش على الم مفرط وهذا ما جعلها تصاب بالفراغ العاطفي أو النفسي إذ بدا واضحاً عليها كونها كانت تحتاج من تبث شكواها وهمها وجزعها فعبرت عنه بطيات ابياتها، كما كانت تستشعر بانها أكثر المُعانين المجروحين بسبب الفراغ العاطفي فأصابها الإحباط وهو "نوع من الصدمة النفسية الذي يثير العدوانية في النفس والهياج ويحول الفرد إلى عنصر مكتئب أو حالة قريبة من الاكتئاب" [٤]، استعملت الشاعرة ابياتها للتفريغ والتنفيس عما بداخلها لكنها لم تتمكن من ذلك كونها قد انفصلت عنه وهذا ما جعلها تصل لمراحل أولى من الكبت.

إنَّ عاطفة الشاعرة تجاه هذا الحبيب كانت ثابتة ومدافعة عن حقها، لكن الآخر هو الذي سعى لتحول العلاقة من الثبات إلى التحول، ومن الوصل إلى الهجر، ومن الصفاء إلى الكدرة ومن تمام

---

(١) عناصر الابداع الفني في شعر ابن زيدون :١٣٧.

(٢) ينظر: المرأة الاندلسية مرآة حضارة شعت لحظة وتشظت :١٦٥.

(٣) الديوان :٦٥ .

(٤) نقد الشعر في المنظور النفسي :٢٩.

الحب إلى نقصه، ولو اطلعنا على البنية الدلالية لهذه الأبيات، لوجدناها تتعانق مع ثباتها على هذا الحب، وتتعانق مع مشاعرها الداخلية، إذ نجد الشاعرة قد ابتدأت أبياتها بالنداء، وهنا خرج (النداء) من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، وهو "الإغراء" ، فهي تغري الراكب مطيته حتى تخبره عن مواقدها وما تخفي من مشاعرها وأحاسيسها إن شكوى لواعج الحب ومعاناته والفراق لطرف آخر ، يساعد على التخفيف؛ لأنه يؤدي إلى إشراك الآخرين في المعاناة، مما يساعد على إزالة بعض الذي جثم على الصدور[١] .فوظفت الشاعرة أسلوب النداء لما فيه من شد الانتباه للمعنى الذي تريد ايصاله الشاعرة للمتلقي .

كما وظفت الجناس أي " أن المعنى هو الذي يستدعي الجناس ويطلبه، فإن لم يكن كذلك كان متكلفا لا خير فيه لا تجد جناسا مقبولا ولا سجعا حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساقه نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد منه جولا" [٢]، فجانست بين (وجد) في الشطر الأول و(وجدي) في الشطر الثاني وهذا يعكس عمق الإحساس بالألم والشوق الذي تعاني منه في فراق الحبيب.

أما الفاظها فنجد ان الشاعرة استمدتها من التراث اللغوي القديم وتعاملت معها بأسلوب بسيط ورقيق يعبر عن مشاعر صادقة ويتناسب مع العصر الذي تعيش فيه. كما تجلى في قصائدها حرية المرأة الأندلسية في التعبير عمّا يختلج في داخلها من مشاعر وأحاسيس.

أما **حفصة بنت حمدون** فيبدو انها كانت من بيت غني وثراء وأنها كانت ذات مال وعبيد فتذم سلوك عبيدها؛ لأنها سئمت من جهل بعضهم، شاكية تصرفاتهم وحقدهم، وحاولت إظهارها **قائلة:**

[السريع]

يا رَبِّ إنّي مِن عبيدي عَلى ... جَمرِ الغَضا ما فِيهُم من نَجيب [٣]

إمّا جَهــولٌ أبلَهٌ متعــبٌ ... أو فَطِنٌ مِن كَيــدهِ لا يُجيب [٤]

([١]) ينظر: الوصل والهجر في شعر المرأة الاندلسية (رسالة ماجستير) :٤٥.

([٢]) السمات الاسلوبية في الخطاب الشعري:١٣٢.

([٣]) نجيب: الكريم ذو الحسب. اللسان، مادة (نجب): ٤٢/١٤.

([٤]) الديوان :٣٥.

الدعاء والنداء والترجي الذي استعملته الشاعرة كانا عبارة عن جزع قد مرت به بسبب سلوك العبيد الذين يقدمون الخدمة لها فكانت تبث الشكوى لله من العجز الذي أصابها في محاولة تغيير سلوكهم فكانت تعاني منهم كون اجمعهم لا يجيب فعبرت عنهم فهم أما جاهل ابله أو ذكي، لكن يحمل الكيد فلا يستجيب لها مما جعلها تلجا لله وتبث شكواها له، ان الشاعرة كانت من بيت غني وثراء مما دفعها تشكو سلوك عبيدها، وهذا ان دل انما يدل على التمايز الطبقي في مجتمع المرأة الاندلسية.

استهلت الشاعرة ابياتها بأسلوب "النداء" أرادت به الاستغاثة والاستعانة بالله عز وجل لإيمانها بقدرته ان يخلصها من الأذى الذي حل بها من عبيدها فمن خلال النداء حاولت الشاعرة التنفيس عن احساسها بالألم الذي تشعر به.

تكني الشاعرة عن احساسها بالألم بقولها "جمر الغضا" للتعبير عن ألمها الشديد الذي يستمر مدة طويلة نظراً لصلابتها وقوتها. وبهذه العبارة، رسمت صورة قوية ومؤثرة تعبر عن مدى الألم الذي تعانيه بأسلوب بليغ وألفاظ جزلة، تناسب المعنى العميق الذي تريد التعبير عنه.

نستخلص مما سبق أن الشكوى كانت مرآة تعكس الواقع الذي تعيشه الشاعرة، وقد تنوعت الدوافع بينهن؛ منها دوافع ذاتية عبرت فيها الشاعرة تنفيساً لمشاعر الألم، فمنهن من تشكو الوحدة ومضي الشباب بكل وجع، وهذا ما نلمسه عند قسمونة. وتشكو مريم بنت أبي يعقوب من ضعف جسدها بعد مرور الزمن، أما ولاّدة فتشكو فراق الحبيب وما سببه من ألم، وتتمثل شكواهن في الذات الإنسانية. وتعبر دوافع أخرى في شكواهن، عن التجارب التي عاشتها في المجتمع، فمنهن بثينة بنت المعتمد التي تشكو من الزمان وتقلباته، وحفصة بنت حمدون التي تشكو سلوك عبيدها. ولم تخلو شكواهن من الدافع السياسي، فتعبر الشلبية عن شكواها من ظلم الولاة والحكام. وكان لهذه الدوافع تأثير كبير، حيث عبرت عن انفعالاتهن وأحاسيسهن بلغة واضحة سلسة ورقة وعذوبة، إلاّ زينب المرية التي اتسمت ألفاظها بالقوة والجزالة استمدتها من الألفاظ الجاهلية.

أما ما يخص اسلوبهن فقد تنوع عند كل منهن أسلوب مختلف عن الآخر. كذلك في توظيفها للموسيقى الخارجية وكذلك الموسيقى الداخلية فأبدعت ولاّدة في تكرار الحروف أما الشلبية فقد وظفت تكرار الالفاظ، وكذلك التناص من القران، حتى تجسد موقفها من الظلم، أما مريم فوظفته لتشبيه جسدها بالضعف وبهذا أحدثت الشواعر تنغيما موسيقيا مؤثراً، فعبرت الشاعرة الاندلسية عن شكواها به.

[المبحث الثاني: الحـــــزن]

يُعدْ الحزن "الماً نفسانياً يغمر النفس كلها، ويرادفه الغمّ، والهم والكآبة" [١]، قال (تعالى): "**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**" [٢]. فهو أما ان يحصل للنفس بالعرض لوقوع مكروه، أو فراق محبوب، وأما ان يحصل لها بالطبع لانطواء مزاجها على القلق والاضطراب [٣]، لذلك فالحزن يكون بملء القلب والروح فيسكن النفس.

ومن عادة الحزين ان يكون مكفهر الوجه، مطرقاً إطراق الأسى، مفرطاً في النظر إلى العواقب. قال (آلان): "إذا أرجعت الحزن إلى أسبابه الحقيقية شفيت نفسك منه" [٤]، فهو يضفي طابع الحزن على كل المحسوسات.

والحزن هو باعث شخصي، وليس باعثا عاما؛ "هو ارتكاس لفقدان المحبوب ويتضمن نفس مشاعر الألم وفقدان الاهتمام بالعالم الخارجي، ويرتبط بفقدان موضوع الحب والتناقض الوجداني اتجاه العالم مع عدوان مسيطر فوق حب الذات والانسحاب من اللبيدو والاندماج" [٥]. أو "حالة مؤقتة من الغم وهبوط معنوي" [٦]، فالحزن دافع نفسي لا يمكن للعقل التدخل فيه.

كما عُرف أيضا بأنه انفعال كوني له تعبيرات محددة على الوجه، وتُفهم هذه التعبيرات من جميع البشر بدون استثناء. فالعين لا تخطئ في تحديد حالة الحزن عند الشخص الذي يظهر تقطيبة حاجبيه وضيقًا في عينيه، وقد يرتجف الذقن قليلًا. وعادةً ما تصاحب كل هذه التعبيرات البكاء، الذي يعد إشارة واضحة للتعبير عن الحزن والحاجة إلى المساعدة من الآخرين [٧]، فهو دلائل واضحة مفهومة يمكن من خلالها فهم الشخص بأنه حزين.

---

(١) المعجم الفلسفي :٤٦٦/١.

(٢) سورة يوسف :آية ٨٤.

(٣) المعجم الفلسفي :٤٦٦/١.

(٤) المصدر نفسه:٤٦٦/١-٤٦٧.

(٥) الصحة النفسية والتوافق :١٩٤.

(٦) معجم علم النفس والتربية :٤٢

(٧) ينظر: الحزن الخبيث:١٤٧.

قال **هيربرت ملفيل** "تضيء نار الحزن المشتعلة أعماقنا لنتمكن من رؤية الأشياء على حقيقتها، حتى إن شفينا وانطفأت نار الحزن، فإننا لا يمكن ان ننخدع بظاهر الأمور؛ لأننا لمسنا جوهرها من قبل" [١]. كما أن تجربة الحزن ضرورية لكل شخص مبدع، كما قال الشاعر أنطونيو آرتود" لا يوجد مبدع كتب أو رسم أو نحت أو اكتشف أي شيء إلاّ بدافع الخروج من تجربة مؤلمة" [٢]، فالحزن يجعل من صاحبه ذو قوة وحكمة.

الحزن من أكثر الدوافع النفسية التي تدخل في إطار عالم الشعر، خاصة عندما يدخل في العديد من جوانب الحياة، مثل الحزن على الوطن، على النفس، على الابن، على الزوجة، على الحبيب، على الصديق، وما إلى ذلك؛ لأن الحزن شيء روحي لا يستطيع العقل أن يتدخل فيه، فنجد الأبيات المتكونة من خلاله ذات تأثير عاطفي كبير وحزن عميق [٣]؛ ولأن العصر الأندلسي بشكل عام كان مليئًا بالعواطف والمشاعر الجياشة فنجده عند الشواعر الأندلسيات.

وأول باعث للحزن عند الشواعر الرثاء الفن الشعري الفسيح الذي ينبع من عاطفة المرأة الأندلسية؛ لأنه نوع من النواح والبكاء؛ وعموما المرأة إذا عذبها شيء أو ألم بها أمر، وضاق صدرها، وعيل صبرها، تلجأ إلى دموعها وإنها لتلتذ الحزن، وتوالي البكاء وفاء وحسرة، أو ضعفا ورقة، وتنفس عمّا نفسها بمقطوعات تسكب فيها لوعتها وحرقتها [٤]، فالبكاء والنحيب هي الوسيلة التي تستخدمها لتخفيف آلامها وتعبير عن حزنها.

نلحظ ندرة غرض الرثاء عند الشواعر الاندلسيات ويعود السبب في ذلك إلى الظروف الاقليمية والاجتماعية وانشغالهن بحياة اللهو وفتنة الطبيعة الساحرة التي كانت تتمتع بها الاندلس آنذاك جعلتهن مسلمات وادعات للحياة الرضية الجميلة ، فلم يحفلن بالرثاء الذي يذكرهن بالموت، والسبب الاخر لاختفاء هذا الغرض من شعرهن ايضا هو عدم وفائهن لأحبائهن ،فهذه ولاّدة لم نجد لها رثاء لابن زيدون بعد وفاته بالرغم من الحب العميق الذي كان بينهما فهي ملكت قلبه وعقله وهو ملك قلبها وعقلها فانصهروا

---

(١) الحزن الخبيث :١٥٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه :١٥٥.

(٣) ينظر: البواعث النفسية واثرها في المعنى الشعر الاندلسي عصر بني الأحمر انموذجاً (رسالة ماجستير):٢٢.

(٤) ينظر: نساء من الأندلس :٢٥.

روحا وفكرا، وكذلك أُم الكرام بنت صمادح التي باحت بحبها ولوعتها بفتاها –السمار إلاّ أنه بعد أن خفي امره ومحا وجوده الملك فلم يعثر لها عن رثاء في فتاها الذي قالت فيه [١]:

[السريع]

حسبـــي بمن اهواه لـو أنه فارقني تابعـــه قلبـــي [٢]

فيعد من اصدق الاغراض الشعرية؛ لأنه نابع من تجارب حقيقية للشاعرة فتعبر من خلاله عن احساس عميق بالألم والحسرة التي شعرت بها.

ونجد **حفصة بنت الحاج الركونية** باكية راثيه حزينة، وفي رثائها للوزير ابن سعيد تظهر حرقتها تدعو الناس ان يبكوا معها وترجوهم ان يبكوا مصابها متحسرة على مصيره، وهي لا تخشى التهديد اذا لبست ثياب الحداد وتدعو إلى الترحم عليه والبكاء؛ لأنه قتيل الاعادي [٣] **اذ تقول:**

[الخفيف]

هـددوني من اجـل لِبس الحِـدادِ لحبيبٍ أردوه لي بالحِـــــــــــــدادِ

رَحم الله مِن يـــــجود بدمـــــــعٍ أو يَنـــــــــوح عَلى قتيلِ الأَعـــــادي

وسقتـــهُ بِمثـــــل جـــودِ يديـــــهِ حيـث اصـــحى من البلادِ الغوادي [٤]

الإشارات و الخلجات النفسية التي رسمت صورا شعرية ماهي إلاّ صورة لدافع نفسي مليء بالحزن والوجع، ساهم في صياغة صورا شعرية تُعنى بالتحدي رغم الأسى المنهار على روحها المبتلة بماء الحزن لفقدها حبيبها، وكان عنادها من أكثر مسلمات صور الحزن الداخلي وتصريحها بالتهديد علامه ثانية تدل على عمقها الموجوع لذلك فقد كشف النص عن شاعرة ذي امكانية عالية في لغتها واسلوبها ، إذ إنّها استطاعت التعبير عن التجربة النفسية التي مرت بها، إذ صرحت في اثناء رثائها على حبيبها المقتول حين أعلنت الرفض ببداية القصيدة " هددوني..." وذلك إشارة بالرفض والمواجهة وعدم المساومة وان دل هذا انما يدل على شخصية الشاعرة القوية فأسلوبها هذا فيه جانب من جوانب الانبعاثات

---

(١) ينظر: الشعر النسوي الاندلسي في القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير):١٨٥.

(٢) الديوان :١٠٢.

(٣) ينظر: نساء من الاندلس :٢٥.

(٤) الديوان :٤٣.

النفسية فالشاعرة عدّت مقتل حبيبها كشهيد أو مقتول على ايدي العداة ،وفي بيت الشاعرة الاخير اشارت على استمراريتها بالتزود من حبها له بوصفه ماءً يرويها وسيعد حبها رفضاً ظاهرياً لكل من ارغمها على تركه ،وهذا الرفض سيزداد كلما طلعت شمس وغربت.

كما نلحظ ان الشاعرة قد وظفت التكرار الذي يراد به "تناوب الألفاظ واعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغما موسيقيا يتقصده الناظم في شعره" [1]، وذلك على سبيل تأكيدها وتعميق دلالتها في سياق الجملة، فقد كررت كلمة "الحداد" لإنشاء إيقاع موسيقي متناغم يربط الكلمات ويوصلها بعضها ببعض.

وكذلك نراها تعزي نفسها بعد موته **قائلة:**

[الطويل]

ولَو لَم يَكُن نَجماً لَما كانَ ناظِري وقَد غِبت عَنهُ مُظلِما بَعدَ نورهِ

سَلامٌ عَلى تِلكَ المَحاسنِ مِن شَجىً تَناءَت بنُعماهُ وَطيبِ سُرورهِ [2]

يكشف النص أن الدافع النفسي في هذه الأبيات يدل على أنها أرادت رفع منزلة الحبيب ومساواته وفي الوقت نفسه اجترار للحزن الذي شج قلبها وبات مزروعاً وثماره الدمع ،استعانت الشاعرة بالطبيعة فكان للنجم دور في إظهار الصورة التي رسمتها الشاعرة فاتخذته رمزاً لعلو منزلته وفي بعده أصبحت حياتها مظلمة فوظفت هذا الرمز؛ لأنه وسيلة للتعبير عن انفعالات الشاعرة الشعورية واللاشعورية، أو هو كما يرى **يونج** "وسيلة ادراك مالا يستطيع التعبير عنه بغيره، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي" [3].صوّرت العواطف الإنسانية بتصويرٍ تجسيميٍ، لتنبثق حية وتؤثر في النفوس.

كما لجأت الشاعرة إلى ثنائية التضاد بقولها "مظلما، نوره" فجمعت بين متضادين لتحاول أن تبتعد عن الأنانية ولكي تخلق معادلا لعالمها الخاص ولنفسها المأزومة فأرادت أن تجعل من هذا التضاد وعاء لهذه المعادلة التي تستند على التناقض في قولها (لو لم يكن نجما...)؛ ولأنها قد ضاقت ذرعا

([1]) القصيدة الاندلسية في عصر الطوائف دراسة فنية :٦٢.

([2]) الديوان :٤٨.

([3]) مدخل الى تحليل النص الادبي :٦٣.

بالحياة، فلجأت إلى أسلوب التضاد لتحقق من خلاله أعلى مستوى من التناقض [1]، فكشفت عن ذاتها التي تعاني الألم بعد موت حبيبها.

كما استطاعت **حسانة التميمية** ان تعبر عن حزنها بصورة صادقة وواضحة وهي ترثي زوجها **اذ تقول:**

[البسيط]

وإنّي وان عُرِضت اشياءَ تضحكني لُموجعُ القلـبِ مطويّ عَلى الحـــــزنِ

اذا دَجَا الليلُ احيـــا لـــي تـذكرةً وَزادني الصـــبحُ اشـــجاناً عَلى شَـــجني

ابـــكي عَليـــه حنيناً حـــــين اذكرهُ حـــــنينَ والهـــــةٍ حنَّت إلى وَطـــنِ [2]

إحساس الشاعرة بذاتها وما يدور فيها من خواطر ومشاعر دفعتها إلى أن ترثي حالها، حيث قالت في مطلع أبياتها: "إني وإن عرضت..."، أي أنها كادت أن تصل إلى الجزع من فرط الحزن، حيث تقول: "مهما تعرضتُ لمواقف مفرحة، لا أستطيع أن أفرح، لأن الحزن قد غلف قلبها، حتى وإن جاء الليل، عاد لها وجع الحنين، وعندما اقترب الصباح وتنفست الهواء، زادت شجونها، ورافقت دموعها عيونها حال تذكرها له، فقد كانت تعشق زوجها لدرجة الوله، وشبَّهت ذلك العشق بعشق الأوطان، والذي كان الدافع لقولها هذا هو حبها لزوجها ورفضها الزواج من غيره بعد وفاته.

وقد وفقت الشاعرة في توظيف الطباق " فترجع بلاغة الطباق إلى تأثيره في ناحيتين: "لفظية تتأتى بمجيئه في الأسلوب سلسا طيعا غير متكلف، فيخلع عليه جزالة وفخامة ، ويجعل له وقعا جميلا مؤثرا ، ومعنوية تتحقق من إيضاحه المعنى وإظهاره ، وتأكيده وتقويته، عن طريق المقارنة بين الضدين، وتصور أحد الضدين فيه تصور للآخر، وعلى هذا فالذهن عند ذكر الضد يكون مهيأ للآخر ومستعدا له ، فإذا ورد عليه ثبت وتأكد فيه" [3]، فالتضاد الموجود بين "الليل ،الصبح" واضح فالليل يذكرها بأحزانها والصبح يثير هذه الاحزان فالشاعرة تتألم لهذا الفقد تعتمد التخييل الاسترجاعي "وفيه يسترجع الانسان

([1]) ينظر: شعرية التضاد في النقد العربي (بحث) :٣٨٥ .

([2]) الديوان :٣٤.

([3]) جماليات الأسلوب في الشعر الجاهلي :٢٥٥-٢٥٦.

صورا ذهنية لا جديد فيها" [1] ،كان لقوة الالفاظ وجزالتها تأثيراً في النفوس؛ لأنها انبثقت من نفس مفجوعة متألمة .

الليل بوصفه رمزاً لحزنها، وذلك لأن الليل يعتبر مصدرًا للأسرار التي لا يمكن فهمها، وكما يشير إلى الأحلام والمشاعر الدفينة. ويعتقد الرومانسيين أن الليل، الذي يتألف من ظلمات غامضة وأضواء خافتة في طريقها إلى الفناء، يرمز إلى الخلود؛ حيث يعتقدون أن الحقائق العظمى تكشف في ظلمات الأحلام كما اتخذت من الليل دلالة على حزنها؛ لأن الليل يعد مصدراً للأسرار التي لا تدرك؛ ولأنه يشير إلى الأحلام ويولعون بوصفه، إذ تثور خواطرهم في هدأة الكون، حين تبدو الظلمات مشوبة بأضواء خافتة في طريقها إلى الفناء وهذا الفناء الذي يذكي الشعور بالموت يفتح أمام الرومانتيكيين باب الأبدية؛ لأنهم يعتقدون أن الحقائق العظمى تتجلى في ظلمات الأحلام [2]، فعبرت عن حزنها الذي يزداد في الليل.

وننتقل إلى نص آخر من نصوص حسانة في رثاء زوجها قائلة:

[البسيط]

وَكيفَ تَرقدُ عَينٌ صارَ مؤنِسُها بَين الترابِ وَبين القَبرِ والكَفنِ

أبلى الثَّرى وترابُ الأرضِ جِدَّتهُ كأنَّ صورتَهُ الحسنَاء لم تَكنِ [3]

بالنسبة للشعراء العرب القدماء، كان الموت حتّم لابد منه ولا جدوى من أي محاولة للتغلب عليه فكانوا يغادرون منازلهم من حين لآخر؛ لأن كل ما حولهم يذكرهم بها، مثل الطبيعة القاسية والجدب والفقر وإن إحساس الشعراء بالموت وعدم قدرتهم على فعل أي شيء حيال طبيعة الموت يجعلهم دائمًا يشعرون بالحزن والقلق والخوف الذي ينتظر مصيرهم المجهول ومهما يكن عظم الفقد فان على الشاعر ان يمضي في حياته فهي كالموت قدر مرسوم للإنسان وهذا يدفع الشاعر إلى تلمس ما يعزيه ويخفف

(1) علم نفس الشخصية ،الشيخ كامل محمد عويضة :١٥٢.

(2) ينظر: الرومانتيكية ،محمد غنيمي هلال :١٥٧.

(3) الديوان :٣٤.

عنه آلامه وأحزانه [١]، فعدم الاقتناع بالموت هو أكثر ما كان في داخل روح الشاعرة مما ساهم بوضع الجزع كدافع نفسي.

وباعث آخر من بواعث الحزن وهو الفراق نجده عند **حفصة بنت حمدون** وقولها في الوحشة عند فراق الاحباب **اذ تقول:**

[مجزوء الكامل]

يا وَحشتـــــــــي لأَحبتـــــــــي يا وحشـــــــــــةً مُتماديـــــَـــــة

يا لـــــــــيلةً ودعتـُــــــهم يا لـــــــــيلةً هـــــــي مَاهـــيَة [٢]

كان الدافع ممزوجاً بوعي ومحاوله للتكيف إذ حاولت الشاعرة السيطرة على اللاشعور والتكيّف مع الألم المصاحب بوجع، لذلك عبر فرويد عن تلك الحالة بأنه "الفكر الواعي الذي استطاع ان يتيح التكيّف مع الواقع اذ يؤخر التفريغ الحركي" [٣]. كان إحساس الشاعرة متأزمًا حيث غمرتها مشاعر الحزن العميق بسبب الفراق، واستعملت الشاعرة في قصيدتها الأبيات للتعبير عن هذا الفراق والوحشة المتمادية التي شعرت بها طوال تلك الليلة التي امتلأت بصراخ الوداع وانطفأت النيران في أشلائها، وعبرت بشكل صادق وواضح عن معاناتها في فراق أحبائها.

كما نجد أن الشاعرة استعملت ايجاز القصر وهو "أن تقصر اللفظ على معناه" [٤]، والبعد النفسي لهذا الايجاز هو التكثيف إذ يبنى الكلام فيه على اللفظ المختصر والذي يحمل معان كثيرة فيكون قادرا على دهشة المتلقي وذلك؛ لإيتائه المعاني الكثيرة في الفاظ قليلة [٥]، فتعني الشاعرة ان هذه الليلة بكل ما حدث فيها بكاء والم ووداع قد أثارت الحزن في نفسها، فاستطاعت الصورة أن تعبر عن احساس الشاعرة ومشاعرها بلغة سلسة وواضحة.

---

(١) ينظر: الحياة والموت في الشعر الجاهلي :١٦٤.

(٢) الديوان :٣٧.

(٣) مراجع الشخصية :دراسة في التحليل النفسي :١٦٣.

(٤) البلاغة العربية المعاني البيان البديع :١٠٩.

(٥) ينظر :الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية :١٢٧.

كما وظفت التكرار في مقطوعتها الشعرية ففيه إشارة إلى انتباه المتلقي للصور المرتبطة باللفظ المكرر وكذلك يشير إلى سيطرة شعور توحي به هذه العبارة أو اللفظة المكررة [١]، فنلحظ تكرار "وحشتي" و "الليلة" في المقطوعة، وربما أرادت الشاعرة التعبير عن شدة الحزن الذي يملأ هذه الليلة المؤلمة، وربط ذلك بالإيقاع الجميل.

وقد أصبح الفراق حقيقة مؤلمة فبعث في نفس الشاعرة الاندلسية **العجفاء** الحزن **اذ تقول:**

[المنسرح]

يا طـــــولَ ليلي أُعالجُ السُّقمـــــا إذ حـــلَّ كلَّ الأحبَّـــــةِ الحَـــرمَـــــــا

ما كنتُ أخشَى فـــراقَكُـــم أَبـــداً فَـالـيـومَ أَمسـى فـراقَـكُـم غَـرمَـا [٢]

هذه المقطوعة تمثل موقفا نفسيا حاولت الشاعرة من خلاله ان ترسم واقعها المؤلم وحالها العليل متسماً بملامح الوجع، علما أنها تعلم أن وجعها نفسي مستند إلى ألم الفراق، وذلك إيلام النفس ما هو إلاّ بسبب تكاثر فراق الأحبة، والشاعرة كانت تعاني الم الفراق قبل حدوثه مما جعل الحزن متسم بملامحها؛ لأنها كانت تخشى الفراق إلى أن حل ذلك الوجع وأصبح واقع حال رسمت طول الليل وما تعانيه فيه من السهر والوجع، فكان الليل تحدٍ لمظاهر الحزن عند الشاعرة.

اقتران النداء بالليل يثير الانفعال العميق ويبرز قيمة الأسلوب الشعري فخطاب الليل المظلم يعبر عن مستوى نفسي مأساوي تعاني منه الشاعرة، والتعبير عن هذا المستوى النفسي بأسلوب أكثر قدرة على التحمل والأداء؛ لأن هذا الاسلوب يمكن أن تصف على أفضل وجه أمل الشاعرة وخوفها وحزنها، والصراخ في وجه الليل يصبح تمردًا على الأمن السلبي الذي ترفضه الشاعرة، وهو وقتًا ثقيلًا محملا بالقلق والهموم، ولهذا تشعر الشاعرة بثقله [٣]، فعبرت عمّا يختلج في نفسها من انفعال بمناداتها لليل.

كما نلحظ تكرار كلمة " فراقكم " وذلك؛ لأن هذه الكلمة تحمل بعداً نفسيًا عميقًا، تعبّر بها عن الحزن الشديد الذي شعرت به بعد فقدان حبيبها، وهو ما يدل على عمق الألم الذي عاشته الشاعرة.

---

(١) ينظر: مدخل الى تحليل النص الادبي :٥٠-٥١.

(٢) الديوان :٩٨.

(٣) ينظر: جماليات الخطاب الشعري :٢٨.

وأما حزن **حسانة التميمية** فتمثل في قولها:

[الطويل]

إلى ذي النَّدى والمجدِ ســـارت رَكَائِبي ... عَـلى شَـحَـطٍ [1] تَـصلَى بِـنَارِ الهَـواجِـرِ

ليَـجـبـر صَـدعـي إنَّهُ خَـيـرُ جابرٍ ... ويَـمـنـعَـنـي مِـن ذي الظُّـلامـةِ جَـابـرِ

فـإنّـي و أيـتـَامـي بـِقـبـضَةِ كفّةِ ... كَـذي ريـش أضـحَـى فـي مَـخالبَ كَاسرِ [2]

يسَـــقَاهُ الحَيا لو كان حيّاً لما اِعتَدى ... عـلـيَّ زَمـانٌ بـاطِـشٌ بَـطـشَ قَـادرِ

جَـديـرٌ لِمـثـلي أن يـُقـالَ مُـرَوعَةٌ ... لِمـــوتِ أبـــي العاصي الَّذي كانَ ناصرِ

أَيَـمـحـو الَّذي خَـطَّـتـهُ يـمـنـاهُ جَـابرٌ ... لَقـد ســامَ بـالأمـلاكِ إحدى الكَـبائرِ [3]

نتأمل البيت:

فـإنّـي و أيـتـَامـي بـِقـبـضَةِ كفّةِ ... كَـذي ريـش أضـحَـى فـي مَـخالبَ كَاسرِ

تتحرك الصورة في هذا المقطع على تجسيد الازمة النفسية للذات الشاعرة فعند تأمل البيت تجده صورة بليغة للتفجع والحزن والألم أطلقته هذه المرأة الحزينة الجريحة، معبرة عن الواقع الصارخ للصغار الذين ليس لهم من يحميهم من غدر الدهر والمعتدين، إلاّ هذه المرأة التي ترعاهم وتمنحهم عطفها، ولكن ماذا تفعل المرأة وهي نفسها في امس الحاجة إلى من يحميها من ظلم الظالمين وأرزاء الحدثان؛ لذلك بحثت عن الناصر فلم تجد بحثت وبحثت من غير جدوى، واخيراً وجدته... إنه شعرها الذي إتخذته سلاحاً مدافعاً، سكبت فيه خطراتها المحملة بالبوح الحزين، والفزع المطلق، فكان شفيعاً لها عند الامير؛ لأن للكلمة المجنحة لها تأثيرها والحرف المجيد كان له سحره [4]، فشبهت الشاعرة صغارها بأنهم كالريش الهش، فلا يمتلكون أي حماية من الخطر الذي يحيط بهم، بل يصبحون في رحمة مفترس كاسر ومتوحش.

([1]) شحط: البعد. اللسان، مادة(شحط) :٤٥/٧.

([2]) كاسر: طائر العقاب. اللسان، مادة (كسر) :٩١/١٢.

([3]) الديوان :٣٢.

([4]) ينظر: الشعر النسوي في الاندلس :٤٩.

كما وظفت الشاعرة الجناس التام وهو "ما اتفق به اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء نوع الحروف، عددها، هيأتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها مع اختلاف المعنى" [1]، وظفت الشاعرة الجناس بين جابر الخير وجابر الظلامة. جابر الخير هو من يصلح ويعالج، بينما جابر الظلامة هو من يخرِّب ويؤذي. فوظفته لإيصال الفكرة بأنها ترجو أن يجبر صدعها جابر الخير، ويرفع جابر الظلامة الظلم الذي أحلّ بها.

ومن بواعث الحزن الأسر فهذه **بثينة بنت المعتمد** شاعرة نشأت في بيئة تبرعمت بالكلمة المجنحة والقافية المنغمة، ، انها بنت ملك شاعر مطبوع ، وبنت شاعرة لطيفة ، وغذى ملكتها الادبية المحيط الشاعري الرغيد ، سئمت هذه الشاعرة الرقيقة من تعب الحياة عذوبتها حتى دقت أجراس الإنذار معلنة عن حتمية الكارثة التي احلت بأبيها النكبة المعروفة واخذت اسيرة ، فأصبحت من جملة العبيد تباع في الاسواق ، واشتراها رجل من اشبيلية ثم وهبها لابنه ، ولكنه لما اراد الزواج بها إمتنعت وأعلنت عن نفسها وقالت له: لا يكون ذلك إلاّ بموافقة أبي وبعد هذا كتبت لأبيها تحكي له قصة حزنها في اسى وحسرة بجل تفاصيلها [2]،**اذ تقول:**

[الكامل]

إسمَع كَلامي واِستَمِع لمقالَتي ... فهيَ السُّلوكُ بدَت مِن الأجيَادِ

لا تُنكروا أنّي سُبيتُ وأنّني ... بِنتٌ لمَلكٍ من بَني عبّادِ

مَلك عظيم قَد تَولَّى عَصرهُ ... وَكذا الزَّمانُ يؤولُ للإفسَادِ

لمّا أرادَ اللَّهُ فُرقةَ شَملِنَا ... وَأَذاقَنَا طَعمَ الأَسى من زادِ

قامَ النِّفاقُ على أبي في ملكهِ ... فَدَنا الفِراقُ ولم تكُن بُمرادِ

فَخَرجتُ هاربةً فَحَازني اِمرؤٌ ... لَم يَأتِ في إعجالِه بسَدَادِ

اذ بَاعَني بَيعَ العَبيدِ فضمَّني ... مَن صَانَني إلاّ مِنَ الأنكَادِ

وَأَرادَني لنكاحِ نجلٍ طاهرٍ ... حَسنِ الخلائقِ من بَني الأنجادِ

([1]) معجم البلاغة العربية:١٣٦.

([2]) ينظر :الشعر النسوي في الاندلس:١٠٢.

وَمَضـــى إليكَ يَســـومُ رأيكَ في الرّضـــا وَلأنـــت تَـــنـــظُـــرُ فـــي طـــريـــقِ رَشَـــادي

فَـعَـســاكَ يـا أبَـتـي تُـعَـرِّفُـنـي بهِ إن كـــانَ مـــمّـَـــن يُـــرتـَـــجـــى لِودادِ

وَعَـســى رَمـيـكـيـةُ المُلوكِ بِفَضلِها تَـــدعـــو لَنَـــا بـــاليُـــمـــنِ والإســـعَـــادِ [1]

قدْ عرف الشعر سابقاً بأنه ما يشعر به الشاعر دون غيره، هذا ما يؤكده علم النفس بأن الكتابة أو الرسم ماهي، إلاّ تنفيس عمّا يجول داخل النفس، وأن المتتبع لأبيات القصيدة أعلاه يجد ان الدافع النفسي المسيطر على ذات الشاعرة هو الحزن المتوشح بالعتاب ورسالة الاستياء المترتبة على طيات أبيات القصيدة، وأيضا قدْ يبدو والواضح على ملامح القصيدة أنها مرت بطور التكامل النفسي أو النمو النفسي، لذلك فإن الحزن كان هو انبعاث داخلي. ممكن تسميه ذلك الحزن بالنمو النفسي الذي عرفه أريكسون بأنه عملية تطورية مستمرة كل مرحلة منها متساو من الاستمرارية وعدّ اريكسون بأن كل مرحلة ازمة تنتهي بحل نفسي اجتماعي، وأن الفرد ينمو إلى المرحلة التالية بمجرد أن يكون مستعداً بيولوجيا ونفسيا واجتماعيا واستعداده الشخصي يقابله استعداده المجتمعي [2]، باعتبار أن ما وصلت إليه الشاعرة هو تتابع بالأحداث الأليمة وكان الاسر باعثا لقول الشعر.

تنقلنا الشاعرة عبر استعاراتها إلى صور سمعية وذلك؛ لأن الاستعارة لها تأثير وإثارة عندما تتفاعل مع مهارة الشاعر، بحيث تظهر الصورة بشكل عام، والصورة السمعية خاصة عند استقبالها من الجمهور؛ لأن لها القدرة على التصوير؛ لأنها تفعل في روح المستمع ما لا تفعله في الحقيقة ومن خصائصها أنها تمنحك الكثير من المعنى بكلمات قليلة جدًا فترى بها الجماد حياً ناطقاً فهي علاقة لغوية تشكل صورة وفق انتقال أصوات الكلمات المختلفة بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة، والتي تنبع منها حيوية الاستعارة وعدم استقرار[3]، فالشاعرة بحسب حالتها النفسية جسدت الأسى فجعلت له طعم ،كما أعطت للنفاق صفة القيام والدنو للفراق فهي بهذه الالفاظ أحدثت ايقاعات مختلفة تدل على قدرة الشاعرة اللغوية.

([1]) الديوان :٢٤.

([2]) ينظر :علم نفس النمو : حسن مصطفى عبد المعطي : ٢٧٥/١.

([3]) ينظر: الصورة السمعية :٢٣٦.

ونحظ أن الشاعرة قد وظفت الأسلوب القصصي في قصيدتها فيمكن القول "ان كل نص شعري هو حكاية أي: " رسالة تحكي صيرورة ذات" [١]، أي انعكاس لحياة الشاعرة النفسية، كما نجد إنَّ الشاعرة وظفت الجدل في ابياتها الشعرية أي "حجاجا إقناعياً الهدف منه استرجاع الحقوق المسلوبة عنوة بواسطة آلة اللغة" [٢]، فاستعملت أسلوب الحجاج بإثبات أصالة نسبها ورفعة مكانها.

ومن خلال دراسة باعث الحزن نجده أسهم وبشكل فاعل في القصيدة النسوية الاندلسية فتعددت بواعثه فكان لها فاعلية في اثارة الحزن فكان شعرها عذب صادق نابع من صميم قلبها؛ لأنها عاشت تجربة حقيقية فليس للخيال دور فيها فعبرت عن مكنوناتها الداخلية وانفعالاتها الشعورية فقد كان للموت حضور فاعل في شعرها مما ولد الحزن فكان دافعا؛ لأن ترثي حبيبها.

عبرت الصور الشعرية عن عظم الازمة النفسية الوجدانية وعمق الأسى والحسرة فقد كان للموت حضور فاعل في شعرها ولد الحزن عند حفصة الركونية فكان دافعا؛ لأن ترثي حبيبها، أما باعث الفراق فقد كان الليل تعبيرا عن ألمها وحزنها فصورت العجفاء طول الليل؛ لأنه يذكرها بتلك الالام والاحزان أما حفصة بنت حمدون ارادت تصوير تلك الليلة التي حصل فيها الفراق.

أما الموسيقى الشعرية فكانت ذات علاقة بأفكار الشاعرة واحاسيسها وعواطفها وانفعالاتها من خلال توظيفها التضاد والجناس التام وكذلك التكرار فقد وظفته حفصة الركونية لتحدث إيقاعا موسيقيا يثير المتلقي، أما العجفاء فقد وظفته في كلمة "فراقكم" وذلك للتأكيد على ألم الفراق وما يسببه في ذات الشاعرة.

---

(١) تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص) :١٤٩.

(٢) الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة :٤٥.

[المبحث الثالث: الغـــربة والحنـــــين]

يشير مصطلح الغربة والاغتراب في اللغات الألمانية والفرنسية والإنكليزية "إلى حالة تحول الكائن إلى خارج ذاته، أو تجاوز ذاته" [١]، وقد استعملت كلمة الاغتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة، أو الانسلاخ سواء عن الذات أو عن الآخرين [٢]. أما في المعجمات العربية فتدل على النزوح عن الوطن أو البعد والانفصال عن الآخر [٣]، فالاغتراب هو الانفصال عن الآخر بكل أشكاله.

ويبدو أن الغربة عاشت مع الانسان منذ بداية حياته فهو منذ بدا يضرب في الأرض متجذر في موقفه من الذات والكون والحياة والمجتمع يتجلى في صميم المعاناة للذات ومفارقته للجوهر الطبيعي ،فقد حمل الانسان بين جوانحه كل أنواع المشاعر والاحساس بالغربة حتى ان معظم اعماله الأدبية كانت مصبوغة بصرف النظر عن هذا الاحسان بالألوان، وفي الحياة العربية وجدت دواع كثيرة للغربة والاغتراب اذ كان القلق يسيطر على الانسان العربي ولعل غياب مراكز القوة والسلطة المركزية في المجتمع فضلا عن العوامل الذاتية والنفسية والطبيعية والمكانية، فكانت باعثاً لها الأثر الكبير في نشوء ظاهرة الاغتراب منذ القديم أصبح ظاهرة إجتماعيّة وثقافية وإقتصاديّة تقوم على التنافر بين الذات والآخر، وهذا يدل أن للإغتراب تاريخ طويل في الشعر العربي، إذ إن العربي قد حمل ضروبا من الاحساس بالغربة في هذه الصحراء المترامية، إذ الغربة في الواقع رمزاً لحياة العربي التي تضرب في المتاهات بلا انقطاع . ورحيله الذي لا يهدأ [٤]، وكل تلك الابعاد تدل على الغربة.

الاغتراب عند هيجل يوجد في صميم بنية الحياة الكلية ذاتها، أما عند ماركس فهو يوجد في بنية شروط العمل البشري التي تضطره؛ لأن يغترب عن عمله، وعن ذاته، وعن زملائه. والحد الذي يقدمه هيجل لأزمة الإنسان يتلمسه من خلال مذهب فلسفي يناظر العملية الجدلية للعقل الكلي. أما ماركس

---

(١) الحنين والغربة في الشعر العربي:١٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:١٦.

(٣) اللسان ،مادة (غرب) :١٦.

(٤) ينظر: الغربة في الشعر الجاهلي:١٤-١٥.

فيبحث عن هذا الحل في تغيير ثوري للأحوال الاقتصادية للإنسان يجعل من الممكن حدوث انسجام كامل بين الإنسان وعمله [١]، فماركس نظريته عملية مادية.

وترى ادبيات علم النفس إنّ الاغتراب هو مشكلة إنسانية على مر العصور وليس مجرد قضية في عصرنا الحالي فقط، على الرغم من ان ظاهرة الاغتراب والشخصيات الإنسانية التي تميزها قد تختلف من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى مجتمع ولابد ان نقول اننا نشعر بالغربة حينما يكون القهر ويكون مستمرا ويقول **أريك فروم** "الاغتراب ليس نعمة أو نقمة بل إنه يدخل في النسيج الوجودي للإنسان وسيظل الاغتراب طالما يظل الانسان [٢].

أما عند المحدثين فقد حاول الدكتور عبد الإله الصائغ[٣] جمع دلالات الاغتراب بقوله: " الاغتراب هو حب التجديد، اغتراب المتلقي، الانفصال إذ لا يحدث الاندماج الانفعالي بالنص الاغتراب عن الذات لحظة تشكيلها صورة للعالم، نقدا للآخر الذي يعيش خارج الجلد، يجعل شيئا ما ملكا للآخر، يعكس الوعي المتزايد على السلوك والهيأة، والاغتراب أسئلة غامضة بلا أجوبة، استبداد الحرية على منظومة استيعاب المبدع، فقدان الحرية نتيجة المعتقدات الميتافيزيقية، الجمالية والميتا جمالية، الخوف من الموت أو الشوق إليه، الاغتراب... موت الصبر وانبعاث الحلم المستحيل، الحنين إلى الماضي، النص المغترب عمل شاذ كتبه شاذ لمجتمع شاذ، الغربة عن الطبيعة والأصحاب والذات جزء من صاعد المبدع في معراج النمو، الاغتراب كامن في كل الأزمنة والأمكنة والحضارات، ولكنه يعبر عنها بشكل مختلف" [٤]، فإنه موجود في كل شيء وبكل الازمنة وعبر التاريخ والحضارات.

فالاغتراب عندهم "هو حالة نفسية يشعر فيها الانسان بالانفصال من خلالها عن افراد المجتمع وعدم التوائم والانسجام والتوافق معهم بالشعور بالعزلة وسط الافراد لعدم القدرة على التكيّف معهم أو

---

(١) ينظر: الوجودية:٢٢٥.

(٢) ينظر : أنماط الشخصية اسرار وخفايا :١١٩.

(٣) عبد الإله الصائغ: شاعر وناقد ادبي وباحث اكاديمي من مواليد مدينة النجف الاشرف–العراق في ١١مارس \ اذار ١٩٤١م –يقيم حاليا في مشيكن –الولايات المتحدة الامريكية ,ينظر : assalam٩٤@gmail.com

(٤) نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي :٦٤.

الانفصال عن الذات" [١]. فالمجتمع يحدد الغريب بأنه من لم يكن من أبنائه، ومن ثم فلا تربطه بهم صلة قرابة أو آصرة فكرية ثقافية تشده إليهم، ولكن في المجال النفسي قد يكون الإنسان بين أهله وأبناء مجتمعه، ولكنه يشعر بأنه غريب بسبب النفسية الداخلية وهي معقدة تعكس المجتمع ولماذا في جسده، بيولوجياً وفكرياً، يُعد إغتراباً نفسياً وليس جسدياً [٢]، لذلك تحدد نفسيا.

يكاد الشعور بالغربة يشمل معظم قصائد الأندلسيين في أغراضها المختلفة، في علاقاتهم بالملوك والوزراء والقضاة، وفي علاقاتهم بالمدن الشرقية والجزر والأنهار، وفي مناقشاتهم ولقاءاتهم. فكل ما يرونه في المشرق يذكرهم بالأندلس الذي فقدوه، فيقارنون بين أيامهم السابقة في وطنهم، وبين الظروف التي عانوا منها في مدن المشرق، فقد أصبحت الغربة هاجساً يسكنهم، يرددون ألفاظها ومعانيها المختلفة في أغلب ما يكتبون، مكثرين فيه من الحنين الدائم لفردوسهم الذي فقدوه ولاسيما لدى شواعر الأندلس [٣]، فالاغتراب اصبح يعتاش في دواخل ارواحهم وظهر على كل سلوكياتهم وبالأخص شواعر الاندلس.

الحنين:

إذا كانت الغربة تعني الشقاء والضياع والألم، فإن الحنين بكل طاقاته يعني حياة السرور والبهجة والفرح؛ لأنه يجسد لحظة أمل يعيشها الشاعر أو الإنسان في ساعة من ليل أو نهار، وإذا كانت الغربة تعني البعد والنوى فإن الحنين يعني القرب والعودة، تفصل بينهما لحظة زمنية معينة يسبقها الشعور الطاغي بالحنين إلى الوطن [٤]، عندما يحن الانسان إلى شيء ما، فإنه يلجأ إليه معنويا، كما لو كان عائدًا من مكانه إلى حيث كان يحن، أو من الزمان الذي كان فيه إلى وقته، وهذا الاهتمام هو نفسه على الانسان والحيوانات ، والمغترب الذي يفتقد وطنه غالبًا ما يلجأ إليه اقتصاديًا، أي يتجه نحوه، ويتحدث معه، هذا زيادة على النزوع المعنوي الذي هو السبب أن تكون ميلاً وانحناء في تلك اللحظة [٥]، فقد يكون معنويا وواضحا اكثر مما هو نفسي.

---

(١) نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي: ٦٥.

(٢) ينظر :الانتماء والاغتراب (دراسة تحليلية):١٩-٢٠.

(٣) ينظر: شعر النازحين من الاندلس الى مصر والشام في القرن السابع الهجري بين التأثر والتأثير:٧٦-٧٧.

(٤) ينظر: ملامح الغربة والحنين في منظومة حنين للشاعر المجدوب (بحث) :١٢٣.

(٥) ينظر: الغربة والحنين الى الديار في شعر العصر العباسي الثاني (٢٣٢هـ-٣٣٤هـ) (ماجستير) :٤.

يتميز الشعر العربي بسمة متأصلة وهي الحنين، والتي ترتبط بالبيئة المعاشه للعرب، مما يحفزهم على الاستمرار في الشوق والحنين إلى الأراضي التي تركوها وشعوبها. وكانت العرب تقول: (الحنين من رقة القلب، ورقة القلب من الرعاية، والرعاية من الرحمة، والرحمة من كرم الفطرة، وكرم الفطرة من طهارة الرشد) [١]، فهو غريزة عميقة في النفس البشرية، وعاطفة صادقة أودعها الله في الإنسان.

وقد حفل شعر الغربة والحنين بعدد من المثيرات فالغريب الذي يهزه الشوق والحنين إلى وطنه تذكره وتهيجه مثيرات ستعذبه وتثير أشجانه، الذي غالبا ما يكون سبباً لمعاناته، فهي تذكره بغربته، وتذكره بأحبابه وأهله وأوطانه، منها الريح التي تأتي بأنسام أرضه وشذى أحبابه، والناقة رفيقة أسفاره التي تحن إلى أرضها ومراعيها، الحمامة التي تثير حزنه وتذكره بمن يحبه، وصوت الحبيبة التي تشكو الفراق والبعد وتعاتبه وتحاوره، وقطرات المطر التي تذكره بدموع زوجته واسرته حين الوداع، ونجوم السماء والثريا التي يسهر وإياها ليلاً، فيذكر وطنه الذي تظله هذه النجوم وسمره ومن يحب وهي ترعاهم ببريقها، وغيومه المتدفقة التي يتمنى أن تسقي أرضه ليعم الخير فيها، ويتمنى أن ينعم وأهله بخيرها بعد أن تنكشف الغمة ويجتمع الشمل، كل تلك المحفزات والرؤى تثير عواطف الحنين وأشواق العودة إلى الأحبة والوطن الحبيب [٢]. وقد نجد هذه المثيرات في شعر الشواعر الاندلسيات فأبكتهن وأشجتهن وأنطقتهن بروائع شعر الغربة والحنين، فهذه **قمر البغدادية** التي تشكو الغربة وتحن إلى وطنها **قائلة:**

[الكامل]

آهــاً عــلى بَـغـدادِهَـا وعِـراقِـهَـا ... وَظِـبـائهـا والسَّـحـر فـي أحدَاقِهَـا

وَمَـجـالِهَـا عِـنـدَ الفُـراتِ بـأوجـهٍ ... تَـبـدو أهِـلَّتُـهـا عَـلى أطـواقَـهَـا

مُـتَـبـخـتِـراتٍ فـي النَّـعـيمِ كأنَّما ... خُـلِقَ الهَـوى العُذريُّ مِن أخلاقِهَا

نَـفـسـي الفـداءُ لَهـا فـأيُّ مَحاسنٍ ... في الدَّهرِ تُشـرِقُ مِن سَـنا إشـراقِـهَا [٣]

الباعث النفسي الواضح في أبيات الشاعرة هو الحنين الذي جعلها ابتدأت أبياتها بلفظة (آها) تعبيراً عن خلجات نفسية، أما الدافع هو حالة الغربة التي تكون عبارة عن انفعالات واضحة كالحسرة المفجوعة

---

(١) ينظر: الحنين في الشعر الاندلسي: ماجستير:١٤.

(٢) ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي:١٥٥.

(٣) الديوان :١٠٠.

على مكان مخصص وهو بغداد وتارةٍ أُخرى تجد الحسرة ممتدة على العراق بأجمعه، وحتى أن الشاعرة كأنها تخاطب أُنثى وهي بكنف والدها حينما وصفت (السحر في أحداقها ، وأهلتها على أطواقها) أبيات تُكاد تُعد من أجمل أبيات الغزل الممتزج بالحنين والوله واستعار الشوق واللوعة من الغربة، وأيضا كان يظهر جلياً للشاعرة التفاخر بأهل العراق وأهل بغداد بما يحمل أهل العراق عامة وبغداد خاصة من خصوصية في نفس الشاعرة، كان الشوق واصلاً لذروته في نفس الشاعرة حتى أنها اختتمت الأبيات بأنها مستعدة للفداء لبلدها لما يحمل من محاسن وصفات، الأبيات كانت تتمحور حول الحنين المفعم بالشوق إلى الوطن، والتفاخر والتباهي.

يعبر عنه "الشكعة" بأنه "حنين عميق صيغ في شعر رقيق لا نخطئ فيه الصدق ولا ننكر عليه العمق، لقد حملت "قمر" معها من بغداد بعض صنعة شعرائها من جناس ومن صور ناعمة اللون في الجمع بين الظباء وسحر الأحداق، والوجوه كالأهلة، فوق الأطواق منساحة على صفحة الفرات" [1].

في قولها:

مُـتَـبـخـتِـراتِ فـي النَّـعـيمِ كأنَّما خُـــــلِقَ الهَـــــوى العُذريُّ مِن أخلاقِهَا

نجد أن الشاعرة وظفت الجناس بين لفظة "خُلق" ولفظة "أخلاقِها"، أن المرأة المتبخترة في النعيم تبدو وكأنها خُلِقَتْ من أخلاق الهوى العذرية، أي تمتلك أخلاقاً وأنوثة ورقة تشبه جمال ونقاء الحب العفيف، فتشير لفظة "خُلق" إلى الجمال الخارجي والطبيعي للمرأة. وفي الوقت نفسه، تشير لفظة "أخلاقها" إلى الجوانب الداخلية والأخلاقية للمرأة، وبهذا التشابه اللفظي تضفي الشاعرة بعداً جمالياً إلى البيت.

وقد تشعر سارة الحلبية بالانتماء الذي هو "ظاهرة إنسانية فطرية تربط بين مجموعة من الناس المتقاربين زمانا ومكانا بعلاقات تشعرهم بوحدتهم، وبتمايزهم تمايزا يمنحهم حقوقا ويحتم عليهم واجبات "[2]، لكن هذا الانتماء مثقلاً بوجع الغربة ولذة الحنين إلى الاهل والوطن ومن أروع النصوص التي جسدت فيها هذا قولها:

[الكامل]

البـيَـن شـرَدنـي عن الأوطـــانِ والبَـــيـــن أســـلَمـــَنـــي لكـلِ هـوان

([1]) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه:١٣٢.

([2]) ينظر: ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام :٢٦٧.

يَا هَلْ لقَلبي المُبتلَى من راحـــــــة ... أم هَـل تَـذوق الغـمـض لي أجفاني؟
لو أنَّ مَا بي بالحَصا فَلق الحَصـــــا ... أو بـــالحَـديـدِ لسـالَ بـالجَـريـان
أو أنَّ ثـهـلاناً تـَحمل بَعض مـــا ... حـمـلت لانـهَـدت ربـى ثَـهـلان [1]
مـن عاصمي من ناصري من منقذي ... يـا قـوم مـمـا شـفـنـي وبـرانـي
هل ثم غير أبـى الوفاء لكشـف مـا ... قـد حَـلَّ بـى مـن جـورِهِ ودهـانـى ؟
السـيـد السـنـد الهـمام ... بـحـر العـلوم ومـعـدن الاحـسـان
يـا واحـدُ الدنـيـا وخـيرة ... وأجـل مـن تـمـشي بـه القدمـان
يَا ابـن الذى لو كان يـعلو ماجـد ... فـوق النـجـوم عـلا عـلى كـيـوان
ارثـى فديـت لقلـتـى ولذلتى ... وتـغـربـي عن مـوطـني ومكـانـي
لا زلـت في عـز يـدوم ورفـعـة ... مـا حـنَّ مـشـتـاق إلى الأوطـان [2]

الحنين والضياع من اسمى الدوافع النفسية التي جعلت الشاعرة قد ابتدأت الشاعرة ابياتها بلفظة " البين" فقد تشكل هذه اللفظة أسلوب الاستهلال وهي تمثل شعوراً بالاسى والحسرة وقد يصاحب هذا الشعور رغبة في التجاوز فهو استهلال مجازي له وظيفة رمزية [3]، وهي دلالة على فراقها عن اخيها أما خوفها من هذا الفراق كان عبارة عن باعث نفسي موجع شكل صورا للأبيات الشعرية ،فجاءت تعبيرا عن عواطف جياشة وهذه العواطف اتجهت صوب أخيها، بألفاظ بسيطة كان للمكان فيها الدور الواضح من مثل الكيوان الثهلان الأوطان وغيرها، ومما أسهم في رفد دلالة النص الإيقاع الجميل للبحر الكامل ولاسيما الترادف اللفظي وهو "ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه" [4] مثل (من ناصري من عاصمي من منقذي) فقد وظفتها؛ لحمايتها من التشتت والضياع في الغربة. والاصوات مثلا صوت السين السيد السند

([1]) ثهلانا :الثهل يعني الانبساط على الأرض وثهلان جبل معروف قال امرؤ القيس:
عقاب تدلت كم تاريخ ثهلان
, وثهلان أيضا موضع بالبادية وهو الضلال بن ثهلل وفهلل لا ينصرف. ينظر اللسان: ٢/ ١٤٤.

([2]) الديوان :٨٠.

([3]) ينظر: مقولات بلاغية في تحليل الشعر:٩١.

([4]) فصول في فقه اللغة العربية:٣١٠.

، ومن ثم انتقلت إلى المدح في قولها الهمام المرتضى بحر العلوم ومعدن الإحسان فالممدوح "واحد الدنيا" لذلك احتاجت الشاعرة إلى كل هذه الصور الحسية الواضحة والايقاع المنساب الذي يلائم حالتها.

أما في قولها:

يا هل لقلبي المبتلَى من راحـــــة أم هل تذوق الغمض لي أجفاني؟

فقد وظفت الشاعرة في هذا البيت التمني والذي يراد به" طلب حصول الشيء سواء كان ممكنا، أو ممتنعا، وهو من الرغائب النفسية التي تكمن في باطن النفس وقد يعبر عنه باللفظ المباشر أو بالاستفهام بالهمزة أو هل أو غيرهما" [١] فحين ضاقت كل السبل أمامها ولاسيما في إنفعالها النفسي المتأت من ضياعها، فاستفهمت بالتمني تتمنى بان يدخل قلبها الراحة بعد التعب الشديد وتذوق اجفانها طعم النوم.

كما نلحظ التكرار في الفاظها ويقصد منه "إيجاد قدر من الموسيقى في القول الادبي الشعري "[٢]، ارادت الشاعرة ان تعبر عن انفعالاتها النفسية عند تكرار لفظة "البين" لتؤكد على الفراق والضياع والتشتت الذي كانت تعانيه في غربتها، أما ففي تكرارها (الحصا) فتحمل دلالات نفسية وذلك كالدلالة على الوحدة والألم الجسدي والضيق النفسي الذي يصيب الإنسان في بعض الأحيان والحزن الذي ينتاب الشاعرة عند الابتعاد عن أهلها وموطنها الأصلي وحنينها لهم كان الباعث النفسي لقولها هذه الأبيات.

أما الغربة الفردية التي يضطر فيها الشاعر إلى مغادرة الأرض التي بقيت فيها قبيلته ومن هنا تبدأ معاناته؛ لأنه لا يستطيع الانعتاق من المكان والتخلي عن الاهل والعشيرة فيتحدث عن الغربة والفراق الذي عصف بروحه وكيانه [٣]، وقد عبرت سارة الحلبية عن ذلك عندما كتبت لصفية قائلة:

[الطويل]

إذا مـا ذكـرت الشرق طرت له شوقاً وشـــوقي لمن بالشـــرق أذكرني الشـــرقا

وآنـس لمـح البـرق مـن نـحـو تونس فيـــستأنس المشـتاق إذ يأنـــس البرقا

---

(١) الخصائص الدلالية للأساليب الاستفهامية (بحث) :١٣٠ .

(٢) اللغة والبلاغة:٢١١.

(٣) ينظر: ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام :٢٦٨.

فنار شجوني قد حكت وقدَ ناره ودمع جفوني قد حكا ذالك الودقا
ولكن بمن أضحت وحيدة عصرها نسيت من الأشواق ما جل أو دقَّا
لقد سار الشمس فخر صفية ونور إشراقاً لها الغرب والشرق
ومن أصبحتً ترقى إلى المجد والعلا مراقي لم يرق إليها ولن ترقى
وأبدت سماحا لم يكن قبلها بتدا سلالة فخر العالمين الرضى الأتقا
وشادت بناء للمعالي بجودها فلله ما أتقى ولله ما أنقا
أسيدة أضحى بعزة وجهها ضنى الجهل يستشفى وفى المحل يستقى
ألا ساعد السعد ابتغاء مرادكم وجاءكم المقدار في ذالكم وفقا
وبلغتم المأمول في كل مأرب ولاقاك بالإجلال والبر من تلقى
ومن بعد آمين السلام عليكم أرددها ما رددت سجعها ورقا [1]

الوحدة المهيمنة على الشاعرة كان هاجساً نفسياً أصبح فيما بعد دافعاً موجعاً، شكل خوارزمية القصيدة ممتزجاً بالغربة التي شكلت لوحة شعرية تعترف بما حدث لها في غربتها، وكأنها تفرغ آلامها وأحزانها في شدة ذلك العبء العاطفي الكئيب في الصور اللفظية. وبنيتها الشعرية تعكس ألم حياة الغربة معها التي كانت باعثاً خارجياً يمتزج لترسم صوراً شعرية بتلك الحنكة، فتبدأ بالحديث عن الشرق والشوق، وكانت قد أوحت بأن شوقها جارف حال ذكر الشرق، حتى إن روحها باتت ترفرف كالحمامة حال سماعها به، وأضفت على البيت الشعري متلازمة الإنسانية والروح على مفردات في الأصل تدل على عدم وجود الروح فيها، لولا أن الشاعرة استدركت ذلك وجعلت من تلك المفردات ذات بهجة وروح، فقد تلائم بحرها الطويل مع طول الشوق وذكره مع هيمنة واضحة لقاموس الطبيعة، وهذا يدل على التصاق الشاعرة بالأرض الأم بما تحمله من جمال وهدوء، مع تكرار واضح لصوت الشين، لاسيما البيت الأول، وكذلك صوت القاف الذي يشير إلى حالة الوجد بقلقلته، لاسيما في البيت السابع، ويفيد ذلك في الكشف عن انفعالات الشاعرة، فهي جزء من أسلوبها وما يدور بخاطرها. فعند تكرار الصوت، تحقق الشاعرة لقصيدتها

(1) الديوان :٧٤.

النظم الجيد والبناء المحكم المتين والانسجام والتناغم [١].فضلا عن تكرار الكلمة في شعرها وهذا أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثير، واللفظ المكرر فيه هو المصباح الذي ينشر الضوء لاتصاله بالوجدان [٢]، فوظفت هذه الأساليب لدواعٍ نفسية.

ثم سعت الشاعرة لمدح صفية بكل ما يمت للعلى من صلة، فهي العالمة والنقية والكريمة، وذات النسب الشريف. ومما ينماز به النص، القاموس الشعري الفخم الدال على صفات الكرم الحقيقية التي تنبع من منبعها إلى مصبها، مع وجود انزياح أسلوبي في بعض أبياتها بصور تشخيصية مميزة (يأنس البرقا، سار الشمس، فنار شجوني قد حكت)، وهذا يدل على أنها عملية نفسية بحتة، وظيفتها التأثير على نفسية المتلقي وإثارة انفعالاته المناسبة من خلال تشخيص المعاني المجردة في صور حسية. والتي يتخيلها المتلقي أنها مجتمعة، متمثلة فيها، وإنما يتم ذلك من أجل المبالغة في تأكيد السمات وإثباتها للمعنى المقصود تقديمه من خلال الصورة. ولجعل التخيل الذي أحدثته الصورة بوساطة التشخيص في خيال المتلقي أكثر قدرة على إحداث استجابة مناسبة، فإن معظم الشعراء يعتادون استعمال عنصر التشخيص في صورهم [٣]، فكان لهذا الدور الواضح في الكشف عن الابعاد النفسية للشاعرة.

ومن شواعر الاندلس **حسانة التميمية** التي عبرت عن حنينها بالبكاء وهو انفعال من الانفعالات التي يُعبر عنه اهل علم النفس بانه أسرع طريقه يقوم بها الشخص والتي تعمل على تعزيز المزاج وكذلك تهدئته وشعور الشخص بالراحة النفسية والتخلص من الضيق والتعب **اذ تقول:**

[البسيط]

أبكـــي عليهِ حنيـــناً حينَ اذكـــرهُ ... حنـــــينَ والهـــــــةٍ حنت إلى وطنِ

ابكي عَلى مَا جَنت ظَهري مُصـــيبَتَـهُ ... وطيرَّ النومَ عن عَيني واراقَّـــــــــــني

والله لا انســى حبّى الدَّهر مَا سَـجعَت ... حَمامةُ أو بكى طَـيرٌ عَلى فَنـــــــنِ [٤]

([١]) ينظر: الاغتراب في الشعر الأموي: ٢٠٠.

([٢]) ينظر: فضاء النص بين إيقاع الشعر وايقاع العصر: ٢٦٥.

([٣]) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية :١٧٧.

([٤]) الديوان :٣٤.

ربطت الشاعرة حنينها بالبكاء المستدام المرتبط بالذكرى وهنا إشارة على الحزن الدامي للقلب الذي رافق صور الحبيب داخل النفس، كون ذلك البكاء كان صعباً لدرجة أنها تشبه حالات البكاء بحالات الإنسان المصاب بالحنين إلى الوطن، وهذا الحنين جعل الشاعرة تصاب بأرق مرهق حتى أنها لم تستطع النوم، ومن ثم تقسم أن لا تنسى حب زوجها المتوفى مادامت تسمع سجع حمام، أو ترى بكاء طير على غصن، وهذا دليل على حنينها إليه وشعورها بالوحدة والغربة من بعده، أبيات تحتوي على صور شعرية تتسم بلغة بليغة مملوءة حنين ووجع طرزتها الشاعرة بمشاعر صادقة.

فقد وظفت الشاعرة في البيت الثالث "القسم" لتؤكد إصرارها على حبها لزوجها ووفائها له فعمدت إلى هذا الأسلوب للتأكيد؛ لأن لفظ الجلالة يكشف البعد النفسي للشاعرة ويثير القارئ أو السامع عند قراءتها.

وتنقلنا **زينب المرية** إلى صورة أخرى من صور الحنين وهي البكاء على الأطلال والديار التي رحل عنها أهلها **قائلة:**

[الطويل]

أمِـــن رَســـــمِ دارٍ بالخريفِ تَبادرتَ ... دمـــوعُـــك ذِكـــرى ســـالف قَـــد تَـــحرَما

وقَـــد مـــرَّ حـــبـــلُ الحي إلاّ معذوراً ... عَـلـيـنـا شـجـاه شـجـونـا فَتلومَا

بضـــيء خصـــاص البيتِ والســـترُ دونه ... لنـا غَربُ نَـابليـة إذا مـا تَبســـمَـا (١)

الحنين هو من اهم البواعث النفسية الذي كان كملامح لصور الشعرية لدى الشاعرة وان الدافع الذي كان واعزاً لكتابتها الأبيات هو فقدانها الاحباب وفقدانها الأيام التي كانت تحمل بطياتها كل ما تتمناه. فاستهلت الشاعرة قصديتها بمقدمة طلليه ونبرة حزينة، وهي تنصب بشكل أساسي على أصوات الانقلاب والتغيير ما بين الماضي والحاضر، فالأطلال تعبير عن شحنة شعورية ذاتية تثيرها تلك المحال المندرسة البالية، إذ تتناوب الذات بين قطبي الماضي والحاضر يتجاذباتها، وعلى الرغم من أن هذا لا يتفق مع كل شيء، فقد يكون الماضي متوتراً أو الشبح الذي يطارد الشاعر، والحاضر قلقاً كذلك، وقد تكون الاطلال تعبيراً عن رؤية فلسفية عميقة تعبر عن الخلود والمعنى الابدي أو تعبيراً عن صورة نفسية تكمن في اعمق جزء من روح الشاعر، إذاً ثمة اعتماد متبادل بين الأطلال والصورة النفسية، بمعنى أنّ

(١) الديوان :٦٧.

الشاعر يكرس ثنائيتين: الزمن في مروره يجرد الأشياء ويعربها، لكنه في الوقت نفسه يخلد الأشياء ويمنحها الديمومة [١]، فهذه الديار اثارت احاسيس الشاعرة ومشاعرها فعبرت عنها بهذه المقطوعة الحزينة.

تبدأ في هذه المقطوعة بالتساؤل بالهمزة عن الحبيب، وعند وصوله إلى تلك الديار، تنهمر دموعه، مما يظهر حيرته ودهشته، وتزداد قوة التعبير بدلالة الاستفهام. وقد وفقت الشاعرة في إيصال مشاعرها وأفكارها ببراعة، حيث أظهرت قدرتها اللغوية ومعرفتها بدلالات الأسلوب، واستعملت طاقتها التأثيرية بشكل فعّال.

وتنقلنا **حفصة الركونية** في حنينها إلى الحبيب وشعورها بالغربة فكان لحضور الليل هاجس يستوطن ذاتها **اذ تقول:**

[الطويل]

سَـــلوا البَارِقَ الخفَّاقَ واللَّيلُ سَـــاكِنٌ أظَـــلَّ بـــأحبَـــابـــي يـُـذَكِّـــرنـــي وَهنَا [٢]

لَعمري لَقـد أهـدَى لِقلبي خَفقـةً وأمطَرني مُنهـلٌ [٣] **عـارضـــــهِ الجَفنَـا** [٤]

إنَّ مشهد الليل ينعكس في إحساس الشاعر منهم بالغربة القاتلة إزاء الليل كزمن ثابت وفقا لحالته النفسية وهو شعور نادرا ما يمر فضلا عن المشاهد الملونة الكئيبة الذي يوحى به سواده، ربما يكون هذا الظلام أقرب إلى نفسية المكتئب وعالم المغترب حتى ليعيش على أمنية الخلاص منه، ولكنه غالبا ما يبدو ليس لديه القدرة على خلق وسيلة ناجحة لذلك الخلاص، فلا نراه أمامه إلاّ متخاذلا وحزينا، يقف في تصويره بين حشوده المظلمة التي تتعامل مع ازمة نفسية وتحاربها، أو ينجرف في خضم الأحزان التي لا يكاد يرى لها نهاية ؛ لأنه هو أيضا لا يريد أن ينتهى، وكأنه إنما يتحدى الشاعر، ذلك الإنسان الهزيل في أمنيته بانقضائه[٥] ،فاتخذت الشاعرة الليل رمزا للتعبير عن حنينها وآلامها.

كما وظفت الاستفهام لما له من قوة تأثيرية في المتلقي وقد أدركت الشاعرة هذا التأثير وعبرت عما يختلج نفسها من مشاعر واحاسيس من خلال هذه الدلالة في خطابها الشعري.

---

(١) ينظر: الاغتراب في القصيدة الجاهلية:٨٣-٨٤.

(٢) الوهن: ساعة تمضي من الليل. اللسان، مادة(وهن) :٤١٧/١٥.

(٣) منهل: مشرب. اللسان، مادة (نهل) :٤٢٢/١٤.

(٤) الديوان :٥٥.

(٥) ينظر: الموقف النفسي :٢٢.

ومن خلال قراءة شعر الشاعرة الأندلسية وما عبرت عنه من احاسيس وانفعالات داخلية، يتجلى بوضوح مدى تأثير الغربة والحنين على شعرهن. فلم تختلف سارة الحلبية وقمر البغدادية في الصورة الشعرية التي رسمتها كل منهما، فقد إستعملتا حنينهن إلى الأهل والأرض الأم، بغداد، إلاّ أن هاجس الغربة كان مختلفًا عند سارة الحلبية. فقد شعرت بالضياع والتشتت، حيث يضيع الإنسان نفسه عندما يصبح غريبًا. وصورت حالةً من حالات الانكسار النفسي. أما قمر البغدادية، فحياتها الرفاهية التي كانت تعيشها خففت من شعورها بالغربة. فالأبيات تحمل في طياتها مضامين الخوف والترقب والغيرة حتى من الطبيعة على فشل علاقتها. ولذلك كانت تتوخى الحذر من كل ما يحيط بها، سواء كان ذلك من طبيعة أو أشخاص أو أي شيء آخر.

أما فيما يتعلق باللغة الشعرية في قصائد الغربة والحنين، فكانت أغلب أشعارهن تتسم بالسهولة والوضوح، بعيدة عن الغموض والتعقيد والالتواء، أما الفاظهن فملائمة للمعنى المراد، إلاّ أن زينب المرية كانت بعض الفاظها تتمتع بالجزالة، وذلك؛ لأنها استمدت معانيها من التراث القديم من الشعر الجاهلي.

أما ما يخص أسلوبهن، فصاغت كل شاعرة أسلوبًا مختلفًا عن الأخرى، فنرى سارة الحلبية وظفت أسلوب الاستفهام، وكان مفاده التمني، أما زينب المرية أيضا فظفرت بأسلوب الاستفهام، لكنها أرادت به التعجب، كما تميزت الشاعرة الأندلسية بالصدق في التعبير عن حنينها والمها في الغربة، وصدقها في مشاعرها وأحاسيسها، فكانت أغلبها تتحدث عن تجارب حقيقية مرت بها.

الفصل الثاني

البواعث الاجتماعية

المبحث الأول: المديح

المبحث الثاني: الهجاء

المبحث الثالث: العتاب والإعتذار

مدخل:

يدرس علم النفس الاجتماعي، أو السيكولوجيا الاجتماعية، سلوك الجماعات والتفاعل الاجتماعي، وعمليات التنشئة الاجتماعية. كما يدرس تأثير المجموعات على تنمية الشخصية. يركز هذا العلم على دراسة الظروف والشروط النفسية المؤثرة في تطور الجماعات الاجتماعية والحياة العقلية، وذلك من خلال تحليل تنسيقهم الاجتماعي وثقافتهم. كما يدرس تطور سلوك الفرد في محيطه الاجتماعي والمشكلات التي تنشأ بين الناحيتين الفردية والاجتماعية [١]، وبذلك، يتناول هذا العلم صور الإنسان المختلفة في مجتمعه.

ويقوم المنهج الاجتماعي على مبدأين اثنين؛ الأول إنَّ الأدب لا ينفصل عن بيئته ووسطه الاجتماعي، ما يجعل الأدب صورة للمجتمع، ويعكس موقفًا من طبيعة العلاقات الاجتماعية الدائرة فيه؛ والثاني، إنَّ الإنتاج الأدبي لا ينفصل عن السياق الاجتماعي الذي ظهر فيه، فهو موجه للاستهلاك الاجتماعي والتأثير في متلقيه ومستهلكيه، يشكل أذواقهم ويغير سلوكهم، ومن ثم كان الأدب من وسائل التنشئة الاجتماعية؛ فاللغة التي يستعملها مؤسسة اجتماعية، وليس مجرد جمالية أو نفسية، فهو بهذا المعنى، لا يؤدي الوظيفة المخولة له إلاّ إذا كان مرآة تعكس الحياة الاجتماعية في مختلف أبعادها، والأديب صاحب رسالة وموقف اجتماعي يعبر فيه عن رؤية خاصة للعالم مرتبطة به [٢]، فاللغة لها دورٌ رئيسٌ في المجتمع، تعبر عن الثقافة والتراث والأخلاقيات والمشاعر الخاصة بالمجتمع الذي ينشأ عليه الأدب.

فالباعث الاجتماعي هو ما " يشير إلى محفزات البيئة الخارجية المساعدة على تنشيط دافعية الأفراد سواء تأسست هذه الدافعية على أبعاد فسيولوجية او اجتماعية" [٣]، وبهذا فالأديب يتأثر بالحياة الخارجة السائدة في بيئته القائمة في مجتمعه وهو يستمد ادبه من حياة هذا المجتمع، وهنا تأتي العبارة المأخوذة من "**دي بونا**"، التي تقول: "إنَّ الادب تعبير عن المجتمع" [٤]، فالبيئة هي التي تحفز المبدع ليعبر عن انفعالاته.

---

(١) ينظر: موسوعة علم النفس :١٨٩.

(٢) ينظر :علم الاجتماع الادبي :٤٦.

(٣) الدافعية للإنجاز :٧٩.

(٤) الادب وفنونه دراسة ونقد:٢٥.

الشاعر المعاصر يتناول موقف الإنسان من هذا الكون وما يعانيه من ظلم واغتراب، من خلال تجربته الذاتية. ويهدف الشاعر إلى تمكين التجربة الإنسانية من استعمال دوافع تبريرية للتخلص من هذه الأعباء في تركيبها النفسي والاجتماعي. وذلك نظراً لأن الذات قد تخضع لقوى خارجية تعرقل مراحل نموها النفسي والاجتماعي، وقد وجد الشاعر ما يناسب مشاعره من خلال الاستمداد من نسيج القوى المكبوتة لضمير الجسد، وهو المصدر الوحيد الذي يمكنه من التعبير. ومن ثمَّ يحاول الشاعر تحقيق ذاته من خلال الكشف عن أسطورة الطبيعة الإنسانية [١]، الشاعر يعبر عن انفعالاته بما يلائم المجتمع الذي يعيش فيه.

العبقرية الشعرية هي عملية تمضي نحو إدماج "الأنا" مع الآخرين في بناء اجتماعي متكامل يُسَمَّى "النحن" وقد كانت علاقة الشعر والشاعر بالحياة الاجتماعية موضع اهتمام المفكرين منذ أفلاطون، إذ اهتم في التشريع بتحديد موضع الشاعر فيها، إذ يُنفى منها الشعراء الغنائيون ولا يبقى سوى الحماسيون. أما أرسطو فكان يبحث في الشعر بأن له وظيفة اجتماعية، وقد جعل له مهمة "صمام الأمان" فيما يتعلق بالانفعالات، فهو بذلك يعد عاملاً للتكامل في الحياة الاجتماعية، إذ يُتِيح لها أن تمضي على نحو الاتزان [٢]، فالفنان يكون معبرا عن عصره.

وقد انبلجت النظريات الاولى التي وجهت الاهتمام إلى طبيعة الدافعية الكامنة وراء الإبداع من التوجه السيكو دينامي إذ فسر معظم منظري هذا الاتجاه السلوك الإبداعي بأنه الطريقة التي تساعد على تقليل التوتر الناتج عن علاقة المبدع بالآخرين، ولا سيّما التوتر الناجم عن امنيات الفرد غير المقبولة اجتماعيا، وأكد **فرويد** أنه من خلال التسامي يحول الراشدون الطاقة الليبيدية الزائدة في اتجاهات أكثر قبولا اجتماعيا، والتي من بينها التعبير الإبداعي [٣]، أي يكون الانسان نرجسي يحب ذاته.

اما **أدلر** فيرى أن الباعث الأساسي على الفن هو حب السيطرة والتملك وقد تميز باهتمامه بالجانب الاجتماعي فالبواعث اللاشعورية، في تخيله لا يمكن أن تقدم بمفردها فهماً وافيا للطبيعة البشرية؛ إذ لابد من تجاوب عالم الشخصية الباطني بالارتباطات العقلانية وبخاصة العلاقات الاجتماعية؛ لأن

---

(١) ينظر: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي :٤٢٤.

(٢) ينظر :الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة :٣٤١.

(٣) ينظر: المرجع في علم نفس الابداع :٥٧٤.

الفرد في نظره ليس كائنا منفردا عن وسطه الاجتماعي يتصرف بما يمليه عليه نزوعه الفردي ودوافعه اللاشعورية [١]، فالإنسان عنده كائن اجتماعي يربط نفسه بالآخرين.

يقرر **هانز ساكس** إنَّ عملية الإبداع في الشعر يمكن الوقوف على دقائقها بوساطة منهج التحليل النفسي، ويقوم بهذه المحاولة فعلا لينتهي منها إلى أن القصيدة ليست سوى حلم يقظة اجتماعي [٢]، انما هي صلة بين الفن والحياة.

وبهذا يكون الأساس النفسي للتكامل الاجتماعي، إذ لا يمكننا أن نتخيل إنسانًا بلا مجتمع، كما أننا لا نستطيع أن نتخيل مجتمعًا بلا أفراد، إذ إنّ الفرد والمجتمع يمثلان وجهي عملة واحدة، كما يقول جون ديوي. والحقيقة هي أن المجتمع موجود ليس فقط خارج الفرد، وإنما يختلط مع المجتمع أيضًا في الداخل والخارج، ويعيش الإنسان من خلال المجتمع الذي يعيش في داخله. فالإنسان يولد كائناً بيولوجياً، ولكنه لا يلبث أن يتحول إلى كائن اجتماعي، وذلك بعد أن يتشكل لديه جهاز نفسي اجتماعي، وهو ما أطلق عليه **سيجموند فرويد** اسم الأنا الأعلى [٣]، ونتحرك ونفكر ونتعاطف مع المجتمع والمعايير التي نكتسبها بعمق. فلولا المجتمع، لما كانت هناك لغة يعبر فيها الأديب عن عواطفه وأفكاره.

عندما تحدثنا عن طبيعة العلاقة بين الأدب والمجتمع، وجدنا إجماعًا، أن الأدب والمجتمع مرتبطان، إذ يحمل الأدب دلالات اجتماعية غنية لا يمكن تجاهلها، بل يمكن استثمارها، ولكن يوجد شيء من الاختلاف في تحديد شكل هذه العلاقة، بالنسبة للدرجة التي يرتبط بها الأدب بالمجتمع، والمسافات القريبة من النصوص الأدبية، وآليات التزاوج بين داخل وخارج المجتمع [٤]، فعلاقة الأديب بمجتمعه لها دور كبير في كتابة النص الأدبي؛ لأنه يعطي صورة عن حياة الناس والأساليب التي يتبعونها، ويعبر عن آرائهم ومشاعرهم وخواطرهم.

---

(١) ينظر : المدخل الى نظرية النقد النفسي :١٤.

(٢) ينظر: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة :٧٦.

(٣) ينظر: سيكولوجية الابداع في الفن والادب :٣٩.

(٤) ينظر :علم اجتماع الادب :٥٣.

[المبـــــحـــــث الاول: المـــــديـــــح]

يُعد المديح أحد أكثر الفنون الشعرية شيوعًا في الشعر العربي، ولطالما رافق قيثارة الشعر العربي منذ بداياته. فالمديح هو الوتر الرنان في هذا النوع من الشعر [١]. على الرغم من التطورات التي حدثت في مسار شعر اللسان العربي، والتغيرات التي طالت صناعة النظم ومفاهيمها ومعاييرها، وعلى الرغم من التطور العقلي الكبير الذي عرفه العرب في أوقات الرخاء، إلا أن الثناء لم يغب أبدًا. ولم يتضاءل المشهد الشعري أيضًا، بل إنه لا يزال أصيلاً، وكل الفنون الشعرية الأخرى هي فروع له، يقبل عليها الشعراء؛ لأنهم يتجهون إلى الأشياء التي لا تمل ويعتنون بها [٢]، وكل هذا كان بدافع جذب الانتباه والتركيز على المديح.

و تميّز الشعراء في ممدوحاتهم ببعض القيم الاجتماعية مثل القيم الأخلاقية والدينية والنفسية، وقد تحدث عنها ابن طباطبا قائلاً: "وأما ما وجدتهُ في أخلاقها وتَمَدَّحت به ومدحَتْ به سواهم، وذَمَّتْ من كان على ضدَّ حالها فيه، فخلالٌ مشهورة كثيرة، ومنها في الخلق: الجمال والبساطة، وفي الخلق السخاء والشجاعة، والحلم، والحزم، والعزم، والوفاء، والعفاف، والبر، والعقل، والأمانة، والغيرة، والصدق، والصبر، والورع، والشكر، والعفو، والعدل، والإحسان، وصلة الرحم، وكتم السر، والدهاء وعلو الهمة، والتواضع والبيان، والبشر، والتجارب، والنقص والإبرام" [٣]. وأن المدح في الأساس يعبر عن إعجاب المادح بصفات ومزايا إنسانية رفيعة ومثالية، ويتم توجيهها إلى شخص معين أو تتجلى في مآثر قومية، ويهدف المدح إلى تشجيع الناس ورفع معنوياتهم، كما أنه يعكس التقدير والاحترام للأفراد أو المجتمعات التي يتم تمجيدها [٤]. وأفضل المدح ما صدر عن انجذاب حقيقي وميل صادق من الشاعر في تثمين الممدوح وجهوده واعماله رداً لمعروف ووفاء لجميل [٥]، فهو يحاكي الحياة الاجتماعية وتعزيز القيم الإنسانية في النفس.

---

(١) ينظر: فن المديح وتطوره في الشعر العربي :١٤.

(٢) ينظر: فن المديح وتطوره في الشعر العربي :١٤.

(٣) عيار الشعر:١٧.

(٤) ينظر: النقوش الشعرية الأندلسية :٢٧٦.

(٥) ينظر: النقوش الشعرية الأندلسية :٢٧٦.

يشابه الشعر الأندلسي في مجمله الشعر العباسي، ولا سيّما فن المديح، إذ حافظ الشعراء على الأسلوب الشرقي. فبدأوا قصائدهم بالغزل والنبيذ والطبيعة، ثم الانتقال إلى المدح. وقسمت الأندلس إلى ولايات في عهد ملوك الطوائف، فكان كل شاعر يقف إلى جانب ملك أو أمير أو زعيم تسند عليه شعره [١]، ولذلك، كانت مدائح الشعراء محشوة بالتملق والتسول على طريقة العباسيين.

وقد انتشر شعر المديح في الأندلس انتشاراً كبيراً، وقد كان لهذا الانتشار بواعثه وعوامله، فقد كان مرتبطاً بالساسة والحكام وذوي الجاه والنفوذ، أي كان أكثر تماسكًا والتصاقًا بهذه الطبقة، ذلك بسبب التنافس الشديد بين الملوك في طلب الشعراء والأدباء، والسعي إلى جذبهم ورضاهم والإشادة بهم. وبذلك يجب توفر عاملين أساسيين في منشئ هذا الفن، الإذن الصاغية والذهنية الناقدة والحاسة المتذوقة، وكذلك النفس الكريمة واليد المعطاء بما يمنحونه لهم من أموال، فتسابق الأمراء نحو الشعراء، وسعى كل منهم إلى جذب الشعراء المجيدين إليهم ليكونوا اللسان اللاهج بتعظيمهم وشكرهم، وفي حالة انعدام أحد هذين العاملين يختل موقف الشاعر ويرتبك [٢]. فالمديح كان عبارة عن آلية أو وسيلة لكسب المصالح الخاصة من الممدوح.

وقد تعددت طرائق الأندلسيين في بناء قصيدة المديح، فمنهم من بناها على المدح وحده، ومنهم من بناها على موضوعين، فيستهلها مثلاً بالغزل، أو وصف الطبيعة، أو الشكوى، أو العتاب، ثم يجنح إلى المدح. وقد يبنيها بعضهم على ثلاثة موضوعات مثل الغزل ووصف الطبيعة والمديح، سالكًا بذلك طريقة الأقدمين التي حدد معالمها ابن قتيبة، دون أن يقيد نفسه بحذافيرها [٣]. فكل الأدوات التي استعملها المادح تؤدي إلى نتيجة إرضاء الممدوح، وارضاء الممدوح هو الهدف الأسمى الذي يسعى إليه المادح.

ومن بين مدائح الاندلسيين نجد أنهم يميلون في الغالب إلى مدح امراء الاندلس وخلفائه الرجل الثري القوي، من أجل الحصول على المكافآت والاستفادة الذاتية من الشخص الذي يتم الإشادة به، لكنه يحاول رسم صورة للفرد تمثل كل الصفات التي يقدرها المجتمع، شخصية مثالية قد تكون بعيدة كل البعد عن الشخص الذي يتم الإشادة به، ولكن بالطبع يحاول الشاعر ربطها بشخصيته فوجدنا أن الثناء الأندلسي يغلب عليه الخضوع والمبالغة وهذا واضح في شعر الشواعر الأندلسيات معظم اللائي نظمن

---

(١) ينظر: المديح في الشعر العربي :٦٦.

(٢) ينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس :٧٩.

(٣) ينظر: الادب الأندلسي: سامي يوسف :٥١.

في غرض المدح هن من الطبقة الوسطى [١]، لعل المدح كان من ضمن أهدافه هو استحضار شخصيات مثالية تستحق المدح رغم أن ذلك قد دلَّ على وجود الطاعة والانصياع للمادح.

فقد سَرت هذه الروح المنطلقة من الاعجاب في نفوس الشواعر الأندلسيات إنهن امام أناس يستحقون الثناء والتمجيد فطرقن هذا الباب، فأجدن فيه وعارضت فهي تمزج مدحها بالسخرية. وهذا ما نعرفه من مدحها لمن يبذل الأيدي بسخاء ويتذوق الشعر ويهتم بالمشاعر، ولعل مدحها يمثل اطماعا مادية ومغانم معنوية كالعتق من الاسر وقد تبيع شعرها وتجني به المال، فقد عرف عن مريم الفصولي تكسبها بالمديح كما (مدحت الغسانية الملوك). ولا نعلم أن الظروف المادية للشاعرة قد تكون عاملاً في طرقها هذا الباب، مهما يكن فأن (التملق والتلون والثناء) لا يناسب نفسية الأنثى، ولا ينطبق على تنشئة وأخلاق كل الشواعر، المديح ليس عيبًا إذا كان بعيدًا عن حب المفسدين وطلب العطاء، او الإعجاب بالممدوح [٢]. على الرغم من أن المدح فيه جنبة من الجنبات المادية والشخصية لكنها لم تخلُ من المدح الإنساني او المدح لأجل استحقاق الممدوح لكن هذا لم يمنع من ادخال باب السخرية في المدح.

من بين الشاعرات الأندلسيات اللاتي أبدعن في فن المديح وكان لهن اثراً بارزًا فيه، نجد عائشة القرطبية، فلم يكن في زمنها من يعادلها في العلم والفصاحة والشعر. كانت تمدح ملوك الأندلس وتخاطبهم بما تشعر به من حاجة [٣]، **إذ تقول:**

[الطويل]

أرَاكَ اللهُ فيـهِ مـا تَريـــدُ ... وَلا بَرِحَتْ معاليهِ تَزِيدُ

فقَـــد دَلَّـــت مخايِلُـــهُ عَلى مَـا ... تُؤمّلُـــــهُ وَطالِعُـــــهُ السَّعـــــيدُ

تَشَوَّقتِ الجَيادُ لـهُ وهُزَّ الحسـ ... ـــا مُ هـوىً وأشـرقَتِ البنـُودُ

وكيفَ يَخِيبُ شبلٌ قَدْ نَمتهُ ... إلى العَليـَا ضَراغمـهُ أُسُودُ

فَسوفَ تَراهُ بَـدراً فـي سماءٍ ... مِـن العَليـَا كواكبُـهُ الجنـودُ

فأنتم آل عـامرَ خيـرُ آلٍ ... زَكَا الأبنَـاءُ مَـنـكم والجُـدودُ

---

(١) ينظر: الشعر النسوي الأندلسي في القرن الخامس الهجري :رسالة ماجستير :١٤٧.

(٢) ينظر: المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف من سنة (٤٠٠-٤٨٤هـ) :٣٢٧.

(٣) ينظر: معجم الاديبات الشواعر :٣١٠.

وَليــدَكُمُ لدى رأيٍ كَشيــخٍ وشَـيخُكمُ لَــدى حــربٍ وليدُ [1]

الشاعرة افتتحت مدحها بقصيدتها للأمير، بأنها أضفت جانب الحس التأملي والاستباقية بحرفها وأبيات قصيدتها. إذ إنّ الشاعرة كان لديها باعثاً نفسياً واضحاً بداخلها، أخرجته من خلال اللاشعور في أبيات قصائدها. فكان ذلك الدافع بطريقة المدح وإبراز المكارم والعليا في ملوك الأندلس، وهذا المدح أصبح سمة بارزة في شعرها. الغرض منه هو استعمال اليه من اليات الدفاع النفسي وهو التبرير، "حيلة لاشعورية من حيل التوافق تلجأ اليها النفس البشرية لتبرر وتسوغ سلوك الشخصية أو ميولها أو دوافعها" [2]، إذ بررت طلب الحاجة (الدافع النفسي) من خلال التبرير لحاجاتها في المديح، قالت: "إنَّ الله قد منحك كل ما تتمناه" فأنت من الذوات المميزين باستجابة الدعاء"، وهذا ما كان واضحًا على ملامح طالعك السعيد.

وانتقل مدحها من الأمير إلى ابنه الذي كان بين يدي والديه حينما وصفته بالشجاع والباسل، إذ تقول إنَّ الجياد تنظر كيف تركبها وتموج بها أعالي الأراضي، بل إن السيف قد لاح في يمينه ليشرق بدل الشمس. ومن ثم عرجت بالمدح المتداخل بين الأمير وابنه حينما قالت بأنه سيكون كأبيه، يسير خلفه الجنود، وسيكون أميرًا كأبيه، ومن ثم ضمنت المثل القائل "هذا الشبل من ذاك الأسد" [3]، في طيات قصيدتها، كنوعٍ من أنواع المديح، واختتمت الأبيات بأن الوليد سيكون كحكم المشايخ في العقل والرجاحة والاتزان العقلي، وسيكون شيخكم في ساحات الوغى، كشابٍّ قد بلغ العلياء بصولاته.

نلحظ أن الشاعرة أكثرت في أبياتها من التشبيه الذي يراد به "الاخبار بالشبه وهو اشتراك شيئين في صفة او أكثر يستوعب جميع الصفات، او هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه" [4]، من خلال دلالات جمالية تشبهت الوليد بصورة بديعة، فقد وصفته بأنه يشبه البدر في نوره وجماله، والشيخ في رأيه ورجاحة عقله وحكمته، والأسد في شجاعته وعلو منزلته. ويعكس هذا التشبيه القدرة الفذة للشاعرة اللغوية والأدبية.

---

(١) الديوان :٤٨.

(٢) معجم علم النفس والتحليل النفسي :٨٨.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة :٩٠ ، ينظر: فقه اشراط الساعة :١٥٠.

(٤) معجم البلاغة العربية : ٢٩.

وكما نرى أن الشاعرة وظفت التصريع في البيت الأول، وهو عنصر من عناصر الموسيقى الداخلية في الشعر؛ لأنه إيقاع ثابت يمر على المتلقي في ضربه مرة وفي عروضه مرة أخرى [١]، وقد عرفه النقاد بأنه" استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والاعراب" [٢]، ففي قولها:

أَرَاكَ اللهُ فيــهِ مـا تَريـــــدُ وَلا بَرِحَتْ معاليهِ تَزِيدُ

تتجلى تلك الموسيقى التي ولدها التصريع، الذي ظهر في ضرب البيت وعروضه، إذ استعملت الشاعرة حرف الدال لتعطي البيت قوة وتأثير.

وظفت الشاعرة الجناس الناقص باستعمال كلمتي "تريد" و"تزيد" للتعبير عن الرغبة والإرادة، وذلك يرتبط بالاحتياجات والرغبات والتطلعات الشخصية. وفضلا عن ذلك، استعملت هذه الكلمتان لتحقيق التناغم الشعري والإيقاعي، والتي تجعل البيت ينسجم بشكل أفضل ويعزز التماسك الذي يسود النص الشعري.

اما **مريم بنت ابي يعقوب الفصولي** أرسل صاحب اشبيلية اليها بدنانير في قرطاس مع أبيات يمدحها فيها [٣]، **فكتبت اليه قائلة:**

[البسيط]

مَن ذا يُجاريكَ في قولٍ وفي عملٍ وَقَد بَدرتَ إلى فضلٍ ولم تُسَلِ
ما لي بشُكر الّذي نظَّمتَ في عُنُقِي مَن اللآلئ ومَا اوليتَ مِن قِبلِ
حَلّيتني بحُلىً أصبَحتُ زاهــيةً بِها عَلى كلِّ أُنثى مِن حُلى عُطُلِ
للَّهِ أخـلاقَكَ الغُرُّ الّتي سُقِيَـــت مـاءَ الفُراتِ فَرقَّت رقّةَ الغَزلِ
أَشبهتَ مروانَ من غَارت بدائعهُ وَأنجَدت وغَدَت من أحسنِ المُثلِ
مَن كانَ والدهُ العَضبَ المهنّد لَم يَلِد منَ النسلِ غير البِيضِ والأسَلِ [٤]

---

(١) ينظر: الذات والآخر في الشعر الأندلسي :٣٣٣.

(٢) شرح الكافية البديعي: ١٨٨.

(٣) ينظر: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام :٢٢٢.

(٤) الديوان :١٠٤.

عند قراءة النص الشعري، نرى الباعثَ النفسيَ وراء قول هذه الأبيات الشعرية هو حالةُ الرضا والإحسان التي غمرها بها الممدوح. فهذا الموقف النبيل كان دافعاً لأن تقول الشعر فيه، مما جعلها تلجأ للتعبير عن الشكر من خلال المديح. فكان طابعٌ نفسيٌ بداخل الشاعرة يحولُ إلى هاجسٍ نفسي، ومن ثم إلى دافعٍ جعل من الشاعرةِ تنقلهُ من الشعور إلى اللاشعور ومن الشعور الداخليّ إلى صورةٍ شعريةٍ تجلى فيها كلُّ سماتِ المدح.

إذ ابتدأت الشاعرة قصيدتها بالتحدي والتفضيل حينما قالت "مَنْ ذَا يُجَارِيكَ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلْ؟"، وهُنَا أشارت بأنّه من المستحيل أن يكونَ أحدٌ شبيهًا لك بقولك وفعلك، لأنّ الفضل الذي لديك هو ما لا يصل إليهِ غيرك، وهذا قد يكون من أعالي صيغ المبالغة في المدح. ومِن ثمّ انتقلت إلى وصف نفسها بالعاجزة عن شكره؛ لأنّه جملها بأجمل الحُلَى التي لا يمكن أن تتحلى بها أي امرأةٍ، وتحلّت هي بها. ومِن ثمّ وصفت أخلاقها التي ابتُلت وسُقيت من أعذب المياه، مياه الفرات الذي كان يَروي مَنْ ارْتوَى مِنهُ بالرقَّةِ والغزَل.

من خلال استقراء النص نجد ان الشاعرة وظفت أسلوب الاستفهام في قولها "من ذا " فيرى محمد بن علي الجرجاني ان " مَن" موضوع السؤال عن تعيين شخص من ذوي العقول" [1]، وهُنَا أشارت بأنّه من المستحيل أن يكونَ أحدٌ شبيهًا لك بقولك وفعلك، لأنّ الفضل الذي لديك هو ما لا يصل إليهِ غيرك، وهذا قد يكون من أعالي صيغ المبالغة في المدح، فأرادت من الاستفهام التفخيم والمبالغة.

وأرادت الشاعرة من خلال التكرار في البيت الثالث بقولها "حلى" إيقاع موسيقي جميل يتناسب مع المعنى الذي تريد إيصاله، حيث تعمد الشاعرة إلى إعادة هذه الكلمة مرتين للحصول على تأثير موسيقي جميل وإيقاعي يساعد في نقل المشاعر والأفكار إلى المتلقي بشكل أكثر جاذبية وإقناعيه. وبذلك يتم تقوية أهمية وجمال الشخص الممدوح بشكل أكبر، مع تركيز خاص على جماله الداخلي والخارجي وكذلك استعملت اسم "أبا المهند" كناية عن الأب الشجاع والقوي، والإشارة بذلك إلى أن الشخص الذي كان له والد يحمل هذا الاسم سيكون بالتأكيد شخصًا شجاعًا مثل الرمح الذي يتميز بالقوة والاعتدال. وبذلك يتم التأكيد على الأهمية التي تلعبها التربية والنسب في تشكيل صفات وسلوكيات الأشخاص.

([1]) ينظر: البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع :١٦٥.

كما انماز شعرها بجمال الصورة، وقوة الألفاظ، وتناسق المعاني، والمفردات الجميلة، إذ استطاعت أن ترد على رسالة ابن المهند رداً مناسباً ظهرت فيه ثقافتها اللغوية والأدبية الواسعة مع السلاسة والسهولة والتدفق والرزانة والعقل [١]، فاتخذت أبياتها شكلا قصصيا جميلا.

وكذلك **حسانة التميمية** لما مات ابوها كتبت الى الحكم بن هشام، إذ تجعله الامام الذي امتلك مقاليد الامم، وقد ذلت بين يديه العرب والعجم [٢] **إذ تقول:**

[البسيط]

إنِّي إليكَ أبَا العاصِي مَوْجُعَةٌ	**أَبَا الحُسَيْنِ سَقَتْهُ الوَاكِفُ الدَّيْمُ**
قَدْ كُنْتُ ارْتَعُ في نُعْمَاهُ عَاكِفَةً	**فَالَيْومَ آوِي إلَى نُعْمَاكَ يَا حَكَمُ**
أَنتَ الامام الذّي انقادَ الأنَام لَـهُ	**وَمَلكتَهُ مقَاليدَ النُهي الامم**
لا شَيءَ أخشَى إذا ماكنتَ لي كَنفا	**اوي إلـيه ولا يَعرونِي العَدمُ**
لا زِلتَ بالعزَّةِ القَعساءِ [٣] مُرتـديـاً	**حتى تَذِلَّ إليكَ العُربُ والعَجَمُ [٤]**

بعد التأمل في هذه الأبيات، نلحظ أن الهاجس النفسي وراء قولها هو الخوف. وقد استنتجت الشاعرة ذلك من مواقف الحكم بن هشام واعوجاج الحياة بها بعد وفاة والدها. وهذا الخوف جعل من الشاعرة أن تبحث عن ملاذ آمن، وكانت تلك الحاجة إلى الاستقرار النفسي مما جعلها تستهل أبياتها بأنها "المفجوعة الموجوعة" التي جاءت إليه لأنها رأت فيه القدرة على حمايتها.

فعندما تحدثت الشاعرة عن الحاجة إلى الملاذ الآمن، فإنها كانت تشير إلى القائد الذي يتسم بالحق والعدالة، وهو الملاذ للمستضعفين. ولم يكن هذا الوصف الشعري سوى تعبيرًا عن الحاجة النفسية للشاعرة إلى الأمان والاستقرار، والتي تمثلت في صورة الحكم بن هشام كملاذ آمن.

وتتكون هذه الصور الشعرية من جزئيين: الجزء الأول هو محاولة رد الجميل من خلال مدح الحكم بن هشام، والجزء الثاني هو من باب إرضاء نفسها كي تستشعر أنها لم تذل نفسها ولقد وجدت بالممدوح

---

(١) ينظر: نساء من الأندلس :٣٦٩.

(٢) أبو المخشى والدها هو عاصم بن زيد احد قدامى الشعراء بالأندلس وهو تميمي عبادي وقد قطع لسانه هشام بن عبد الرحمن الداخل. ينظر: نفح الطيب:٤/ ١٦٧.

(٣) القعساء: الثابتة .اللسان ،مادة (قعس) :١١/٢٥.

(٤) الديوان :٣٣.

صورة الأب المثالي والقائد العادل، وأنها الآن تعتمد عليه وهو الملاذ الذي يأويها، ولا يصيبها العدم والفقر بعده.

فالقصيدة أنثوية في طريقة التعبير فيها استرحام واستعطاف، تنبه القلب وتنفذ إليه للأخذ بيد الضعيف، ويقول "الشكعة" ليس فيها من الأندلسية شيء؛ لأن الوقت كان ما زال باكرًا، وكان الشعر صورة لقرينه في المشرق وامتدادًا له معنى وموضوعًا وأسلوبًا لم يطرأ عليها أي تبديل ولا تغيير، حتى في الأوزان والقوافي [١]، انمازت لغتها بالجزالة التي تكمن في الألفاظ والمعاني، وذلك لقوة تأثيرها في المتلقي ومناسبتها للوضع الذي تعيشه الشاعرة.

كما وظفت الجناس الناقص في قولها "الامام، الأنام" لما له من قيمة جمالية، لأن الألفاظ في الصورة تكون متناسبة، سواء كانت كلها أو بعضها. ومن المؤكد أن التوافق في الصور والاقتران بين الأشباه والنظائر يميل إليه النفس بالفطرة، ويسكن الذوق ويطمئن. إنه نظام وانسجام وائتلاف، وهذه أشياء تركز حبها في الغرائز وتضيف إلى النفس راحة وبشاشة وهدوءًا وقرارًا [٢]، فأدى دورا مهما في جعل شعر الشاعرة منظما، ومتلازما، ومتآلفا.

من جميل ما مدحت به الشاعرة ابنه عبد الرحمن بن الحكم، عندما فرغت، رفعت إليه خط والده، وحكت جميع أمرها، فرقَّ لها وأخذ خط أبيه، فقبله ووضعه على عينه، فقال لها: "انصرفي، فقد عزلته لك"، ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم، فقبلت يده وأمر لها بجائزة، فانصرفت، وبعثت إليه بقصيدة، وتخلع عليه كل الصفات التي يحملها الناس من الخير والفضل وحسن الأصل والمآثر، اعترافاً بالجميل والوفاء [٣]، **إذ تقول:**

[البسيط]

اِبـنُ الهِشامينِ خيرُ النَّاس مأثَرةً ... وَخـيـرُ مُـنـتَـجـعٍ يـوَمـاً لـروّادِ

إن هزَّ يـومَ الوَغى أثناءَ صعدتهِ ... رَوّى أنـابـيـبَـهـا من صَـرف فِـرصادِ

قُـل للامام أيا خـيرَ الوَرى نسباً ... مُـقـابـلاً بـيـن آبـاءٍ وأجـدَادِ

جـوَّدتَ طبعي ولم ترضَ الظُّلامةَ لي ... فَهـاكَ فَـضـل ثَـنـاءِ رائحٍ غـادِ

---

(١) ينظر: الادب الأندلسي موضوعاته وفنونه:١٢٥

(٢) ينظر : فن الجناس :٢٩

(٣) ينظر: معجم الاديبات الشواعر :١٨٥.

فَإن أقَمتُ فَفي نعمَاكَ عاطفةٌ وَإن رَحلتُ فقَد زوَّدتني زادِي [1]

وفي أبيات الشاعرة، الشكر الواضح الذي يدل على إرجاع حق مغتصب، وهو أيضاً مدح واضح للإشارة إلى عدله ومصداقيته مع رعيته، حتى إنَّ الهاجس النفسي المتجلي في أبيات الشاعرة هو احساسها بالأمل الذي تحول إلى حالة شعورية تجعل من الشاعرة تشعر بالرضا والطمأنينة بحياتها وبحياته وبعد مماته.

وهذا الهاجس النفسي أصبح عبارة عن دافع يجعلها تحاول إظهار المكرمات في شخصية الممدوح. كانت الأبيات ذات طابع متوشح بالرضا النفسي والاستقامة النفسية الواضحة، وأشارت إلى أن الأمير ذو الحسب والنسب الذي أصبح خير الورى نسباً، وشكرها هنا يدل دلالة واضحة على وفائها وحسن معاشرتها، وهذا إن دل، إنما يدل على حسن أخلاق الأمير وحسن نسبه. فصورت شكرها بهذه الصورة الجميلة، فضلا عن القدرة اللغوية وجزالة المعنى في استعمال المفردات التي أشارت بالشكر والمدح والوصف في آن واحد.

ففي قولها:

فَإن أقَمتُ فَفي نعمَاكَ عاطفةٌ وَإن رَحلتُ فقَد زوَّدتني زادِي [2]

فالشاعرة هنا وظفت الايجاز والذي يراد به: " قصد اللفظ مع وفاء المعنى، او استثمار أقل قدر من الألفاظ في أكبر قدر من المعنى" [3]. فقولها بـ "نعماك" ارادت التعبير عن الشكر والامتنان للأشياء الجميلة والنعم التي يمتلكها شخص ما، ويشير هذا اللفظ في السياق الذي ذكرته إلى أن الأمير يتمتع بالنعم الكثيرة مثل المال الوفير والأخلاق الحسنة والحياة الرغيدة.

أما اللفظ "مأثرة" "يعنى بفتح الثاء وضمها المكرمة لأنها تؤثر أي تذكر ويأثُرها قرن عن قرن يتحدثون بها" [4] فالشاعرة تشير إلى الصفات الإيجابية التي يتمتع بها الأمير مثل البسالة والكرم والأخلاق الحسنة والأفعال الحسنة التي يقوم بها، مما تعطيه مأثرة قوية وسمعة طيبة في المجتمع.

([1]) الديوان :٣١.

([2]) الديوان :٣١.

([3]) البلاغة فنونها وأفنأنها:٤٥٧.

([4]) لسان العرب: مادة (أثر) :١/٧٠.

كان للموسيقى الداخلية حضورا جميلا في أبياتها فقد وظفت التضاد في قولها "أقمت، رحلت" وهذ يثير انفعال المتلقي وهذا مرتبط بطبيعة النفس التي هي نوع من النغم ورأي افلاطون في الاضداد "النغم توافق الاضداد وتناسبها إذ تدوم الحياة مادام هذا النغم وتنعدم بانعدامه" [١]، فالموسيقى تحدث نتيجة توافق الاضداد.

وكذلك، استعملت الشاعرة الجناس في قولها "زودتني، زادي" لتمنح النص موسيقى داخلية تجذب انتباه المتلقي وتساعده على فهم مدى قدرتها على تحقيق التوازن بين الإيقاع الداخلي ودلالة النص. وهذا يساعد المتلقي على فهم النص، والمعنى الكامن وراء هذه اللفظة للكشف عن المعنى المراد للمتلقي.

أما الشاعرة **حفصة بنت الحاج الركونية** فقالت تخاطب ملك غرناطة وتهنئه بالعيد في صورة صادقة ومعبرة عن الوضع الاجتماعي والسياسي للمرأة العربية في تلك الحقبة [٢] **إذ تقول:**

[مجزوء الكامل]

يَا ذَا العُلا وابن الخَليـ ... ـفَةِ وَالامام المُرتَضَى
يَهنِيكَ عيدُ قَد جَرى ... فِيهِ مَا تَهَوى القَضَا
وَأَتاكَ مَن تَهواهُ في ... قَيدِ الإنابةِ والرِّضا
ليُعَيدَ من لذَّاتِهِ ... ما قَد تَصرَّم [٣] وانقَضَى [٤]

كان دافع الشاعرة متوسمًا بعدة اتجاهات، حاولت من خلال القصيدة إيضاحها أو تضمينها. فقد كان الأسمى في تلك الجوانب هو أن الشاعرة أرادت إيصال صورة بأن للنساء وجودًا قويًا وذوات صوتٍ مدوٍ في هذا المجتمع، ولاسيما بقرب الملك. وهنا يُعبر عنه في الجانب النفسي صراع الأنا أو إثبات الأنا، والجانب الآخر من الدافع لقول الشاعرة تلك الأبيات هو أن تجعل الملك ينتبه بأن نحن من تهوانا القلوب، ولاسيما قلبك، إذ تكلمه بلغة التعالي لإثبات الذات.

وقد استعملت الشاعرة حفصة الركونية مفرداتٍ في الوصف والمدح لأمير غرناطة بأوصاف وألقاب تدل على الطهارة والقرب الرباني، بل إن الوصف كان فيه جانبًا من الغلو، واستدركت قولها بأنه

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية :٢٩.

(٢) ينظر: نزهة الجلساء في اشعار النساء :٤٢.

(٣) تصرم: الهجران .اللسان ،مادة (صرم) :٣٣٢/٧.

(٤) الديوان :٤١.

اتاك من تهواه قيد الإنابة، أي كأنه مرغمًا ليستكمل فضائله ولذاته مع وجودك. وهنا وصفٌ آخر بالوحدانية والتفرد، بأنه الأمير الوحيد الذي معه ممكنٌ أن تستكمل ذاتك.

وظفت الشاعرة أسلوب النداء في قولها "ياذا العلا" للتعبير عن التعظيم والاحترام لملك غرناطة، وقد يكون الهدف منه جذب انتباهه، وكذلك في قولها "وابن الخليفة والإمام المُرتَضى" للتعبير عن الاحترام للملك والإمام المرتضى، ولتسليط الضوء على أهمية وجودهما في المجتمع.

وقد كَتبت سارة الحلبية الى القائد ابي العباس الرنداحي **قائلة:**

[الوافر]

أَبا العبّاسِ يا نجلَ الكرامِ ... سلمت ودمت ذُخراً للأنام
ويا مَن جوده للناس أضحى ... يفيض عليهم مثل الغمام
ومن أضحى لدين الله حرزاً ... وللبيت العتيق وللمقام
من القوم الألَى سادوا البرايا ... وشادوا المجد بالعضب الحسام
سواء عندهم قول المنادي ... هلمُّوا للطعان او الطعام
غيوث هطل في عام جدب ... ليوث بُسَّلٌ يوم ازدحام
لئن أضحوا كرام الناس طراً ... نظاماً هن واسطة النظام
ألا يا خير من ركب المطايا ... وأزرى بالمكارم والكرام
نداء غريبة بكم استجارت ... من الآفات والنوب الجسام
وضاق الحال بي حتى كأنى ... حرمت الرزق من دون الأنام
عليك تحية الرحمان تترى ... مرددة على مر الدوام [1]

هذا المدح جاء استغاثة من امرأة محتاجة غريبة قد استجابت من الفقر والعوز، لعله يغدق عليها من كرمه الممتد من كرم أجداده الكرام، والملاحظ أن الخليفة أو الممدوح لم يأتِ رده على لسان الشاعر، وهذا يشير إلى سرية الإنفاق لوجه الله، فلم ترد الشاعرة بيان حجم الصدقة وقيمتها، لذا جاء الكلام على لسان المادحة دون الممدوح.

([1]) الديوان :٧٧.

بدأ النص بالنداء الذي يعد من الأساليب الاستهلالية والطلبية، وسيلة مهمة من الوسائل البلاغية والنحوية، يضفي على معاني النص الشعري الحركة والحيوية فيكون لها وقع خاص في النفس، وهذه إشارة واضحة على علو مكان الممدوح، فضلا عن إرجاع نسبه الى الكرام، وهذا المدح يتغنى بالأصلاب السامقة للدوحة الهاشمية على ما يبدو، ومن يتصل نسبه بالعترة لابد أن يكون بطبيعة الحال ذخرا للناس وموئلا لهم في الشدائد والمحن.

لذا شبهت الشاعرة عطاء الممدوح بالغمام الذي يهطل غيثه الى الناس، رحمة وجودا، وهو بهذا قد صار حرزًا بالتشبيه، ثم يصل المدح الى شجاعته ودور سيفه في حفظ بيضة الدين، كونه امتدادا لسادات البرايا الذين يطعمون الطعام على حب الله تعالى.

ثم قولها:

ألا يا خير من ركب المطايا وأزرى بالمكارم والكرام

ففي قولها " ألا يا خير من ركب المطايا" تناصت الشاعرة من قول جرير في مدح عبد الملك بن مروان، **اذ يقول:**

أَلَسْتُم خَيرَ مَن رِكِبَ المَطَايا وأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ [1]

وهكذا تبين أنّ غرض المديح كان أهم الأغراض الشعرية له الدور الأكبر عند الشواعر الأندلسيات. تلك الشواعر تمثل إرثًا ثقافيًا وأدبيًا ثمينًا يعكس صورة المجتمع الأندلسي آنذاك وقيمه ومعتقداته. فالبواعث الاجتماعية التي دفعتهن للتعبير عن أفكارهن ومشاعرهن تنوعت بين المدح التكسبي وذلك كما فعلت عائشة القرطبية، إذ كان هدفها الحصول على المال فالحاجة كانت الدافع لذلك، والمدح الشخصي نجده عند مريم بنت أبي يعقوب الفصولي يستهدف الثناء على الممدوح لأنها وجدت فيه ما تحب من الصفات الحسنة كالكرم. والمدح السياسي كما رأينا في حالة حفصة الركونية التي عبرت عنه بلغة الأنا والتعالي، وكانت هناك من قامت بالمدح بدافع الخوف من المصير المجهول.

ويمكن القول إنَّ الشواعر الأندلسيات كانت تتمتع بمهارة فائقة في استعمال اللغة والتعبير بأسلوب شعري جميل ومتميز، ولذلك فقد كانت قادرة على إيصال رسائلها بكل دقة ووضوح.

([1]) ديوان جرير: ٧٧.

وكما أشرت، فإنهن حافظن على المعاني التقليدية القديمة وضمننها في شعرهن، ومن بين الشواعر الأندلسيات، يتضح اسم حفصة بنت الحاج الركونية التي عبّرت في تهنئتها لملك غرناطة عن انفعالاتها بطريقة مميّزة وعاطفية.

[المبحث الثاني: الهـــجـــــاء]

الهجاء فن من فنون الأدب الغنائي، يصور مشاعر الفرد في الغضب والاحتقار والاستهزاء، سواء كان موضوع المشاعر هو الفرد، الجماعة، الأخلاق أو المذاهب. تعداد عيوب المرء وأهله ونفي المكارم والمحاسن عنه جزء من هذا الفن [١]. فالهجاء لا يصطنعه كما يقول **برونوتير** "إلا وسيلة للتعبير عن طريقته في الحس والتفكير، معارضا طرق الآخرين في حسهم وتفكيرهم، تلك الطرق التي تثير بالمعارضة ذاتها غضبه او سخطه واستشناعه او خوفه واحتقاره او استهزاءه" [٢]، يعبر الهجاء عن مزاج من انفعالات مختلفة.

يقول **ابن سلام** "بيوت الشعر أربعة: فخر ومديح ونسيب وهجاء" [٣]، فقد عُد واحدا منها للدلالة على ثباته. كما يعرفهُ **الجرجاني** فيقول: " فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه وسهل حفظه، وأسرع علوقه بالقلب، ولصوقه بالنفس، فأما القذف والإفحاش فسباب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم" [٤]. والذي نستنتجه من تصريح الجرجاني يفيد بأن الهجاء يعبر عن العواطف، وأن مزاج المتحدث يتقلب بين الغضب والهدوء. ويلاحظ أن الهجاء يكون أكثر تأثيراً في الحالات الغاضبة والانفعالية، في حين أنه يكون ساخرًا وحادًا وعنيفًا في حالة الهدوء، وله تأثير عميق على الروح ويسبب ألمًا لا يطاق. يتميز هجاء التشفي بالأعراض بالقذف والسب والشتم، بأنه يختلف عن الهجاء الذي يتحدث عنه الجرجاني [٥].

إنّ تطور فن الهجاء من خلال الأدب وتغير مفاهيمه وأساليبه وصوره عبر العصور. وتُعزى هذه التحولات إلى الاختلافات في الدوافع والأسباب، فضلا عن اختلاف أذواق الناس عصر لآخر. كما يشير المؤلف إلى أن الهجاء كان يؤدي اثراً مهمًا في مجتمعات ما قبل الإسلام، وأن الشعر والكلمات

---

(١) ينظر: الادب العربي في ظلال الأندلس :١٠٢.

(٢) الهجاء و الهجاؤون في الجاهلية :١٢.

(٣) طبقات فحول الشعراء :٣٧٩/١.

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه :٣٠.

(٥) ينظر: الهجاء في الشعر العربي الأندلسي:١٣.

كانت تحظى بأهمية كبيرة فيها بجانب السيوف. ومع ذلك، يحتقر الإسلام السخرية ويعارضها لأنها تخالف مبدأ التسامح الذي يرفض السب والقذف [١].

ومع ذلك، بعد عودة التعصب القبلي وتطور الهجاء الجاهلي إلى فن النقائض، سرعان ما عادت السخرية بقوة في العصر الأموي، والتي لم تكن جادة مثل هجاء ما قبل الإسلام، ولكن أريد بها السخرية والضحك، لأن هذا أكثر من مناقشة أدبية. إن فن الهجاء الذي خلقته ظروف الحياة الاجتماعية والروحية في العصر الأموي ليس هجاءً بالمعنى القديم لعصر ما قبل الإسلام، ولكنه يشهد تطورًا كبيرًا في معانيه وأساليبه لدى ثلاثة شعراء "الأخطل، جرير، والفرزدق"، وقد تجاوز روح المرحة الضاحكة والإهانات الرخيصة والاتهامات الباطلة. فهذا التطور ضروري ويعتمد على عوامل مختلفة تؤثر على تطور المجتمع نفسه والاختلافات في المعايير والقيم الاجتماعية [٢].

وعرف الأندلسيون الهجاء بشكليه السياسي: وهو ما يتعلق بالحكام وشؤونهم والسياسة داخليًا وخارجيًا، واما الاجتماعي: فيتعلق بالمجتمع وشعبه غير الدولة والسياسة، سواء كان هجاءً من عادات وتقاليد وأخلاق الناس او المجتمع، العامة والخاصة، ومن الأسباب التي ساعدت على وجود الشعر الهجائي ضمن مقاصد الشعر الأندلسي، الوضع السياسي، والوضع غير المستقر في بلاد الأندلس، تعدد العناصر التي يتألف منها المجتمع الأندلسي، كثرة الأجناس التي سكنت بلاد الأندلس، وجود طبقة من الشعراء أتقنوا الهجاء وعدوها حرفة ووسيلة لكسب الرزق [٣].

وكذلك طبيعة الحياة الاجتماعية في الأندلس، ففيها صنوف من التفاوت والتباين والتطرف، وألوان من التناقض والغرابة والاستهجان. وإذا وجدت فضيلة نبتت فيها رذيلة، وإذا أعجبت نفس بمحاسن أخلاق شاعر ومحامده، اشمأزت نفس أخرى من مقابح تصرفاته ومساوئه. فالشعراء الهجاؤون كانوا أوفر حظًا في المعرفة الحقيقية لتلك الحياة، إذ كان الواحد منهم عينًا ترى ما يدور في عصره وإذنًا تسمع ما يجول خلف أسوار القصور، ويدًا تومئ إلى ما يقع في المدن والأسواق، ولسانًا ينطق يقول عما رأى وسمع وأشار [٤].

([١]) ينظر: الهجاء في الادب الأندلسي:١٣.

([٢]) ينظر: المصدر نفسه:١٤.

([٣]) ينظر: الادب العربي في ظلال الأندلس: ١٠٢,١٠٣,١٠٧.

([٤]) ينظر: الهجاء في الشعر العربي الأندلسي :٤٥.

هناك طريقان في حياة الإنسان: طريق الخير وطريق الشر، ومن خلالهما تتولد المشاعر مثل العداء والكراهية والتنافس والاستياء والازدراء والسخرية والعدوان والقذف والمرارة والضيق وعدم التوافق مع الأفراد والجماعات والظروف. ينفعل الإنسان ويغضب بسبب دوافع أو أسباب مختلفة، وعندما يسيطر شغف الشاعر بالسخرية عليه ويسحره الغضب والرغبة في الانتقام، يقاوم وينشر استيائه أو كراهيته في قالب شعري حتى لا يتعرض المهجو للأذى أو الافتراء أو السخرية [١].

أما المرأة الهاجية فلها دور كبير في هذا الفن، فهي تهجو العدو، والزوج، والابن، وزوجة الابن، وهجاء الأسرة في قالب اجتماعي قد يتجه نحو الكوميديا، وتارةً نحو أسلوب السخرية من مخالفيها في الأفكار والتعاليم بنبرة نقدية وتهكمية. كما أنها تدخلت في المعترك السياسي وأخذت تهجو من يختلفون مع مذهبها [٢]، فلها القدرة في صياغة الواقع المعاش.

لم تأنف المرأة في ذلك العصر استعمال الهجاء الفاحش الذي يسبب "الانتقاص والانتقام من الذين أساؤوا لها"، فالباعث عليه واضح، سواء بسبب مساجلات حدثت في مجالسها وكانت ترد عليها بأسلوب أقبح منها أحياناً، أو بسبب الغيرة والبغضاء أو المضايقات في بعض الأعمال، أو لأجل الطرفة والسخرية، وقد لجأت إليه في مجالسها لاستمالة قلوب الرجال ولفت الأنظار عن طريق إضحاكهم والحصول على منزلة النديم عندهم. وبعد ذلك، وجدت نفسها لا تقل عن الشعراء شأنًا، فاختارت هذا المسلك لتتميز به بينهم، أو ربما أرادت الحصول على القاب الشعراء الكبار مثل إبن الرومي [٣].

كما قال ابن بسام: "فلا يكاد بلد يخلو من كاتب ماهر، وشاعر قاهر، ان مدح ما كثير عنده بكثير، وأن هجــا أجر لسان جرير" [٤] فأبدعت الشاعرة في هذا الفن وعبرت عن معظم انفعالاتها به، لذلك لم ترتقِ به إلى مستوى شعريٍ عالٍ. وأثبتت "تحللاً" أكثر مما هو "تحررًا" في إقدامها على أسلوب ينافي الحياء، إذ مضغت الأعراض، والسفه، والتطاول، والتهجم في مقارعة الرجال والنساء. كل ذلك

---

(١) ينظر: الهجاء في الشعر العربي الأندلسي :١٦.

(٢) ينظر :ابداع المرأة العربية رؤية سسيولوجية : ٥٥.

(٣) ينظر: المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف من سنة (٤٠٠-٤٨٤هـ):٣٢٩.

(٤) الذخيرة :٣٣/١-٣٤.

كان عند الحرائر، ولم يصل إلينا هجاءٌ من الجواري، ولا نشك في كثرة أشعار الهجاء، ولكن لم يصل إلينا منها إلا النزر القليل [١].

فالهجاء هو فن شعري ذو قيمة وخطورة في الحياة الاجتماعية، إذ يستعمل للتعبير عن عيوب المهجو. وعلى الرغم من أن للهجاء الأندلسي لدى النساء خصوصية، فإنه في جوهره لا يختلف عن الهجاء في بقية الثقافات. وعلى الرغم من أن الهجاء عمومًا ليس غنيًا بالألوان الشعرية النسوية، فإن هناك بعض الشواعر الأندلسيات المشهورات بشعر الهجاء. وكان هجاءهن يعكس ما يدور في نفوسهن، وقد وصل الأمر في بعض الأحيان إلى درجة الفحش والفضيحة. ومن بين النساء المشهورات بالهجاء نزهون بنت القلاعي التي هجت هجاء الأندلس بشار الأعمى المخزومي في قصيدة [٢]، **إذ تقول:**

[المجتث]

قُل	**للوَضيعِ**	**مقالاً**	**يُتلى إلى حينَ يُحشرْ**
من	**المدَّورِ**	**أُنشِئَ**	**تـَ وَالـ .... [٣] منهُ أُعطَرْ**
حيث	**البَدَاوةُ**	**امسَت**	**في مَشيِها تَتبَختَرْ**
لَذاك	**امسَيتَ**	**صبّاً**	**بِكلِّ شيءٍ مُدَوَّرْ**
خَلِقتَ	**أعمَى**	**وَلكن**	**تَهِيمُ في كلِّ أعور**
جَازَيتُ	**شِعراً**	**بِشعرٍ**	**فَقل لَعَمري من اشعَرْ**
إن كنتُ في الخلقِ أُنثى		**فإنَّ شِعرِي مُذكَّرْ**	**[٤]**

إنَّ محاولة رفض الذكورية في المجتمع كان باعثا لجعل الشاعرة تلجا الى التفريغ عن الكبت الذي في داخلها " وهو أكثر الحيل اللاشعورية قوة وانتشارا، وفقا لما يراه فرويد، فإنه يدفع (يضغط) على غرائز ورغبات ألهى غير المقبولة بعيدا عن الوعي ويودعها في العقل اللاشعوري" [٥]، فعبرت عن ذلك على شكل أبيات شعرية هجائية بكل جرأة وقوة، عندما وصفت الشخص الذي هاجمها بأنه "الوضيع"،

---

(١) ينظر: المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف من سنة(٤٠٠-٤٨٤هـ) :٣٢٩.

(٢) ينظر: نساء من الأندلس: ٢٨

(٣) كلمة فاحشة.

(٤) الديوان :١١٣.

(٥) نظريات الشخصية : عادل محمد هريدي :٩٨

أي الدنيء الذي لا قدر ولا احترام له، لأنه يعيش في بيئة بدوية تختلف عن البيئة التي تعيشها، وعلى الرغم من ذلك لم يحترمها وقام بمهاجمتها. فردت عليه ببعض الكلمات الفاحشة في المقطوعة الشعرية، حيث صرحت في نهايتها بأنها حتى وإن كانت مؤنثاً، إلا أن شعرها يقاوم كل ما يُشيع في الزمن آنذاك.

تدل الأبيات على سرعة خاطرها واعتقادها بشعريتها، إذ مثلت ركنًا من أركان شخصيتها. وهذه صورة لما كان يجري في تلك المجتمعات الأدبية، وصورة عن مدى حرية المرأة في ذلك الوقت. وعلى كل حال، فإن الصورة المجملة تنبئ عن مجتمع منحل مبتذل، فوصفت الرجل الوضيع وأنه سيبقى هكذا حتى يوم الحشر، لأنه نشأ في بيئة ريفية، فتذكرت مقامها ومقامه [١].

وألفاظها امتازت بالسهولة والوضوح والبساطة في التعبير، إذ وظفت كلمات وعبارات مألوفة وشائعة، مما يجعلها أقرب إلى لغة الحياة اليومية. وعلى سبيل المثال، لفظة "أعمى" و "أعور" للإشارة إلى عيوب شاعت في المجتمع الأندلسي، كما وظفت الثنائيات الضدية مثل "انثى، مذكر" لإثارة الدهشة في نفس المتلقي وكسر حدود التوقعات. وهذا يعكس مدى مهارتها في استعمال اللغة وتجسيد المعاني المختلفة من خلال توظيفها الألفاظ البسيطة والشائعة.

وفي الهجاء تقول **نزهون** أبياتا ردا على بيتي المخزومي وهي في جملتها على ما بها من سمات الهجاء ليست بذيئة [٢] **إذ تقول:**

[المجتث]

إن كانَ ما قُلتَ حَقّاً مِن بعضِ عَهدٍ كريمِ
فَصارَ ذكرى ذَميماً يُعزَى الى كـلِّ لـومِ
وَصرت اقبَـحَ شيءٍ مِن صُورةِ المخزومي [٣]

الدافع النفسي الذي ظهر في بطون الأبيات الشعرية هو الاسقاط؛ إذ تخلصت من خلال آلية الدفاع النفسي من البشاعة التي كانت داخلها، من خلال الصورة الشعرية التي استعملها. وهنا يكمن تحليل تلك الأبيات في عالم النفس فرويد، إذ يقول إنه يمكن تحليل اللاوعي من خلال ذكر الصفات غير الموجودة في الشخص الموصوف، عندما يتجسد شكلاً أو مضمونًا في الوصف. وظهرت الفلتات

---

(١) ينظر: المرأة الأندلسية مرآة حضارة وشعث:١٧١

(٢) ينظر: شعر النساء في الادب الأندلسي، بحث :٦٨.

(٣) الديوان :١١٦.

اللسانية كتعبيرٍ عن آلية الدفاع النفسي الاسقاط "حيلة دفاعية يراد بها اسقاط الشخص لأمنياته ورغباته وافكاره، ومعتقداته على الآخرين والتي تتسبب في الكثير من التوتر عند الاعتراف" [١]، لتكون مشتركه تارة بالإسقاط وتارة بالتبرير لتبرير أنها الأجمل.

كانت نزهون سريعة البديهة حاضرة، فعندما خطبها رجل وكان بشعًا ودميم المنظر وقبيح الصورة، اعترف لها بأن حبه لها هو الذي دفعه لخطبتها، لكن نزهون تسخر منه وتظهر معايبه، وتتمنى منه أن يتخذ البرقع لكي لا يؤذي الناس بشكله السيء ومنظره الموحش [٢] **إذ تقول:**

[المتقارب]

عَذيري مِن عاشقٍ أتوكٍ سفيهِ الإشَارةِ و المخـــزَعِ [٣]

يَرومُ الوِصالَ بِمَا لو أَتـى يرَومُ بهِ الصَّفعَ لم يَصفـــعِ

بِرأسٍ فَقيس إلى كَـــيّةٍ ووجهٍ فَقير إلى بُرقـــعِ [٤]

يتضمن هذا المقطع حواراً صريحاً وواضحاً، حيث يتحدث عن الدافع النفسي الذي دفع الشاعرة للكتابة بطريقة الهجاء. ويبين الحوار أن الشاعرة كانت ترى نفسها أكبر من أن تقبل برجل مصاب بالعديد من الأمراض التي يعاني منها المجتمع، وأهمها السفه. وكان هذا السفه هو العامل الذي دفع الشاعرة للتفريغ عما بداخلها من خلال صيغة الأبيات الشعرية التي تحمل في طياتها السخرية والانتقاد.

يوجد في النص الشعري تكرار لكلمة "يروم"، وذلك للكشف عن الانفعالات النفسية التي تعيشها الشاعرة، ولإيصال هذه الشحنة الانفعالية للمتلقي. وفضلا عن ذلك، فإن التكرار يولد دلالة إيقاعية تزيد من جاذبية النص الشعري وكذلك توظيفها الجناس الناقص في قولها (الصفع / يصفع) فقد جاء مناسبا للتعبير عن فكرة واحدة ولتعزيز الأثر الشعري، فأكدت المعنى الذي تريده بلفت انتباه المتلقي، واحداث نغم موسيقي.

أما **ولّادة بنت المستكفي** فهي أشهر شاعرات الأندلس على الإطلاق، وتعد الاستثناء وليست القاعدة لنساء عصرها، إذ تمتعت بالحرية الزائدة. ويرى المستشرق الإنجليزي "نيكل" أن نزوات ولّادة لا

---

(١) علم النفس في حياتنا اليومية :١٤٤.

(٢) ينظر: نساء من الأندلس :٣٩٩.

(٣) المخزع: كثير الاختلاف .اللسان ،مادة (خزع) :٨٣/٤.

(٤) الديوان :١١٥.

تختلف تقريبًا عن التوجهات التحررية بين النساء الجامعيات ونجمات السينما والمسرح في العصر الحديث، كما يشبها بالفتاة الجامعية التي تكون لها شخصية مستقلة وتعتنق أفكارًا متحررة وتؤمن بها وتتمسك بها [١]، وكان شعرها في الهجاء يجمع بين العتاب والغضب والتعريض والفحش والابتذال، فقد كانت هجاءه قوية، إذ كان هجاؤها شديد القبح والبذاءة، ومن أمثال هجائها الفاحش قولها في ابن زيدون فقد كانت تلقبه بالمسدس [٢] **إذ تقول:**

[الوافر]

ولَقيتَ المَسدَّس وهوَ نَعتُ ثُفارِقكَ الحياةُ وَلا يُفَارقْ

فَلو طِيُّ ومأبونُ وزانٍ .....[٣] وسَارِقْ [٤]

يبدو من سياق الأبيات أن اللاشعور كان ممزوجاً بالشعور، إذ تبين ذلك من خلال الدافع الذي كان واضحاً كصوتٍ مدوٍ، حيث كانت الشاعرة تعاني من أزمةٍ نفسيةٍ صرح بها علم النفس بمصطلح الأنا، فكان واضحاً من خلال التعالي وصور التمرد النفسي.

فهجت الشاعرة ابن زيدون من خلال لفظ "المسدس"، هي نعت للرجل الذي تتحدث عنه، فتشير إلى صفة ذميمة تدل على العنف والعدوانية، وقولها "ثُفارِقكَ الحياةُ وَلا يُفَارقْ" تشير إلى أن الرجل سيموت، ولكن هذا النعت الذميم سيظل معه ويذكره دائمًا، فالشاعرة تعبر عن الاشمئزاز والانزعاج من هذا الرجل والتمسك بالحقيقة عنه حتى بعد وفاته، فترى نفسها اميرة يحق لها ان تقول ما لا يقال.

وكذلك فقد اقذعت في الهجاء المرير للأديب الاصبحي وهي تخاطبه فقالت [٥]:

[السريع]

يا أصبحيُّ اِهنأ فكم نعمةٍ جاءَتكَ مِن ذي العَرشِ ربِّ المنَّن

---

(١) ينظر: المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح حتى سقوط قرطبة :١٤٦.

(٢) ينظر: الهجاء في الشعر العربي الأندلسي :١٦٨.

(٣) كلمة فاحشة.

(٤) الديوان :١٢٥.

(٥) ينظر: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام :٢٧٠.

قَد نِلتَ بِاستِ أَبنك ما لَم ينل .....[1] بُورانَ أبوهَا الحسَّن [2]

النداء في هذا البيت هو "يا أصبحيُّ"، وهو نداء للتهكم والنقمة. يتضمن النداء أمرًا صريحًا بالاستقرار والهدوء، ولكن بطريقة ساخرة ومهينة، مع إظهار الحقد والانتقام. ويتعلق البيت بإحداث تباين كبير بين النعمة التي تأتي من الله وتجلب السعادة، وبين التصرفات السيئة للإنسان التي تسبب له الشقاء والمصاعب. اما الفاظها فكانت مبتذلة، كما نلاحظ أنها وظفت معاني التراث الديني في الفاظها (ذي العرش، رب المنن) في الهجاء لتكون أكثر بذاءة.

ننتقل إلى شاعرة أخرى وهي **مهجة بنت التياني القرطبية**، وذلك بسبب جودة شعرها وجرأتها في حديثها وفحشها في أشعارها. وبسبب هذه الجرأة في تعبيراتها، فقد تشير الى عيوب الرجال، وكانت تلجأ إلى الإضرار بولادة من خلال استفادتها من طبيعة اسم ولادة، وهو اسم يعني النساء اللواتي يلدن الكثير. ومع ذلك، فقد استوحت مهجة السليطة اللسان هجاء ولادة من معنى تهجئة الاسم، على الرغم من أن ولادة كانت عذراء ولم تتزوج طوال حياتها وتوفيت بعد سن الثمانين [3] **قائلة:**

[السريع]

ولّادة قَد صِرتِ ولّادة مِن غير بَعلٍ فَضِحَ الكاتِمُ

حَكت لَنا مَريمَ لكنَّه نَخلةُ هَذي .....[4] قائِمُ [5]

عندما نتأمل الأبيات، نجد فيها صوراً من صور الهجاء المبني على الحقد والغيرة، وكلاهما نابعان من منبع نفسي. فأحد أهم أسباب الغيرة هو شعور الشخص بحقه في امتياز معين، اجتماعي في العادة، لا يستطيع الحصول عليه، وهذا ما جعل الشاعرة تنتقص من ولّادة، كما تقول (اليزابيث هيريوك) عن الغيرة: "أنها استجابة طبيعية لما يهدد بفقدان المحبة سواء كان هذا حقيقياً أو متوهماً، وتؤدي إلى

([1]) كلمة فاحشة.

([2]) الديوان :١٢٨.

([3]) ينظر: الادب الأندلسي موضوعاته وفنونه :٢١٤.

([4]) كلمة فاحشة.

([5]) الديوان :١٠٨.

شعور بالنفور والكراهية نحو الأشخاص، ويمتزج الغضب بالخوف في النمط الانفعالي المعروف بالغيرة" [١]، أي أن البيئة الاجتماعية كانت باعثا على الغيرة.

إنّ هذين البيتين على الرغم مما فيهما من الفحش والافتراء بحق صاحبتها، إلاّ أنهما يدلان على قدرة مهجة في فن الهجاء، بمهارة نادرة وموهبة في فن السخرية تشبه فن ابن الرومي الذي فاق الشعراء طراً في هذا المجال، وكان من الكتاب فيه، حتى قال بعض الأكابر من الأدباء عن هجاء مهجة: لو سمع ابن الرومي هذا الهجاء من مهجة لأقر لها بالأمر [٢]، لها قدرة لغوية بارعة إذ تستعمل الالفاظ المكشوفة السوقية المبتذلة دون تورية او حياء.

أما **ام السعد بنت عصام الحميري** كتبت في الهجاء قائلة:

[مجزوء الكامل]

آخِ الرجال من الأَبا عِـد والأقارِبَ لا تُقاربْ

إن الأقاربَ كالعَقَا رِب او اشَـدُ من العَقاربْ [٣]

إنَ لجوء الشاعرة الى ذلك النوع من الهجاء ما هو الا عن أسباب نفسية داخلية ممكن ان تكون الشعور بالدونية أو الشعور بالنقص، والميل إلى الهجاء أحياناً لا يكون مجرد عارض طرأ على الإنسان كما يخيّل إليه أو إلى البعض، بل يكون نتيجة حتمية لصراعات داخلية عنيفة ولجروح نفسية تركت أثرها في الإنسان. ويتضح من ذلك بأن الشاعرة كانت تعاني من عقدة نفسية وهي "استعداد لا شعوري لا يفطن الفرد إلى وجوده ولا يعرف أصله ومنشأه وكل ما يشعر به هو أثار العقدة في سلوكه وشعوره"[٤]، مما دفعها الى هذا الهجاء.

استعملت الشاعرة "أم السعد" الهجاء في أبيات من الشعر، وذلك باستعمالها النصيحة بقولها فعل الأمر "اخذ" الرجال الأباعد الذين لا تربطهم صلة قرابة، وحذرت من مؤاخاة الأقارب، فقد وصفتهم بالعقارب في الغدر، وذلك يكون مؤلمًا وقاسيًا بل هم أشد من ذلك. والدافع إلى قولها هذا نابع من تجربة شخصية أدت بها إلى الهجاء الأقارب، كما نلحظ الأثر الثقافي في التراث الأدبي عند الشاعرة في

---

(١) علم نفس النمو :٢/٢٥٤.

(٢) ينظر: نساء من الأندلس :٣٧٥.

(٣) الديوان :٦٨.

(٤) أصول علم النفس :١١٧.

البيتين، وذلك أنها اقتبست أبياتها الشعرية من المثل القائل: "الأقارب عقارب، وأمسهم بك رحمًا، أشدهم لك ضررًا" [١]. أما الألفاظ فقد نلاحظ التكرار اللفظي في البيتين، ما أحدث تنغيما موسيقيًا خاصًا.

اما **حفصة بنت الحاج الركونية** فقد هجت الشاعر" أبو بكر الكتندي" [٢] حينما حاول ان يحول بينها وبين حبيبها أبو جعفر، **قائلة:**

[مجزوء الرجز]

قُـلْ للّذي خَـلّصنـا منـهُ الوقوع في.... [٣]
اِرجعُ كَما شاءَ .....[٤] يا اِبن .....[٥] إلىَ وَرا
وَإن تـعُدْ يَومـاً إلى وِصـَالنـا سـوفَ تَـرى
يـا أسقطَ النـاسِ ويَا أَنـذلُهـم بِـلا مـرا
هـذا مَـدى الدّهرِ تـلا فـي لو أتيتَ في الكرا
يا لِحيـةً تَشُق في الـ .... [٦] وتنشَأ العَنبَرا
لا قَـرّب اللَه اِجتمَا عـاً بـكَ حتّى تقبرَا [٧]

عند قراءة الأبيات نجد ان الدافع النفسي الذي جعل الأبيات تعبر عما بداخل الشاعرة هو الحسرة على فراق الحبيب مما جعلها تهجو من كان سببا في الفراق، فالهجاء كان يحمل صور الانتقام مصحوباً بوشاح الغضب، أي حالة انفعالية انتجت هذا السلوك العدواني فكونت ردة فعل منافيه لسلوك الفرد في المجتمع فعبرت بصورة لفظية عنيفة.

ففي قولها:

---

(١) ربيع الابرار ونصوص الاخبار: ٢٥٦.

(٢) الكتندي: أبو بكر محمد بن عبد الرحمن ,من نبهاء شعراء عصره ,سكن غرناطة ولازمها حتى حسب من شعرائها لأن اصله من قرية كتندة ,وهو ممن صحب أبا جعفر. ينظر: نساء من الأندلس:٢١٣.

(٣) كلمة فاحشة .

(٤) كلمة فاحشة.

(٥) كلمة فاحشة.

(٦) كلمة فاحشة.

(٧) الديوان :٤٧.

يـا أسقطَ النـاسِ ويَا أَنـذلُهـم بِـلا مـرا
هذا مَـدى الدّهرِ تـلا في لو أتيتَ في الكرا

استعملت الشاعرة النداء للتحقير، إذ يتضمن النداء تصورًا سلبيًا عن الشخص المقصود، حيث تطلق عليه "أسقط الناس" و"أنذلهم"، مما يعكس عدم الاحترام والتقدير لهذا الشخص، ومن خلال استعمال هذا اللفظ القاسي، تحاول الشاعرة إيصال رسالتها بشكل أكثر وضوحًا وإقناع الشخص المقصود بضرورة التوبة والتغيير، ولذلك يأتي النداء بلغة حازمة وتحقيريه؛ لتعكس شدة الانتقاد والتوبيخ الذي يريده الشاعر لهذا الشخص.

نلحظ من خلال ما تقدم أن غرض الهجاء عند الشواعر الأندلسيات كان هجاءً شخصيًا صنف الناس على طبقات اجتماعية، فهو وسيلة للتنفيس عما في ذات الشاعرة، فكانت كثيرًا من المواقف أدت إلى أن تقول فيها الهجاء، ومنها ما دفع الشواعر للهجاء، هو انتشار مجالس الأدب واختلاط الرجال والنساء، فساعد ذلك الشواعر على الرد على الرجل بمثل قوله، ومنها ما جاء تعبيرًا عن الغضب ومنها ما كان للانتقام، وكذلك المكانة الاجتماعية للشواعر كانت باعثًا على التعالي أو التكبر، فوجدن في نفوسهن القدرة على الرد.

كما لعبت الصور الشعرية دورًا مهمًا وبارزًا في هجائهن، فكانت الصور الشعرية مسقاة من بيئة الشواعر الاجتماعية، إذ إنَّ هناك فروقًا في تشكيل صورة الآخر، فتعرضت الذات الشاعرة لنعت الآخر بصفات سلبية مخجلة، أما اللغة فقد كانت تميل إلى السهولة والبساطة في التعبير قريبة من لغة الحياة اليومية، فاستعملت الألفاظ الفاحشة والبذيئة بأسلوب فيه من الركاكة اللغوية.

[المبحث الثالث: العـــتاب والاعتـــــذار]

ومن الفنون الدقيقة التي تجيش بالعواطف الزاخرة التي يحملها الشاعر نحو صديق، كان بينهما مودة وحب، ثم طرأ على علاقتهما ما شابها وعكر صفوها، فيعتمد الشاعر في عتابه على لون من المؤاخذة الرقيقة، يذكر فيها ماضيهما ودماءهما، ويفصل فيها ما كان يربط بينهما من علاقات طيبة، في شيء من التقريع الذي يعنِّف حيناً ويرق أحياناً. وقد ازدهر هذا اللون حين تشعبت الحياة الاجتماعية وتعددت نواحيها [١]، عملية تحديث تلهم الحيوية حيث يشعر الإنسان بالخوف من الخسارة عندما يفقد صديقًا عزيزًا عليه. ويتمثل هذا الخوف في الشعور النفسي الذي يرتبط بالذات الإنسانية، ويتزايد هذا الشعور عندما يتم فقدان الصديق ويحل محله الزمن أو البديل الجديد. ومن خلال العتاب يتم تحديث هذا الشعور وإعادة النشاط للشخص، حيث يستطيع الإنسان تعزيز العلاقة بينه وبين الصديق الذي فقده، وتصحيح المسار الذي أدى إلى الخسارة، وبالتالي تحسين الحالة النفسية والعاطفية للشخص [٢]، فأكثر ما يكون العتاب بين الاحباب.

يقول ابن رشيق القيرواني: "العتاب، وإن كان حياة المودة وشاهد الوفاء، فإنه باب من أبواب الخديعة، يشرع إلى الهجاء، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء، فإذا قل كان داعية للألفة وقيد الصحبة، وإذا كثر خشن جانبه وثقل صاحبه" [٣]. يريد ابن رشيق بقوله إنَّ العتاب يمكن أن يكون طريقًا ناجحًا لإعادة المحبة بين الأخوة والأصدقاء، شرط أن لا يكون الهدف منه الهجاء والقطيعة.

القيمة البلاغية التي أصبحت صفة ملاصقة بفن العتاب لمْ تأتي من فراغ بل كانت مُنساقة من لغة القران التي الفتت انتباهنا، يشير فن العتاب في القرآن الكريم إلى الأسلوب اللغوي الذي يستعمله الله تعالى في التوجيه والتوعية للمؤمنين، والذي يتضمن تذكيرهم بأخطائهم ونصحهم بالتوبة والاعتراف بالخطأ والتحسن، وذلك بصورة رقيقة ومحببة. ويتضح هذا الأسلوب من خلال العديد من الآيات في القرآن الكريم:﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ** ﴾[٤] وقوله تعالى:﴿ **فَإِن يَصْبِرُوا**

---

(١) ينظر: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: ٢٦٨.

(٢) ينظر: فن العتاب في شعر ابن الرومي، بحث :٣٩٠.

(٣) العمدة في محاسن الشعر :٨٥٢.

(٤) سورة الروم :٥٧.

فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾[1]، فالعتاب هو عملية تفاعلية تحدث بين الأفراد في المجتمع، وتهدف إلى تحسين العلاقات الاجتماعية بينهم. وبالتأكيد، فإن العتاب يحتاج إلى جرأة وشجاعة من المتكلم، ولكن يتعين عليه أيضًا الحذر والحيطة في استعمال الأسلوب المناسب، حتى لا يؤدي ذلك إلى فقدان المودة والقرب بين الأفراد. ومن خلال التعامل بأسلوب رقيق ولغة واضحة، يمكن للعتاب أن يؤدي إلى تصحيح الخطأ وتعزيز العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وبالتالي يساهم في بناء مجتمع أكثر ترابطًا وتآزرًا.

الاعتذار:

من الوجهة العامة، يُعد الفن الذي يحاول فيه الشاعر تبرئة نفسه من الخطأ أو التهمة التي الصقت به، بأسلوبٍ جيدٍ، على أساسٍ من الاعتراف بالتقصير. ويمتزج في هذا الفن المديح والاعتذار والاستعطاف، وإظهار المعتذر إليه بمظاهر الرهبة، ومحاولة ابتكار المعاني الجيدة التي تؤثر على قلب المعتذر إليه. وغالباً ما يكون هذا اللون بين الأصدقاء والخلان [2] فالاعتذار وسيلة موثوقة للاعتراف بالذنب.

يقول ابن رشيق القيرواني: "ينبغي للشاعر ألا يقول شيئًا يحتاج أن يعتذر عنه، فإنّ اضطره المقدار إلى ذلك وأوقعه فيه القضاء، فليذهب مذهبا لطيفا وليقصد مقصدًا أعطافه عجيبًا، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه، ويمسح أعطافه، ويستجلب رضاه؛ فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ لاسيما مع الملوك وذوي السلطان، وحقه أن يلطف ببرهانه مدرجًا في التضرع، والدخول تحت عفو الملك، وإعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل. ولا يعترف بما لم يجنه خوف كذب سلطانه أو رئيسه، وليحل الكذب على الناقل والحاسد. أما مع الإخوان فتلك طريقة أخرى" [3]، كل انسان معرض للخطأ فيحاول تبرئة نفسه على أساس الاعتراف به ويكون ذلك بالاعتذار.

ومع تطور علم النفس واستعمال أدوات كثيرة في وصف الانفعال، نلحظ ذلك واضحاً عند شواعر الأندلس. فقد امتزن باستعمال آليات الدفاع النفسي في قصائدهن، ولاسيما في العتاب والاعتذار، وكان ذلك واضحاً من خلال حضورهن المميز في مجالس الأدب والشعر، وذلك للحفاظ على العلاقات

([1]) سورة فصّلت :٢٤.

([2]) ينظر :النابغة الذبياني شاعر المدح والاعتذار :١٣١.

([3]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :٨٧٧.

الاجتماعية، وخاصة مع أصناف الرجال، ومن صور الاعتذار نجده عند **أم العلاء الحجارية**، إذ استعملت بعض الألوان والمعاني الجميلة والكلمات الرقيقة والروح الهادئة. فهي من العوائق المغرمات، فمرةً تتغزل ومرةً تشكو، ولكن شكواها من الحبيب تحمل في طياتها أنسام الاعتذار لمن علق قلبها، وها هي تصرح بذلك، معتذرةً عما بدر منها [1] **إذ تقول:**

[البسيط]

افهم مَطارحَ أَحوالي ومَا حَكمَت ... بهِ الشَّواهدُ واِعذُرني ولا تلُمِ

وَلا تَكِلني إلى عُذرٍ أُبيّنهُ ... شَرُّ المعاذيرِ ما يَحتاجُ لِلكلمِ

وكلُّ مَا جئتهُ من زلَّةٍ فَبِما ... أصبحَتُ في ثِقَةٍ من ذلكَ الكَرمِ [2]

يبدو من هذه الأبيات أن ثقة الشاعرة بالآخر، بأنه سيصفح عنها، كانت الباعث وراء قولها الشعر فيه. فابتدأت أبياتها باعتذارها واعترافها بأنها أساءت لرجل ما، ولم تذكر اسمه، لتعرض عليه دليلاً على سبب خطأها. وذلك لأنها تريد منه أن يفهمها، ولكي لا يلومها عليه. وعندما اعترفت بخطأها، طلبت منه عدم ذكره أو الإشارة إليه، لأن ذلك سيسبب لها الحزن والضيق. وختمت أبياتها بالثقة في كرم الآخر، واعتقادها أنه سوف يغفر لها، وهي على يقين بأن مهما حدث، فإنه سيعفو عنها [3]، وهكذا، توظف الشاعرة قضية اجتماعية وهي الاعتذار، لتوصل رسالة إلى المتلقي بأنه يجب على الإنسان أن يبذل كافة الوسائل الممكنة لإقناع الطرف الآخر في حال خلف في مواعيده أو واجباته.

فقد عبرت بأسلوب واضح وبألفاظ بليغة عن تجاربها وانفعالاتها بشكل بسيط وعفوي، وعن واقع الحياة التي تعيشها بدون تصنع. أما الإيقاع، فهو "ليس شيئا فيزيائيا وليس شيئا في طبيعة الأصوات نفسها، بل هو في الواقع إيقاع النشاط النفسي الذي من خلاله ندرك ليس الصوت الكلمات فقط بل ما فيها من معنى وشعور" [4]، ففي قولها " عذر، معاذير" أحدثت ايقاعاً واضحاً ونغماً موسيقياً جميلاً.

---

(1) ينظر :نساء من الأندلس :١٢٠.

(2) الديوان :٩٠.

(3) ينظر: الذات والآخر في الشعر الأندلسي :١٧٣.

(4) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي :٣٩.

ومن الاعتذار المتضمن الحكمة المشوب الدعابة تقول **أم العلاء** لرجل اشيب خطبها فكتبت اليه معتذرة [١]:

[السريع]

يا صُبحُ لا تبدُ إلى جُنحِي فاللِيلُ لا يبقى مَع الصبحِ
الشَّيبُ لا يُخدَعُ فيهِ الصبّا بِحيلةٍ فاِسمَع إلى نُصحِي
فَلا تكُن أجهَلَ مَن في الوَرى يبَيِتُ في الجَهلِ كَما يُضحي [٢]

باعتبار أنَّ الاعتذار سمةٌ من سمات الشخصية المتزنة انفعالياً وسلوك يميز الإنسان به دون سائر الكائنات، ولكن ليس كل إنسان، بل الإنسان الحامل بطياته عزَّ معرفيٌ كبير، وتداخُل ذلك السلوك الفردي على الخصائص الاجتماعية في المجتمع بصورةٍ عامَّة. فقد عدَّ في شعر أمِّ العلاء دافعًا نفسيًا واجتماعيًا، لأنه حافظ على استمرار المودة وحفظ ماء وجه المعتذر منه، وفي الوقت نفسه استعمال الاعتذار المرافق لتبيان السبب. فقد دخل بآليةٍ من آليات الدفاع النفسي الا وهي اللجوء إلى التبرير. وبهذا، فقد أجملت أمُّ علاء الحجازية في شعرها اعتذارًا لرجل كبيرٍ في السن حينما جاء خاطبًا لها، بأنَّ هناك فرقًا كبيرًا في العمر. كانت أشارتها بلغة الطبيعة المتداخلة، إذ وصفت الشيب في شعر خاطبها بالصبح وأشارت لسواد شعرها بالليل. وهنا كانت إشارةٌ واضحةٌ بأن الليل والنهار لا يلتقيان، وممكنٌ أن تكون تلك الإشارة مستمدةً من المعرفة والوعي للشاعرة وبلاغتها وفصاحتها. فالمعنى يدلُّ على أنها كانت عارفةً، مقتبسةً من القرآن الكريم، فكان ضمناً في شعرها: "**لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**"[٣]، فزواج رجل كبير من فتاة في مقتبل شبابها لا يمكن ان تتوافق هاتان الصورتان.

ففي قولها:

يا صُبحُ لا تبدُ إلى جُنحِي فاللِيلُ لا يبقى مَع الصبحِ
الشَّيبُ لا يُخدَعُ فيهِ الصبّا بِحيلةٍ فاِسمَع إلى نُصحِي

---

(١) المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف من سنة(٤٠٠-٤٨٤): ٣٣٤.

(٢) الديوان :٩٠.

(٣) سورة يس: ٤٠.

اما الفاظها ففي قولها " الليل والصبح، يبيت ويضحي" فقد جمعت الشاعرة بين الاضداد، وعبر حازم القرطاجني عن ذلك في قوله "إن مثول الحسن إزاء القبيح، او القبيح إزاء ضده، فلذلك كان موضع المعاني المتقابلات في النفس عجيبا" [١]. كما كررت استعمال "لا" وذلك لتأكيد رفضها له.

وفيما يتعلق بمعانيها، فإن شعرها اعتمد على التراث وأصبح مشبعًا بالصبغة العربية الأصيلة التي لا تعرف المبالغة. فأكثر ما اتسم به شعرها هو الصدق والصراحة والوضوح، وكان بعيدًا كل البعد عن السطحية والتفاهة في تناول المعاني، المعروفة المتداولة مع الإيجاز فجاء جارياً مع الطبع متساوقاً مع الفطرة والطبيعة ذلك لأنها لم تحمله المعاني المزدحمة التي مثلت واقع المجتمع الأندلسي في تلك المدة [٢]، فقد ابدعت الشاعرة في رسم صورة للموقف الذي مرت به حتى أنها اثرت تأثيرا واضحا في المتلقي.

وعلى الرغم من تحرر المرأة الاندلسية فإنَّ بعض الاسر العربية بقيت متعصبة ترى عندما تبوح المرأة بحبها فأنها ترتكب جريمة [٣]، فعبرت **زينب المرية** عن ذلك عندما تعاتب ابن عمها المغيرة **قائلة:**

[الطويل]

ألم تَرَ اهلي يَا مُغِير كأنَّما يَفيئون باللومَاء فيكَ الغَنَائِما

ولَو أنَّ اهلي يَعلمُونَ تَميمَة مِنَ الحُبِّ تشفِى قَلدَّوني التَّمائِما [٤]

حسب المنظور النفسي، فإن الإنسان لديه عدة حاجات يسعى لتحقيقها ليصل إلى تحقيق ذاته، وهذا ما تناوله عالم النفس (أبراهام ماسلو)، ومن بين تلك الحاجات هي الشعور بالأمان والاطمئنان، الذي يسعى الفرد دائمًا لتحقيقه [٥] ، وبما أن الشاعرة فقدت شخصًا تحبه، فكان هذا الاضطراب النفسي دافعًا لها لأن تعاتب المحب بهذين البيتين، كون الأمان والحب من حاجاتها التي تسعى لتحقيقها. وهكذا، فبدأت زينب المرية أبياتها بلغة الخطاب المباشر في عتبها ولومها المبطن بطيات ذلك العتب قائلة له معاتبة بشدة. واستندت الشاعرة إلى الموروث الجاهلي والتمائم الشعبية التي تعبر عن مضامين اجتماعية

---

(١) البلاغة وفنونها عند النقاد البلاغيين والأندلسيين :٨٩.

(٢) ينظر: المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف من سنة ٤٠٠-٤٨٤ : ٣٦٢.

(٣) ينظر : الشعر النسوي الأندلسي في القرن الخامس الهجري ،رسالة ماجستير :٦٧.

(٤) الديوان :٦٦.

(٥) ينظر: علم نفس الشخصية : كامل محمد محمد عويضة :٢٣٢.

مؤثرة [١]. فكانت أبياتها فيها من الواعز النفسي المختلط بالألم مما اضطرها لاستعمال لغة الخطاب المباشر للبوح بوجعها وحالة التناقض بين حبها وملامة أهلها لها.

اما فيما يتعلق بالإيقاع الداخلي للنص فتميز بتكرار الكلمة "تميمة، تمائما" التي يعنى بها "قلادة يجعل بها سيور وعُوذ تعلق على الانسان" [٢] فقد اختلفت في الصورة واتفقت في المعنى وهذا التكرار الصوتي والايقاعي يقوم بمهمة الكشف عن القوة الخفية في الكلمة وظفتها الشاعرة بنغمة موسيقية جميلة [٣]، فكانت أبياتها رقيقة المعاني جزلة الالفاظ.

أما في عتاب ولوم قمر البغدادية التي نالت في الأندلس المكانة العليا بين جواري قصر سيدها إبراهيم بن الحجاج، فقد فضلها وقدرها إذ كانت جميلة ولطيفة الحديث، فعدت قمر زهرة جواري إشبيلية، فكانت النساء العربيات هناك يحسدنها؛ وقديماً كان الناس يحسدون بعضهم البعض، ولم يكتفوا بالحسد ومرارته، بل يحتقرنها لأنهن لم يألفن جارية ذات مكانة، وتستولي على قلب سيدها كصاحب إشبيلية، ويرتادها الناس من كل حدب وصوب؛ فكانت قمر الجارية البغدادية الغريبة، هدفاً للتجريح والانتقاد، ولكن قمر هذه أحبت أن تلقن هؤلاء النسوة درساً في الأخلاق الاجتماعية، وأفهمتهن إنّ العلم هو الجنة الحقيقية، وإنّ الحياة في النار خير من الحياة مع الجهلة [٤]، فأخذت تعاتبهن **قائلة:**

[البسيط]

قالوا: أتت قَمَرٌ في زيّ أطمار ... مَن بعد مَا هَتكتْ قلباً بأشفارِ

تَمشي عَلى وَجلٍ تغدو عَلى سُبَلٍ ... تَشقّ امصارَ أرضٍ بعد امصَارِ

لا حُرّةٌ هي مَن أحرارِ موضِعها ... ولا لَها غيرُ ترسيلٍ وأشعارِ

لَو يعقلونَ لَما عَابوا غَريبتهم ... لِلّه من امةٍ تزّري بأحرارِ

ما لِابن آدمَ فخرٌ غيرُ همَّتهِ ... بعد الديانة والإخلاص للبَاري

دَعني منَ الجهلِ لا أرضَى بصَاحبهِ ... لا يَخلص الجهلُ من سبٍّ ومن عارِ

---

(١) ينظر: الحيوان في الشعر الجاهلي:٢٣٤ .

(٢) ينظر: اللسان مادة (تميم) :٣٣٢.

(٣) ينظر: دراسات في الادب العربي :١١٦.

(٤) ينظر: نساء من الأندلس :٣٥٧.

لَـــو لم تَكن جنّةٌ إلّا لجاهلـــــةٍ رَضيتُ من حُكمِ ربَّ النّاسِ بالنارِ [1]

نلحظ في الأبيات السابقة الذات أن الشاعرة همشت من المجتمع ودفعها الواقع برتابته ومأساويته إلى أن تعبر عن ذاتها المحبطة من الواقع الخارجي الذي يتسم بنظرته الطبقية للفرد، فجاء هذا الباعث كرد فعل للأثر الخارجي ودليلاً على قصد المتحدثة.

تبدو الصورة التي رسمتها قمر انتقادًا لظاهرة اجتماعية وهي الهمس والوشاية والنميمة، فضلا عن أنها تنبذ التميز والفوارق والطبقية، إذ اتسمت صور الأبيات الشعرية بملامح الوعظ الديني كأن القارئ يستحضر قوله تعالى **(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ)**[2]، إذ عبرت عن ذلك بأسلوب قصصي "الصورة التعبيرية التي يصوغ بها الكاتب قصته متضمنة اللغة والعبارات والصور البيانية والحوار وما إليها من عناصر الصياغة" [3]، بأنها أتت بثياب متهالكة بعد أن كانت من شدة جمالها تقطع وصال الرجال، أثناء تنقلها من مدينة إلى أخرى، فلم تكن حرة في بلدها وليس بيدها غير المراسيل، لكن كل من تكلم عنها لم يعرف الله؛ لأنهم حكموا عليها وهي غريبة من دون معرفة الظروف التي مرت بها، فكان عتابها شديدًا على نساء الأندلس حينما أبدين رفضهن وحقدهن عليها، كما كانت أبياتها تحمل صورًا ممزوجة بالإنابة والرضا والصبر والقناعة بقضاء الله وقدره، كما ذمت الجهل بالمجتمع بأنه ينظر للشخص بمكانته الاجتماعية، فهي تثبت نفسها بديانتها واخلاصها لله تعالى. والذي دفع الشاعرة لقول هذه الأبيات هو الاحتقار الذي تعرضت له لأنها جارية، فهي ترسم صورة من الواقع الاجتماعي الذي تعيشه، ومثل هذه الصور هي ظلم قبيح من الإنسان بحق أخيه الإنسان.

اما في قولها:

تَمشي على وجلٍ تغدو على سبلٍ تشقّ امصار أرضٍ بعد امصار

قابلتُ الشاعرةَ بينَ الألفاظِ "تمشي على وجل، تغدو على سبل"، ومِن خلالِ هذا التقابلِ، تخلَّقَ موقفٌ إيجابيٌّ متماسِكٌ، يشبهُ التفاعل الإيجابي بينَ قطبي الجاذبيةِ المغناطيسية. لقد صاغتْ الشاعرة أشكالًا متعددةً من ظواهرِ الوجودِ، وحققتْ تقدماً فنِّيّاً في مجالِ تشكيل لغة القصيدة، فأحدثتْ نغماً موسيقياً عالياً بعدَ تكرار لفظ "أمصار"، وهذا التكرار، مع المقابلة له، طابع خاص على دلالةٍ نفسيةٍ

([1]) الديوان :١٠٠.

([2]) سورة الهمزة :١ .

([3]) دراسات في القصة العربية الحديثة: ٣٢.

كانت تعيشُها الشاعرةُ [١]، فجسدت حالة الألم والتعب والخوف الذي واجهته في اثناء رحلتها في التنقل والتغرب بين البلدان.

اما **انس القلوب** تطلب العفو وتعتذر عمّا بدر منها تجاه الآخرين ومن قصرت بحقهم فقالت أبياتاً فيها رقة واعتذار، وخشوع تقرب من روح التبتل والابتهال [٢]، **إذ تقول:**

[المجتث]

إذنَبتُ ذَنباً عظِيمـــاً فكيفَ مِنهُ اِعتــذَاري

وَاللَهُ قَـــــدَّرَ هـَذا وَلَـــم يَكُــن بِاختيَاري

وَالعَفوُ أحسنُ شـيء يَكـُونُ عِندَ اِقتـــــدارِ [٣]

من سياق النص الشعري، يبدو أن حالة الصراع النفسي التي تعيشها الذات الشاعرة، ناجمة عن الذنب العظيم الذي لا يمكن غفرانه، بعث في نفسها هاجس الخوف، الذي يعد الدافع الأساسي لقول الاعتذار. إذ تقدم الشاعرة نفسها على أنها صورة واضحة للاعتراف بالذنب الذي اقترفته. فرسمت صورة شعرية جميلة عن صفتي العفو والتسامح، والتي ترتبط بالذات الإنسانية، من خلال توظيفها لهذه الحكمة المعروفة عند العرب، وهذا يدل على اطلاعها على ثقافة مجتمعها، وبذلك تبرز قيمتها بألفاظ سهلة وبسيطة، بعيداً عن التكلف والغموض.

ومن الاعتذار لأنس، ننتقل إلى صورة شعرية أخرى، وهي ولادة بنت المستكفي. عندما علمت أن ابن زيدون مال لجارية، تحركت غيرة المرأة المحبة في فكرها، فخرجت أبيات تدافع فيها عن حسنها وكبريائها. عاتبت ابن زيدون بأسلوب يتأرجح بين الشدة واللين، بين العتاب والرجاء، وقد اختيرت معانيه وألفاظه بعناية وأناقة [٤] **إذ تقول:**

[الكامل]

لَو كنتَ تُنصِفُ في الهَوى ما بَينَنَا لَم تَـهوَ جَاريتَي وَلم تتخيَّـــــرِ

وَتركتَ غُصناً مُثمراً بِجَمالـــــهِ وجَنحتَ للغُصنِ الذي لم يُثمــرِ

---

(١) ينظر: لغة الشعر العراقي المعاصر:٢٠٠.

(٢) ينظر: المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف من سنة ٤٠٠-٤٨٤ :٣٣٤.

(٣) الديوان :٢٣.

(٤) ينظر: الادب الأندلسي موضوعاته وفنونه : ١٨٣.

ولَقد عَلمتَ بأنّنيَّ بدرُ السمَّـــا لَكن ولِعت لَشقوَتي بالمُشترَي [1]

كان لمكانة الشاعرة المرموقة في المجتمع وما تحلَّت به من جمال أثر في شعرها، لذا نلحظ نبرتها المتعالية في خطابها للآخر وعتابها له لاختياره الجارية بدلاً عنها، والتي لا ترقَ لها ولا تساويها مكانة وصفات، فضلاً عن اعتزازها بنفسها، فتباهت بجمالها بعتاب هادئ ولطيف وبحرية تامة. فالدافع النفسي لهذا العتاب هو الغيرة، فجعلتها تعبر عن انفعالاتها الداخلية من خلال هذه الأبيات. الذات الشاعرة هنا تعاتب ابن زيدون على هجرها إياها وعشقه لجاريتها، وبعد ذلك، العتاب يعقد مقارنة بينها وبين جاريتها لتقديم ما يمكن أن تتصف به من جمال وبهاء بقصد جذب انتباه الآخر تجاهها [2].

تشبهت الشاعرة نفسها بالغصن المثمر، ويحمل هذا التشبيه دلالات نفسية معينة، فقد يعبر عن مظاهر الكبت والنقص التي تعاني منها، كما قد يكون منتزعا من اللاوعي الجمعي. كما أن تشبيهات الشعر قد تحيل على عقد ودوافع معينة وتكشف الكثير عن حالة الشاعرة النفسية والاجتماعية [3].

كما وظفت الطباق في قولها (مثمرا/لم يثمر، والبدر/المشتري) اذ قابلت بينها وبين الجارية فجعلت من نفسها كالبدر في نوره والجارية كالمشتري في ظلمته في ظلمته، فاستحضار الشاعرة لهذه التناقضات وهبت النص الشعري خصوصية تميزه عن أنماط التضاد المألوفة، فيؤدي الى اثارة مشاعر المتلقي التي تتصل بالموقف النفسي الذي تعالجه الشاعرة [4]، فأحدث تنغيما موسيقيا جميلا، فهذه الانفعالات النفسية ولدت ردة فعل لدى الشاعرة جعلتها تعبر عمّا بداخلها بصورة توضح الميول النفسي الداخلي للحبيب والشعور بالغيرة من جاريتها.

نلحظ مما سبق إنّ باعث العتاب والاعتذار كان له وجود واضح في شعر الشواعر الأندلسيات، وذلك للحفاظ على الألفة والتقارب بين أبناء المجتمع، وكذلك مكانتهن وعلاقاتهن الاجتماعية، خاصة مع أصناف الرجال. وقد اختلفت صور العتاب والاعتذار عند كل منهن، كما تعددت أساليبهن ولغتهن. ونجد أن الصورة الشعرية في عتاب حفصة الركونية تشابه مع عتاب ولّادة، فكان بدافع الغيرة على الحبيب عند كل منهن، لكن اختلفت في أن عتاب حفصة كان بدافع الانكسار وتداخل مع الهجاء، على

([1]) الديوان: ١٢٤.

([2]) ينظر: الذات والآخر في الشعر الأندلسي :١٧٢.

([3]) البلاغة العربية والتحليل النفسي :٩٣.

([4]) ينظر: البنية التضادية في بناء الدلالة الواقعية عند الشاعرة بشرى البستاني: ٥٢١.

العكس من عتاب ولّادة الذي كان بطريقة متعالية ومهذبة في الوقت نفسه. ولكن، اختلفت قمر البغدادية عن غيرها؛ لأن صورتها كانت انتقاداً لظاهرة اجتماعية بسبب نظرة المجتمع الطبقية. أما الاعتذار، فقد اختلفت الصورة الشعرية عند كل منهن، فاعتذار أم العلاء يحمل رسالة إنسانية اجتماعيّة، وهي عندما يخلف الإنسان في موعده، توجب عليه الاعتذار، لكن اعتذارها لرجل عشقها كان يتداخل مع غرض الهجاء.

فيما يتعلق باللغة الشعرية ومعانيها، وظفن كلاً من أم العلاء وزينب المرية الكلمات الموروثة العربية القديمة. أما باقي الشواعر، استعملن لغة الخطاب المباشر. فأتسم شعرهن بانتقاء الألفاظ الواضحة والبسيطة بهدف تحريك مشاعر الآخر.

أما فيما يخص أسلوبهن، صاغت كل شاعرة أسلوبًا مختلفًا عن غيرها. فنرى زينب المرية استعملت أسلوب التكرار، واستعملت أيضًا أم العلاء التكرار، ولكن أرادت به الرفض. أما زينب، فأرادت به التهويل. ونجد أن الشواعر الأندلسيات، بعضهن عبرن بأسلوب الاستعطاف، وبعضهن عبرن بأسلوب التعنيف، ورسمن بعواطف صادقة صورًا اجتماعية جميلة

الفصل الثالث

((بواعث الطبيعة والبواعث الأخرى))

المبحث الأول : غزل الطبيعة.

المبحث الثاني: الـــــــوصف.

البواعث الإخرى

مدخل:

الطبيعة هي من الكلمات التي أُختلف في معناها اختلافاً كبيراً، "في تاريخ الفكر" هي: مجموع الأشياء والكائنات الموجودة، والقوة الكائنة في الكون التي تبث الحياة فيه، وقد ترادف الكون بصفة عامة، أو الخليقة بالنسبة لمن يؤمن بإله خالق. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله:﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾[١]، أما في علم الجمال "كل ما يوجد في الكون خاضعاً لنظامه، ومميزاً عما يضيفه اليه الإنسان بالصنع أو الفن" [٢]. فهي المجتمع الطبيعي والبيئة الطبيعية حولنا، فتشكل بيئة كاملة تتأثر بأثر الإنسان والأحداث الطبيعية، ولها أثر على البشر والمجتمعات.

فهي الملهم الأول للعقل البشري و محرك المشاعر الانسانية كما أنها هي الملهم الأول في الفن بوصفه من أقوى مظاهر هذا الفكر وأجملها على الاطلاق" وأساس الفن واحد ولكن مظاهره متعددة بتعدد الأدوات التي تستعمل في التعبير عنه، أي باختلاف الأشكال الفنية المستعملة في التعبير عن الأفكار والعواطف الانسانية التي هي مادة الفن، وهذه الأشكال الفنية قد تكون خطوطا وألوانا كما في الرسم، أو ألحانا وأنغاما كما في الموسيقى، أو الفاظا كما في الأدب [٣]، فالطبيعة هي التي تدفع الاديب الى التعبير عن انفعالاته وأحاسيسه وما يشعر به في حياته الاجتماعية والاقتصادية والعاطفية فيلون افكاره بألوانها. "وان الفنان كلما دنا من الطبيعة كان انقى واصدق" [٤]، لأن الطبيعة صادقة لا تعرف التمويه، صريحة لا تقبل الرياء.

والحقيقة، إن الشعر هو ابن الطبيعة، منها نشأ، وفي أحضانها ترعرع، وبمثلها بلغ الكمال. فعبر الشاعر الأندلسي عن البيئة الطبيعية أصدق تعبير، فصاغ منها أبياته التي تعبر عن تمثل حقيقي للمكان

---

(١) سورة فصلت :٥٣ .

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب :٢٣٥ .

(٣) ينظر: أصداء الطبيعة في الشعر الاندلسي، بحث :٥٣٣ .

(٤) دفاع عن البلاغة :٥٩.

[١]، يقول د. سيد نوفل: "وأي تمثيل للمكان أعظم من تصوير الشعر العربي للأندلس" [٢]، فكانت الطبيعة هي المحور الأساس التي بنى عليها الشاعر افكاره في النصوص الشعرية.

شعر الطبيعة من الفنون الشعرية التي وجدت في الأدب الأندلسي، وهو "الشعر الذي يتخذ من عناصر الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة مادته وموضوعه. سار الشاعر الأندلسي على خطى شعراء الشرق، وسرعان ما تجاوزهم في هذا الفن، وأنتج روائع خالدة، يدفعه إلى ذلك عوامل منها: الطبيعة الأندلسية وحياة اللهو، ومجالس الطرب [٣]، فتفوقوا في هذا الفن.

لقد وجد الشعر العربي في الطبيعة ملاذاً خصباً لقريحة الشاعر العربي، تستطيع من خلاله قلوب الشعراء أن تعبر عن أحزانها وأفراحها معاً. إنماز وصفهم بالوضوح وخيالهم المستوحى منها بالجلاء، فلا نجد في وصفهم تعقيداً أو غموضاً، ولا نجد في خيالهم اضطراباً أو استيحاء من بعيد، وذلك أن البيئة واضحة مكشوفة. فهناك الفضاء الرحب الذي يمتد فيه البصر بغير أن تصده عوائق، وهناك الشمس الساطعة التي لا يحجبها الغيم إلاّ في بعض المناطق ازماناً قصاراً في كل عام، وهناك الرمال المنبسطة والأرض البراح لا تكسوها غابات متشابكة ولا جبال شاهقة، على أن الحياة كلها تتسم بالوضوح في الأعمال التي يمارسها العرب، فمن الطبيعي أن يستمد العربي صوره وأخيلته من الواقع الواضح؛ لأنه لا يتخيل من وراء حجاب، فكان من الطبيعي أن يجيء وصفه للطبيعة واضحاً، لأنها متكشفة لا خفاء فيها ولا أبهام [٤]، فعرفت الأندلس ببيئتها الخلابة التي فتن بها أهلها فراحوا يتغنون بمناظرها الجميلة بلغة واضحة وسلسة.

يختار الشعراء من صور الطبيعة وظروف عواملها، ما يريدون التعبير عنه في انفعالاتهم واحاسيسهم، سواء في حالة سرور أم حزن، ضحك أم بكاء، في الزهر والشمس والغيم والأغصان ونسائم ونهار، وقد عد حازم القرطاجني هذه المتصورات التي تجد لها فرحاً أو ترحاً أو شجواً في النفس، متصورات أصيلة. لقد تجلت الطبيعة صافية، يصورها، وصور الروح لشعرائها، التي لم تكن تخلو من

---

(١) ينظر: المكان في الشعر الاندلسي :٣٨ .

(٢) المصدر نفسه:٣٨ .

(٣) ينظر: الادب الاندلسي ،سامي يوسف :٧٩.

(٤) ينظر: أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي: ١٦٠.

نزعات رومانسية، وتعكس مشاعرهم أكثر افكارهم [١]، فعبروا من خلال استعمالهم الصور والاشياء الموجودة في الطبيعة.

كان حنين الأندلسيين لبلادهم وتعلقهم بها، إذا سافروا عنها، تعلقاً حقيقياً؛ لأنهم يجمعون الى ما يكون من حب الوطن بعامةٍ ولعاً شديداً واختلاطاً بالبيئة وراحة اليها، وينعكس ذلك بوضوح في آثار الاندلسيين إذا كتبوا بعد اغترابٍ أو عند محاجةٍ ولجاجٍ [٢]، فكانت مؤثرة في نفسيتهم مما انعكس في صورهم الشعرية.

أما عند شعراء الأندلس، فقد شغلت الطبيعة بشقيها الناطق والصامت مكاناً واضحاً في شعرهم لتبين مدى ارتباطهم ببيئتهم. فأما الطبيعة الصامتة فيراد بها "مظاهرها ووجودها المتجسد في سهولها وبحارها وسمائها ووديانها وحدائقها وحقولها وما إلى ذلك" [٣]، فهي تمثل ما يحمله من تصورات فكانت أكثر استجابة لدى الشاعر وتجسدت عند الشاعرة قسمونة **اذ تقول:**

كالشمسِ منها البدرُ يقبسُ نورهِ ابداً ويكسفُ بعد ذلك جُرمها [٤]

اما الطبيعة الحية هي "ما اشتملت عليه من أصناف الحيوان ماعدا الانسان" [٥]، فقد تفاعلت معها الشاعرة بحسب الظروف النفسيّة والاجتماعيّة تفاعلاً خاصاً وجسدت تلك الطبيعة الشاعرة حمدة بنت زياد **إذ تقول:**

ومن بين الظباءِ مهاةَ انـــسٍ سبت لُـــبي وقد ملكت فؤادي [٦]

فجعلت الشواعر الطبيعة الصامتة والحية مشاركة لأحاسيسها بأنها شخصية لديها احاسيس توجد على حد سواء وتعبر عن نفسها من خلال الاحداث الطبيعية.

---

(١) ينظر: شعر النازحين :١٥٢.

(٢) ينظر: تاريخ النقد الادبي في الاندلس :١٤.

(٣) في الادب الاندلسي ،جودت الركابي:١٢٥.

(٤) الديوان :٩٩ .

(٥) في الادب الاندلسي ،جودت الركابي:١٢٥.

(٦) الديوان :٥٧.

[المبحث الأول: غزل الطبيعة]

الشعر كائن حي، يتمثل في صعوده وهبوطه وامتداده، يمثل الفرد وتقويمه. فهو أثمن عطاء بشري يعبر عن حضارة من الحضارات، إذ إنّ الحضارة هي مجهود الروح في سبيل البقاء [١]، يمكن أن يؤثر الشعر على الأشخاص، ويشير إلى أنه يمتلك حياة خاصة به داخل الذهن والأحاسيس الخاصة بالمتلقي.

الغزل من أقدم الفنون الشعرية عند العرب وأكثرها شيوعاً لأنه متصل بطبيعة الإنسان وبتجاربه الذاتية خاصة، وإن الحب يحرك كل القلوب، والشعراء من دون غيرهم يصورون هذا الحب بعاطفة صادقة فيتدفق على ألسنتهم من وجدان مرهف ليعبر عمّا يجيش في خاطر الشاعر وعمّا يختلج في قلبه [٢] "يتناول الالام التي يحس بها العاشق المهجور والحرقة التي تعتمل في قلبه، فيضج الشعر بالقلق واليأس او يفيض بأمل اللقاء واجتماع الشمل"[٣]، فيعبر عن مشاعر واحاسيس الانسان وتصوراته عن الحياة من خلال رسمه للتجارب العاطفية التي يمر بها الاشخاص.

هو أرقى أنواع الشعر وأسلمها، وأعذبها ألفاظا وأسهلها، وآنسها إلى النفس وأحبها إلى القلب، وأعلقها بالقلب وأقربها الى طبيعة الانسان ذلك أنه محض عاطفة ووجدان، وصدى قلب مدنف وفؤاد مغرم دله الحب واستماله الجمال، وأثر فيه الهجر والوصال، واستلهم قوله التمنع والدلال؛ والحب كله عطف وإشفاق، وحنين وأنات، وآمال وآلام، وله الأثر الواضح على عظمة الخيال وابداع التعبير ورقة التصوير ورشاقة الأسلوب [٤]، دائما ما ينماز بالسلاسة والوضوح في الألفاظ والمعاني.

كان الغزل شائعًا في الأندلس وساعدت البيئة الطبيعية على انتشاره نظرًا لطبيعته الجميلة ولرواج مجالس اللهو، سادت الأوصاف المادية بشكل عام في الحديث عن الحبيبة، فوصف الشعراء الجمال الخارجي وقارنوه بالطبيعة، وانتشرت المقارنة بين العبيد والصبيان، كان التشابه بين الشعر الأشقر والعيون الزرقاء شائعًا عندما دمرهما الأسر الفرنجي مع اختلاطهم بالمسيحيين، شاع الغزل النصراني إذ ورد ذكر

---

(١) غزل ابي نؤاس :٧.

(٢) ينظر: الغزل في الشعر العربي :٦.

(٣) المعجم الادبي :١٨٦.

(٤) ينظر :الادب العربي في الاندلس: ١٢٧.

الكنائس والقساوسة والصلبان بشكل متكرر [١] ،فكثرة مجالس الانس والطرب والمناظر الطبيعية بعث في نفوس الشعراء الاندلسيين قول الغزل.

والشعر الأندلسي قادر على التعبير عمّا يدور في نفوس الأندلسيين من عواطف وانفعالات، وتقليد آلامهم مع من يحبونه، والشاعر الأندلسي مثله مثل أي شاعر آخر من الشعراء السابقين يعبر عن مشاعره تجاه حبيبه ويصور لنا حالته النفسية على وفق سعادته وافتقاره لها ظهر شعر الغزل الأندلسي في القرن الخامس الميلادي ومثّل اتجاهين متميزين: الاتجاه المحافظ، والذي يتجلى في الغزل العفيف الذي يحافظ على التقاليد والأعراف الاجتماعية [٢]، والاتجاه الآخر هو الغزل الحسي الفاحش الذي تمادوا فيه بالوصف والفحش وخرجوا على الشرائع والاعراف والتقاليد، اما الغزل غير الفاحش فقد كانوا معتدلين في الغالب اذ قصروا غزلهم على الحديث عن جمال المرأة وذكر مفاتنها [٣]، والغزل في هذا العصر من أكثر اغراض الشعر الاندلسي تداولا بين الشعراء إذ يؤلف النصيب الاكبر من دواوينهم بل من دواوين شعراء الاندلس عامة حتى ان الدكتور بدير متولي حميد عده "أحد الالوان الثلاثة التي تفوق بها الاندلسيون الى جانب شعر الطبيعة والشعر الحزين" [٤]، لقد كان للبيئة الاندلسية أثرها في ازدهار هذا اللون ونموه الى جانب كونه موضوعا يتصل بالطبيعة الانسانية.

لقد جاء شعر المرأة الغزلي في الغالب تلميحاً بسبب تقاليد المجتمع وأعرافه الصارمة التي وقفت حائلا أمامها وأمام التصريح بمشاعرها، ولم تستطع في ظل هذا الظرف القبلي أن تصرح بحبها، ولكنها لمحت غاية النجاح عندما عمدت إلى إظهار غزلها المستور من خلال استعانتها بعدد من الأغراض الشعرية الأخرى كالحنين إلى الوطن ،ومما لا شك فيه أن المرأة تعجب بالرجل، ويستحوذ الرجل على مشاعرها وتصطنع من الوسائل ما يعز على اللبيب لاجتذابه وتتزين مرة وتتدلل مرة أخرى ومع ذلك فهي حريصة اشد الحرص أن يظل حبها وإعجابها في صمت لا يعلن عنه في خفية ليس إلى اكتشافه من سبيل. وفي غزل المرأة تصوير لحال الحب الصادق الذي تعيشه المرأة الذي كان له الأثر البارز في فنية النص الشعري، فجاءت قصائدها ولاسيما مقطوعاتها الغزلية لا تهدا حتى تحدث في نفس المحبوب ما

---

(١) ينظر: معجم الحضارة الأندلسية :٦.

(٢) ينظر: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف واثر الثقافة المشرقية في ترسيخ مذهب الأوائل فيه :٥٤.

(٣) ينظر: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري :١٤٨.

(٤) الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة :١٢.

تسعى اليه من أثر وتجاذب ولتلقي في نفس السامع المتلقي الأثر نفسه [١]، لكن المرأة الاندلسية عبرت بكل جرأة عن حبها.

تُعد قصة العلاقة بين حفصة الركونية وأبي جعفر بن سعيد والمشاعر التي أثارتها هذه العلاقة، من أفضل أنظمة الشعر النسائي العاطفي الملون بصبغة واقعية، مرتبطة بصورة عاطفية عميقة من حياة قائلته وعواطفها، أو مجموعة تمثل فصلاً حيًا من مسرحية عاشتها الشاعرة وعانت ما فيها من حرقة الانتظار والترقب وفرحة اللقاء والتواصل، وقاست بسبيلها هموم البُعد والهجران، ونيران الغيرة والشك التي اشتعلت في وهج الحب واضطرام لظاه في الأحشاء، والشعر العاطفي الذي ينبعث من جانبي القصة، وهما شاعران يتحركان في أفق واحد، وجو معين، وينطلقان من عاطفة يعاني الضمير من تجربة واحدة ويسعى إلى هدف واحد. إنها لا تأمل أكثر من لحظة حنان وساعة من اللقاء والتواصل [٢]، وهي احدى اشراف غرناطة "رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر" [٣] ومن جمال شعرها تداخل الغزل مع وصف الطبيعة فكان الليل وهدوءه باعثا لأنه ذكرها بحبيبها، **اذ تقول:**

[الطويل]

سَلوُا البَارِقَ الخَفّاقَ وَاللَّيلُ سَاكِـنٌ أظـلَّ بـأحبـَابِي يُذَكرِني وَهنـَا [٤]

لَعَمري لَقَد أهدَى لِقلبي خَفـــقَةً وَأَمطَرَني مُنهلٌ عارضهِ الجَفنَا [٥]

ونجد صورة من صور الغزل الممزوج بالطبيعة عند شاعرة أخرى من شواعر الاندلس وهي **حفصة الركونية** تبدأ غزلها في الوزير أبي جعفر في ثوب من الاحتشام والعفة وقد بدت في شعرها ان ترسل سلاما الى الحبيب وانه بعيد عن العين لكنه موجود في القلب [٦]، **إذ تقول:**

[المتقارب]

---

(١) ينظر: غزل الشواعر في العصر العباسي انماطه وخصائصه :١٢.

(٢) ينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: ١٧٨.

(٣) نزهة الجلساء في اشعار النساء :٤٠.

(٤) وهنا: ساعة تمضي من الليل .اللسان، مادة (وهن) :٤١٩/١٥.

(٥) الديوان: ٥٥ .

(٦) ينظر: شعر النساء في الادب الاندلسي (بحث) :٨٥.

سَـــلامٌ يُفَتَّح في زَهرِهِ الـــــــــــــگ مـــام وَيـــنـــطِـــقُ وَرقَ [1] الـــغُصُـــونْ
عَلى نـــازِحِ قَـد ثَوَى [2] في الحَشَـــا وإن كَـــانَ تُـــحـــرَمُ مَـــنـــهُ الـــجُـــفُـــونْ
فَلاَ تَحسَبـــــــــــــــــوا البُعدَ يَنسَاكُم فذلِك وَاللهِ مَا لاَ يـــــــــــــــكُونْ [3]

والباعث الداخلي الذي جعل الشاعرة تكتب الأبيات كان واضحا، وهو الاغتراب النفسي الذي يعتبر شكلاً من أشكال الخبرة التي يمارسها الإنسان ويشعر فيها بأنه غريب عن ذاته، ولا يجد نفسه كمركز لعالمه، كخالق لأفعاله وإنتاجه، وإنما أفعاله هي التي تصبح لها السيادة، وعليه أن يطيعها وأن يعبدها أحياناً. وكان هذا الاغتراب الذي كانت تشعر به واضحاً في بيتها الأخير. ويعود الاغتراب إلى التفاعل بين العوامل النفسية والاجتماعية. فتشعر بعدم التكامل مع الواقع المحيط، وهذه دلالة على وجود مشكلة نفسية أو عاطفية" [4]، كما نلحظ، الغزل الذاتي يتجلى في محاكاتها للطبيعة، وأن جمال لقائها بمن تحب جاء من جمال هذه الطبيعة الفاتنة. فالجمال أمرٌ شعوريٌ يحدث في النفس عند اتصالها ببعض الأشياء الطبيعية، سواءً اتصالًا مباشرًا أو عند تأمل هذه الأشياء والتفكير فيها [5]، فعبرت بأبياتها عن الجمال الداخلي الذي تشعر به من خلال الطبيعة، إذ رسمت صورة جميلة حاولت من خلالها احداث تأثير على شعور المتلقي من خلال هذه الصور لتوضيح الاحداث او الأشياء المصحوبة بتصور خاص.

فنلحظ في هذه الأبيات صدق العاطفة المنبثقة من صميم قلبها تجاه الحبيب الذي ابتعد عنها بجسده، لكنه موجود بقلبها وروحها، وأن بعد المسافة لا ينسيها، بل على العكس من ذلك يزيدها حباً وشوقاً. فالشاعرة نحتت من ألفاظها نحتاً لتعبر عن شدة اشتياقها، وذلك من خلال الصورة المتناسقة الألفاظ.

أما الوزن، فإنه "يعد أحد أعظم أركان الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجانب لها ضروري، الا ان اختلاف القوافي لا يعتبر عيبًا في التقفية، بل في الوزن" [6]، فاعتمدت

([1]) ورق: جمع ورقاء وهي الحمامة :اللسان مادة (ورق) : ٢٧٦\١٥.
([2]) ثوى: الوضع الذي يقام به .اللسان، مادة (ثوا) : ١٥٢\٢.
([3]) الديوان:٥٣.
([4]) الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي :٤٧ .
([5]) ينظر: دراسات في علم النفس الادبي :٩٨.
([6]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٣٤/١.

الشاعرة على البحر المتقارب الذي يتميز "بدندنته فألفاظه تدل على أنين تذبذبات النفس والوقوف عليها لأجل حصول الفعل الذي هو الاستذكار للحدث ثم سرده، ويصاحب هذا القص جمع من الألفاظ التي تقتاد بانتظام وهيبة ومهابة تتناسب مع عظمة الحدث وأهميته [١]، فهو شرط من شروط الجمال والإيقاع الذي يكون الشعر بدونه غير كاف ومعيبا.

وفي حب أبي جعفر، تفقد حفصة الركونية دلالها وكبرياءها، فالمرأة مهما لج بها العشق ومهما قسى عليها الشوق، فإنه يحمل بها، ولو من باب المراعاة لجنسها ولإخفاء بعض ما وجدته، وأن تكون مطلوبة بدلا من أن تكون طالبة، ومرغوبة بدلا من أن تكون راغبة، وأن تتظاهر بكونها معشوقة لا عاشقة، ولكن حفصة لا تبالي لكل هذا، ويستبد بها الشوق إلى خليلها، وربما بعد فترة قصيرة على فراقهما، فتبعث إليه هذه الأبيات" [٢] **اذ تقول:**

[الوافر]

أزُورك أَم تَـــــزُور فـــــإنَّ قلبي ... إلى مَـــــا تَـــــشـــتهِي أبداً يَميـلُ

وَقـــــدْ أمِّـــلت أن تظمأ وتَضـحَى ... إذا وافَــى إلــيَــكَ بــيَ الــقُــبــولُ

فَـــثَـــغـــرِي [٣] مَـورِدٌ عـذبٌ زُلالٌ ... وَفـــرعُ ذُؤابـــتَـــي [٤] ظِـــلٌّ ظَـــليـــلُ

فَـــعَـــجِّـــل بـــالجَوابِ فمَا جَمِيلٌ ... إبـــــاؤُكَ عَـــــن (بُثينةَ) يَا (جَمِيلُ) [٥]

التسامي بالذات" أو وصول للاستقرار النفسي (تحقيق الذات) حسب هرم إبراهام ماسلو، حددها بوصفها الرغبة في تحقيق المرء كل ما يريد تحقيقه [٦]، إذ جعل من الشاعرة ترسم الثبات في شعرها، حتى أنها كانت تبوح متأكدة بأن قلبها يميل إلى ما يعشق حبيبها. فتضمن شعر الغزل المستند على الطبيعة، واستعملت مفردات الطبيعة البشرية مثل العطش والظمأ لذلك كان الدافع النفسي هو وصولها لحالة من الاستقرار العاطفي الذي جعلها تشبه نفسها بالطبيعة، وايضاً بمتلازمة الماء.

---

(١) ينظر: شعر المخضرمات في الجاهلية والإسلام :٢٣٨.

(٢) ينظر: الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه: ٢٢٥.

(٣) فثغري: قيل مقدمة الاسنان .اللسان ،مادة (ثغر) : ١٠٣/٢.

(٤) ذؤابتي : شعر مضفور وموضعها من الرأس ذؤابة. اللسان، مادة (ذأب): ١٦/٥.

(٥) الديوان :٥٠.

(٦) ينظر: الأسس النفسية للإبداع الادبي :١٣٥.

نلحظ في البيت الثاني ان الشاعرة وظفت المقابلة في البيت الثالث، "فيرتبط التقابل اللفظي بطبيعة لغة الشعر ارتباطاً حميما، من حيث تميزه بالتعبيرية وقدرته على الإيحاء، واثارة الانفعال وتمثيل التباين السطحي والعميق في الصورة والحدث من خلال الجمع الفجائي المباشر بين وحدتين متقابلتين" [١]، فكان لهذا تأثير في تفريغ انفعالاتها واحاسيسها.

كذلك نلحظ وجود "ياء المتكلم" في أكثر من موضع لتجعل شعرها أكثر تأثيرا في المتلقي وكذلك دلالة على وجود "الانا الذات" ومفهوم **فرويد** لأنا الذات إنها تؤدي عملها حسب مبدأ الواقع ويدعى بأنه التنفيذي للشخصية [٢]، فهي تميز بين الذات والطبيعة الخارجية.

كما وظفت أسلوب الترصيع فأحدثت بذلك تنغيما موسيقيا جميلاً. إذ تميزت أبياتها بأنها واضحة وسلسة وذات معانٍ جريئة وصريحة، وخرجت فيها عن التقاليد التي كانت تفرض على المرأة العربية وأسلوب الشعر النسائي في ذلك الوقت، مما يدل على قدرتها اللغوية والشعرية العالية في التعبير عن أفكارها ومشاعرها بطريقة جميلة ومميزة.

ومن شعرها:

[الخفيف]

زائرٌ قَد أتَى بِجيدِ الغَزالِ ... مطلع تحتَ جنحه للهلالِ

بلحاظٍ مِن سحرِ بابلَ صِيغَت ... ورُضَابٍ يَفُوقُ بنتَ الدَّوالي [٣]

يَفضَحُ الوردَ ما حَوىَ منهُ خدٌّ ... وكَذَا الثَّغرُ فَاضَحٌ لِلآلي

ما تَرى في دُخُولهِ بعدَ إذنٍ ... أو تَراهُ لعارِضٍ في اِنفصَالِ

أتراكُم بإذنكُم مُسعِفِيهِ ... أم لَكُم شَاغِل مِن الأشَغالِ [٤]

في تلك الأبيات، تجد الشاعرة قد ذابت كل الذوبان بشغاف من تحب، فرغم بوحها وتصريحها بذهابها لمن أحبت، إلاّ أنها استعملت التورية في ذهابها، فاستعملت "جيد الغزال"، فتلك الأشياء تدل على

---

(١) ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي :٦٩.

(٢) ينظر: الشخصية في ضوء علم النفس :٣٤.

(٣) الدوالي: ضرب من العنب .اللسان ،مادة (دول) :٤/٤٤٥.

(٤) الديوان :٥١.

التخفي، لكن لم تضع التخفي بأسلوب الغلظة بقدر ما هو أسلوب التفاخر، وهذا إن أراد أن يدل، فهو يدل على أن الدافع كان هو الحاجة لعشقيها (مع المحافظة على عزة نفسها). فلولا خوفها من المجتمع آنذاك، لمارست كل ما تصبو له، لكنها استعملت التلميح والإشارة والتوضيح تارة أخرى، باستعمالها أو توظيفها عناصر الطبيعة في الغزل لها ولعشيقها. حتى أنها أضافت لمحة من تاريخ بابل، وهنا إشارة لتاريخ بابل وتصريحها بأنه شاهدها على جمال. الأبيات مكتوبة بناءً على حاجة نفسية لحبيبها، مرصوصة ببناء الطبيعة الخلابة.

وظفت الشاعرة في مقطوعتها الشعرية سحر بابل، الذي يشير إلى الحضارة البابلية القديمة، ويعتبر من الحضارات العريقة التي عرفت بفنونها الجميلة وسحرها الغامض. إذ انماز شعرها بالأسلوب الجميل والصور البديعة التي تعبر عن الجمال والسحر، وبالإيقاع والتجانس اللفظي.

وعند ذكر الغزل في الشعر الاندلسي والمرأة الاندلسية يتبادر الى الذهن **ولادة بنت المستكفي** ، إذ كان قصرها منتدى أدبياً ترك فيه الوزراء والعالمين جميعهم أُدباء وكانت تساجلهم، وتناظرهم وما زال تاريخها يوحي الكثير من مواقفها الطلقة مع الوزير الاديب ابن زيدون [١] فمن اقوالها الغزلية ما ارسلته اليه تستحثه وتنشطه لزيارتها:

[الطويل]

تـَرقَّب إذا جـنّ الظَّـلامُ زَيـارتـِي فـإنّـي رأيـت الليـل أكـتـم للسـرّ

وَبي منك ما لو كانَ بالشمسِ لم تلح وبـالبـدر لم يطلع وَبالنجم لم يسرِ [٢]

الذات الشاعرة هنا تطلب بكل جرأة من حبيبها أن يقوم بزيارتها في وسط الظلام دون خجل أو حياء، وتريد أن تفضي بحبها إليه دون أن يراها أحد [٣]، فعبرت عن ذلك من دون خوف أو تردد ووظفت مفردة "الليل" فهي تعد مثيراً طبيعيا يثير في بعض الناس شعوراً وجدانياً ساراً او مؤلماً تبعا لتجاربهم اثناء الليل [٤]، فالليل كان باعثاً طبيعياً دفعها للتعبير عمّا في داخلها من خوف من أعين الرقباء والحاسدين.

---

(١) ينظر :المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة :٢٤٤.

(٢) الديوان :١٢٤ .

(٣) ينظر: الذات والأخر في الشعر الاندلسي :١٧١.

(٤) ينظر: دراسات في علم النفس الادبي :٥٦.

اما **حفصة بنت حمدون الحجارية** فهي رائدة الغزل للشاعرة الأندلسية، فهي تمدح أحد العظماء الذي يُدعى ابن جميل، ويبدو أن عاطفتها ما كانت بها اتجاهه فتتحايل من خلال مديحها إياه، وألقت حوله ستارة غزل خفيفة صنعتها في براعة تشهد لها بالفطنة والمهارة والاناقة [١] **اذ تقول:**

[الطويل]

رأى ابنُ جميـلٍ أَن يرى الـدهر مُجملاً فكـلّ الوَرى قـد عمّهم سَـــيـب [٢] نِعمتـهِ

لــهُ خلق كـالخمرِ بعـد اِمتزاجهـا وَحُســـن فَمـا أحلاهُ من حين خِلقَتــهِ

بِوجـهٍ كمثلِ الشـــمس يدعو ببشـــرهِ عيونـاً ويعشـــيهـا بـإفراطِ هَيبتــهِ [٣]

تزامن الدافع الداخلي لدى الشاعرة، المتمثل باستشعارها بسيل العطاء الجارف الذي اغدقه ابن جميل عليها وعلى غيرها، وهذا ما ذكرته في البيت الأول. وانسجم ذلك الدافع بالباعث النفسي الخارجي الذي جاء بصيغة اخلاقه الجميلة وخلقته الممزوجة بالحسن، حتى إنّ التشبيه جاء دليلا على أن الباعث الخارجي المتمثل بالخلق والأخلاق والأسلوب مناط بالأفعال الطيبة لدى ابن جميل. لذلك، يعد التشبيه بالطبيعة وبكل مخرجاتها واضحاً على أسلوب الشاعرة، وهذا يؤكد أنها منحدرة من بيئة فيها تلك المفردات، وقد يكون احساسها بالحياة البرية هو ما جعلها تبوح شعراً بما شعرت به.

وظفت الشاعرة في البيت الثاني تراسل الحواس فجمال الصور الفنية يتحقق بهذه الوسيلة من خلال تمثل المتلقي الصور المتخيلة والتلذذ كما لو انها حقيقية [٤]، فجعلت من الصورة البصرية صورة ذوقية في قولها "وحسن فما احلاه" استعملت حاسة الذوق للحسن.

وظفت الشاعرة التشبيه لتشبه أخلاق المحبوب بالخمر عندما يمتزج، ووجهه بالشمس ليأتي متناغمًا مع التأثير الذي تريد الشاعرة أن تنقله إلى القارئ. وبيان قدرتها على توليد الصور بشكل يعكس العالم الداخلي للشاعر [٥]، ويتجسد الادعاء في هذا التشبيه في التخيل والمبالغة، حيث يطغى وجه الشبه

---

(١) ينظر: الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه : ١٣٦.

(٢) سيب :العطاء. اللسان، مادة، (سيب): ٦/٤٥٠.

(٣) الديوان :٣٦.

(٤) ينظر :التجنيس وبلاغة الصورة :٥٦.

(٥) ينظر : التجنيس وبلاغة الصورة :٧٤.

وتعظيمه حتى يسود على الاختلاف بين المشبه والمشبه به [1]، وعبرت الشاعرة بكلمات صريحة عمّا يختلج في نفسها من مشاعر وانفعالات.

أصحاب المذهب النفسي يرون أنَّ الجمال لا يرجع إلى صفات الشيء، وإنما يرجع إلى حالة شعورية تحدث للإنسان عند اتصال عقله بالشيء. وهذه الحالة هي الشعور بالرضا والاطمئنان أو باللذة والسرور، ومن أصحاب هذا الرأي **ريتشارد وألكسندر وتاولس** [2]، فاعتبروا أنَّ الجمال لا يرجع إلى صفات الشيء، وإنما يعتمد على التصورات والأحاسيس الخاصة بكل شخص بشأن ما يعتبر جميلا

كما إنّ هناك تداخلاً بين الغزل والطبيعة في الموشحات التي يعرفها الشكعة بأنها "فن انيق من فنون الشعر العربي، اتخذ قوالب بعينها في نطاق تعدد الاوزان الشعرية وكان ظهوره في نطاق اطاره هذا بأرض الاندلس"[3]، فهو فن نشأ في الاندلس وارتبط بالحياة الاجتماعية لاتصاله مع الغناء في مجالس اللهو والطرب، فهذه **نزهون الغرناطية** تقول في موشحتها بقالب غزلي مرحبا بالزائر الحلو:

بِـأَبِـي مَـن هَـدَّ جِسـمِـي الـقُـوَى ... طَـرفُـهُ الأحـوَرْ

وَسَـقَـانِي مَـا سَـقَى يَومَ النَّوَى ... وَيـحَ مَـن غَـرّرْ

كُـلَّـمَـا رُمـتُ سُـلُـوّا فـي الـهَـوَى ... تَـاهَ وَاسـتَـكـبَـرْ

يَـالَـهُ مِـن شَـادِنٍ صَـيَّـرَنِـي ... رَهـنَ أشـجَـانِـي

لَم يَـدَع فـي الحُورِ منـه عِوَضـا ... عِـنـدَ رَضـوَانِ

مَـرّبِـي فـي رَبـرَبٍ مِـن سـربـهِ ... يَـقـطِـفُ الـزَّهـرَا

وَهـوَ يَـتـلُـو آيَـةً مِـن حِـزبِـهِ ... يَـبـتَـغِـي الأَجـرَا

بَـعـدَمَـا فَـكَّـرَنِـي مِـن حُـبِّـهِ ... آيَـةً أُخـرَى

وَالَّـذِي لَـو شَـاءَ مـا ذكَّـرَنِـي ... بَـعـدَ نِسـيَـانِـي

---

(1) ينظر: دراسات في علم النفس الادبي :٤٣.

(2) ينظر: المصدر نفسه:١٠٤.

(3) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه :٣٧١.

قَلَّـبَ القَلـبَ عَلى جَمرِ الغَضَـــا ... وَهـــوَ فِـــي شَـــانِ
حَـفِـظَ الـلـهُ حَـبِـيـبـاً نَـزَحَـاً ... خِشـــيَـــه الـــهَـــجـــر
جَـاءَت البُشـــرَى بِـهِ فـانشَـــرَحَ ... عِـــنـــدَهَـــا صَـــــدرِي
وأَســـتـطَـارَ القَـلـبَ مِنّـي فَرَحَـا ... ثُـــمّ لَا يـــدري
امِـنَ الإنـسِ الَّـذي بشَّـــرَنـي ... أَم مِـــنَ الـــجَـــان
غير إني شـــمت برقـاً أو مضـــا ... حـــيـــن حـــيـــاتـــي
قلـت لـمـا زارنـي طـيف الـخـيـال ... مـــن رشـــا الانـــسِ
مـرحـبـاً بـالـزائـر الـحـلـو الـخـلال ... مـــخـــجـــل الشـــمـــسِ
والـذي أنشـــأك من مـاء الجمـال ... واحـــــــد الـــجـــنـــسِ
مـا بـرى جســـمـي ولا غـيـرنـي ... خـــــوف هـــــجـــــرانِ
انـمـا غـيـر جســـمـي مـرضـــا ... لـــحـــظـــكَ الـــرانـــي
لَـم تـزَل تُـظـهـر مـنـه اِلـكَـلـفَ ... عـــنـــدمـــا غَـــنَّـــتْ
غـادةُ لـو رَاَمَ مـنـهـا الـنَّصـــفـاَ ... غَـــيـــرةَ ظـــنـــنَّـــتْ
فـهـو يـهـواهـا ويُـبـدي الصَّـــلـفـا ... وَلـــذِا غـــنـــنـــتْ
فـإذا ارانـي تـولـي مـعـرضـــاً ... كـــن مـــا رآنـــي [1]

تكشف الموشحة صراعاً داخليًا، تعكس الجوانب النفسية للشاعرة برؤيةٍ خاضعةٍ لتحولاتٍ نفسيةٍ وشعورية، والتي تمَّت مظهرةً في نسقٍ يقترب من بناء الحكاية، وتضمَّنت في سياقها بعض الألفاظ الرمزية إلى الحزن مثل "هد جسمي القوى، يوم النوى، تاه واستكبر، رهن أشجان، جمر الغضا". استطاعت من خلالها الشاعرة أن تصل إلى مكنونات الذات النفسية في سياق شعريٍّ انمازٍ برهافة الحس وصدق التجربة الشعورية، مما يجعل المتلقي متعاطفًا مع الشاعرة وتجربتها.

اما في بنية الرسالة فتقتصر المعلومات التي يحملها الخطاب على عنصر الزمن، ويرتبط عنصر الزمن بشكل أساسي بالطبيعة، وكمرجع له إحساس قوي بالوجود، فإنَّ الوظائف الشعرية والمرجعية هي

([1]) الديوان :١١٧-١١٨

الأكثر شيوعًا [1]، فالطبيعة بكل ما تملك كشفت عن الذات النفسية للشاعرة فعبرت عن لواعج الحب في القرب والبعد.

ففي قولها:

يَالَهُ مِن شَادِنٍ صَيَّرَنِـــي رَهنَ أشجَـــان

لَم يَدَع في الحُورِ منه عِوَضاً عِندَ رَضوَـــــان

الشادن (الغزال) ذو الطبيعة الوادعة تحول الشاعرة دلالة رمزه في الحسب الى سيد قوي يأسرها بحبه، ويجعلها رهينة الحزن، وهو يقودها من التحرر واللامبالاة الى عالم الأسر والتقيّد بالرجل ومتابعته، خوفاً من الهجران، أو خوفاً من تعرضه إلى الزوال، وتقع بعد ارتباطها بهذا الغزال فريسة الأفكار المتباينة، وهذا يعني أن الشاعرة الأندلسية حولت المفردات الانثوية في المعجم النسوي الى معجم ذكري لأنها احتاجتها للتعبير عن مشاعرها تجاه الرجل [2] ، فهذا الغزال جعل من الشاعرة رهينة أفكارها وآلامها فهو يعتبر مصدراً للحب والتعاطف .

اما في قولها:

حَفِظَ اللهُ حَبِيـــباً نَزَحَـا خِيفَةَ الهَجر

جَاءَتِ البُشرَى بِهِ فانشَرَحَ عِندَهَا صَدرِي

وأَستطَارَ القَلبَ مِنِّي فَرَحَا ثُمّ لَا يدري

وظفت الشاعرة أسلوب الدعاء في قولها 'حفظ الله حبيبا'، إذ أنها تدعو الله أن يحفظ حبيبها. أما الألفاظ "نزحا، انشرح، فرحا" فتدل على التوازن والاستقرار النفسي للشاعرة، فهي تشير إلى أنها شعرت بالسعادة والفرح والانفراج النفسي عندما أدركت أن حبيبها سيعود إليها، وأن الانفصال المؤقت لم يؤثر على علاقتهما الحقيقية

تبيّن مما سبق أنّ الطبيعة بسحرها وجمالها كان لها دور فعّال في غزل الشواعر الأندلسيات، إذ أنّ الغزل النسوي يُعد جزءًا من الطبيعة الأندلسية. من خلال تعبيرهن عمّا يشعرن به من انفعالات وعواطف، فصاغته شعرًا معبرًا وجميلًا. فالعلاقة بينهما علاقة عظيمة تجعلهما جزءًا من الثقافة والأدب.

---

(1) ينظر: لسانيات النص :١٠٧.

(2) ينظر: صورة الرجل في شعر المرأة الاندلسية: ١٢٩.

كما تنوّعت البواعث عندهن، فالباعث الطبيعي عند ولاّدة الليل والشمس، فعبرت بالشمس عن الخوف، أما حفصة بنت حمدون أيضاً فقد فوظّفت الشمس إذ أرادت بها الجمال. كذلك من بواعث الطبيعة عند الشواعر الغزال، ووظّفته حفصة الركونية فأرادت به التعبير عن جمال الحبيب. أما نزهون الغرناطية فقد وظّفت "شادن" ابن الغزال وأرادت به القوة. فقد اختلفت دلالة المفردات وأضفت للمقطوعات الشعرية قيما جمالية.

كما نلاحظ الجرأة في شعرهن والقدرة على التعبير عمّا يدور بداخلهن بشكل صريح ومباشر، وكذلك جزالة الألفاظ من خلال استعمالهن الألفاظ الواضحة القوية في الشعر بغرض إضافة جمالية وإثارة للمتلقي، كونه جزءًا من الأداء الشعري يساهم في إثارة المشاعر والأحاسيس، وقوة العبارة في استعمالهن الألفاظ والصيغ الصحيحة بشكل ذكي ومؤثر لإثراء العبارة وإثارة المشاعر، واستعمال الأساليب البيانية لترسم من الصور الشعرية ما يعبر عن مكنوناتهن الداخلية.

[المبحث الثاني: الوصف]

غرض شعري له مكانة في الشعر العربي القديم والحديث لأنه ينقلنا إلى ما يخلقه لنا الشاعر وينقل ما فيه من دلالات نفسية وفكرية. فكان من شروطه أن يكون "سمحا سهل مخارج الحروف من مواقعها، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة" [١]، فقد يعبر الشعراء عما يحرك أحاسيسهم ومشاعرهم من خلال الوصف وان الظروف السياسية والاجتماعية والبيئية التي عاشها الأندلسيون دفعتهم إلى التنويع والتفنن في وصف جميع جوانب مظاهر الحياة في المجتمع.

شعر الوصف بصورة عامة أو وصف الطبيعة بوجه خاص أصبح له مكانته عند عرب الأندلس، ولم يكن له مثيل عند أقرانهم في المشرق. استجابة منهم لتأثير الطبيعة على البيئة والمشاهد التي تعبر عن بلادهم، كما يعكس ذلك مشاهد الفتنة ومظاهر الحسن. واستوحى نفوسهم من عنصر الجمال الذي يشعرون به، وعبّروا عن ذلك بألفاظ جميلة ومتقنة وعبارات متألقة ومميزة تجاه تلك الربوع والأماكن التي شغفوا بها [٢]، فحبا الله الأندلس بطبيعة ساحرة، وقد أضفت الحضارة الجديدة الوافدة على البلاد "من الرقي ما جعل سكانها يحافظون على روح الجمال الطبيعي في بلدهم وينمونه ويزيدون فيه، فأصبحت الأندلس أغنية عذبة في فم الشاعر، ينشدها وهو بين ظهرانيها، وأنشودة ساحرة على لسانه يرددها وهو مغترب عنها"، فقيل فيها أجمل التشبيهات، حتى باتت تُرسم بصورها الشعرية بأجمل الكلمات، ما رأت عيونهم من جمال. لذلك، المكان حتى فاض نتاجهم في هذا المجال، وظلت الأندلس مكانًا معطاءً أمد الشعراء بأجمل الأوصاف، فكانت صياغتهم تحمل بطياتها أجمل الصور وأرق الألفاظ [٣]، فالطبيعة كانت أكثر انتشارا في الشعر لما تتمتع به من مظاهر خلابة فوصفوها بكل دقة.

فالوصف هو آلية فنية يعتمدها الشاعر من خلال التقاط صوره بدقة التعبير وبراعة التصوير، مما يؤدي بالطرف الثالث إلى الإحساس بالجمال التصويري المشهدي، ويستحوذ على إحساس المتلقي، فيصيبه بالدهشة اتجاه الصور، وهنا تكمن وظيفة الوصف التي تنقلك من عالم الرتابة والسكون والجمود

---

(١) المكان في الشعر الأندلسي (من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢هـ-٤٢٢) :٧٢.

(٢) ينظر: ملامح الشعر الاندلسي: ٢٠٦.

(٣) المكان في الشعر الأندلسي (من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢هـ -٤٢٢هـ) :٧٢-٧٣.

إلى عالم الحركة والحيوية والتفاعل مع النص الشعري الحواري، فقد يكون هذا التفاعل عقليا محضا أو نفسيا اجتماعيا [١].

فلذلك، عرف الوصف بكثرة البواعث الطبيعية والأحداث المتتالية، فطرقوا به كل ميدان قرب من حسهم وإدراكهم، أو قام في تصورهم، فاشتدت عنايتهم به حتى اتسعت دائرته لكل ما وقع تحت أعينهم، وخاصة وصف المناظر الطبيعية والمشاهد الكونية، مثل الرياض والثمار والأزهار والطيور. وافردوا للوصف القصائد وربطوا بين وصف الطبيعة وسائر الفنون، فقد كان وصفهم بحق شاهداً على براعتهم وتمام ذوقهم. ومن الشواعر اللاتي أبدعن بقول الشعر وبالوصف خاصة **حمدونة بنت زياد**، خرجت حمدة ذات يوم إلى وادي شنيل من وادي آش مع جوار، فتأثرت بجمال النهر والفتيات الجميلات فيه، فوصفت هذا الجمال بصور جميلة ولوحات لطيفة تدفقت بها عواطفها ومشاعرها، بهذه الأبيات المعبرة عن العذاب [٢] **إذ تقول:**

[الوافر]

أَ بَـــاحَ الدَّمـــعُ أسـرَارِي بِوَادي ... لَهُ للحُـــــسنِ آثـــارٌ بَـــوَادي

فَـمِـن نَـهـرٍ يَـطُـوفُ بِـكـلِّ روضٍ ... وَمِـــن رَوضٍ يَـــرفُّ بـــكـــلّ وَادِي

وَمِـــن بـــينِ الظِباءِ مَهَاةُ أُنسٍ ... سَـبَت لُبّـــي وقـــد مَـــلَكتْ فُؤَادِي

لَهَـــا لَحـــظٌ تـُرقّـــدُهُ لأمـــرٍ ... وذَاكَ الأمـــرُ يَـــمنَعُني رُقـادِي

إذا سَـــدَلَت ذَوائبَـــهَـــا عَـــلَيها ... رأيـتُ الـبـدرَ فـي أُفـقِ السَّـوادِ

كـأنَّ الصَّـبـحَ مـاتَ له شـقـيقٌ ... فـمِـن حُـزنٍ تَـسـربـلَ بالحِدادِ [٣]

كان الدافع النفسي الذي استوطن ربوع نفس الشاعرة هو عشقها، بل تيتمها بالطبيعة الخلابة وسحرها الأخاذ، مما جعلها تبوح أسرارها ودمعها الجاري بوادي "شنيل"، الذي ما إن دخلت به حتى أصبح باعثاً نفسياً لتقول الشعر، ويجري على لسانها متغنية بكل تفاصيله، حتى أن حسن تلك الطبيعة في تلك الأودية جعل في نفسها آثاراً بالغة، حتى أن وصفها الذي انساق بطيات حرفها متوشح بتضاريس الطبيعة

(١) ينظر: ينظر: جمالية الحوار القصصي في الشعر الجاهلي والاموي (بحث) :١٣٥.

(٢) ينظر : الشعر النسوي في الأندلس :١١٣-١١٤.

(٣) الديوان :٥٧ .

وما فيها، فنجد مفرداتها مكتظة بالمتزاحمة باستعارات تشبيهية مختزلة من الطبيعة، فتارة تجد الظباء وتارة تجد الروض وتجد البدر والصبح، استعملت اللغة الشعرية البليغة المتناسقة المأخوذة من الطبيعة التي اجادت الشاعرة في توظيفها في رسم الدوافع والبواعث النفسية

وظفت الشاعرة في أبياتها التشخيص في إضفاء الحياة والأحاسيس والخوالج والانفعالات على عناصر الطبيعة بدرجة فاقت بها الأندلس، فتراءت لها تلك العناصر الطبيعية أشخاصاً ناطقة، اطلوا منها بذاتهم ومشاعرهم، فبثوا فيها الحياة بعد أن ملكت حواسهم وملأت أنفسهم في لهوهم وتأملهم [١]، فتستعين الشاعرة بالألفاظ في رسم صورتها الشعرية فتشخص الصبح بهيأة انسان في حزنه، وأيضا (النهر والوادي والظباء...) من خلال إضفاء الصفات الإنسانية عليهم.

كما ان الخيال كان حاضرا في مقطوعتها الشعرية وذلك في قولها:

أَ باحَ الدمع أسراري بوادي لهُ للحسنِ آثارٌ بوادي

فيعتبر علماء النفس أن الخيال ممكن أن يستحضر الصور التي تدركها الحواس من غير زيادة ولا نقص. كما يجعلون من باب الخيال ابتكار الصور المركبة من حسيات، وابتكارها على أسلوب يناقض أسلوب الحس المشاهد الملموس [٢]، فالشاعرة هنا تفشي للوادي عما تشعر به في ذاتها من انفعال فشاركته احزانها وآلامها فوظفت الخيال بصورة تدهش المتلقي.

اما في البيت الأخير:

كأنَّ الصبحَ مات له شقيق فمن حزن تسربلَ بالحدادِ

فيقول الشكعة إنّ التشبيه في البيت الأخير بارع، كل البراعة متناسقة ومثالية، إلا أننا نقف أمامه قليلاً من حيث معناه وارتباطه بأهل الأندلس. فعُرف إن الأندلسيين يلبسون البياض في أيام الحداد، وتشبيه حمدونة هنا يفيد أن الحداد بلبس السواد، فالصبح الأبيض هو الوجه الذي نكب في شقيق له، فتسربل بالحداد وهو الذوائب السوداء [٣]، فأبدعت الشاعرة في وصفها ومشاركتها الوجدانية للطبيعة.

---

(١) ينظر: لغة الشعر الاندلسي في عصر الخلافة : ٤٨٢.

(٢) ينظر: مدارس النقد الادبي الحديث :٥٢.

(٣) ينظر: الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه :١٥٤.

كما وصفت واديا آخر وصفا دقيقاً استراحت فيه حمدة مدة من الزمن فاستشعرت بحنانه واستمرت من مياهه فعبرت بكل شفافية واحساس مرهف [١]، **إذ تقول:**

[الوافر]

وَقـانَـا لَفـحـةَ [٢] الرَّمضاءِ [٣] وَادٍ ... سَـــقَـــاهُ مُضَـاعَفُ الغَيثِ العَميمِ

حَـلَلنـا دوحـةً فَـحـنَـا عَلينَا ... حـــنُـــوَّ المُرضِـعَاتِ على الفطيمِ

وَأرشَـفـنَـا عـلى ظـمـأ زُلالاً ... ألذَّ مِـــن المُـدامَـةِ للنَّـديـمِ

يَـصُـدّ الشَّـمـسَ أنَّـي واجَـهتَنا ... فَـيَـحـجُـبـهـا ويـأذَنُ للنَّـسيمِ

يَـــرُوعُ حَـــصَـاهُ حَاليةَ العَذارَى ... فَـــتَـــلمسُ جَانِبَ العِقدِ النَّظيمِ [٤]

ان الحاجة للاهتمام والطمأنينة كانت من أهم الحاجات النفسية التي عبر عنها إبراهام ماسلو في هرمه المعروفة، ونجدها هنا واضحة لدى الشاعرة. فكانت الحاجة إلى الحنان دافعًا نفسيًا واضحًا في أبيات الشاعرة، وأصبح للعيان حينما تفاعل الباعث النفسي بوجودها على سطح الوادي الذي حرك السواكن الروحية لها. فقد وصفت ذلك الباعث من خلال (الدفء) في لفحة الرمضاء، واستدركت القول في بقية الأبيات المستسقاة من الطبيعة، التي شعرت أن تفاصيلها عوضت الكثير من حاجاتها النفسية، كالحنين الذي وصفته بحنو المرضعات على الفطيم.

ترسم الشاعرة صورة حسية للوادي، حيث تعتمد على التأثير بالانزياح، إذ تُسند إلى الوادي أفعالًا لا تنسجم معها، لأنها أفعال جامدة، مثل "وقانا لفحة الرمضاء"، و "فحنا علينا". وتتميز هذه الأفعال بأنها إنسانية، وذلك بسبب بُعد لفحات الحر عنها، وكذلك بسبب دور الوادي كالأم في حنانها على فطيمها. وهذا يكشف عن الأبعاد الجمالية لقوة التصوير ودقة التعبير التي تتمتع بها الشاعرة.

أما الخيال فقد كان واضحًا في مقطوعتها الشعرية. فذهب الدكتور إبراهيم ناجي إلى معنى جديد في الصورة، وهو "أن الشعر يجب أن يكون أسلوبه معبراً بالصور، أي يرسم الأسلوب مواقف الشاعر

([١]) ينظر: الشعر النسوي الاندلس :١١٤.

([٢]) لفحة: لفحته النار أحرقت بشرته ولفحته السموم واصابه من الحر لفح . ينظر: أساس البلاغة:٢ /١٧٣.

([٣]) الرمضاء: الحجارة التي اشتد عليها وقع الشمس فحميت . ينظر: أساس البلاغة: ٣٨٥/١.

([٤]) الديوان :٦١.

وأفكاره وتجاربه وانفعالاته رسماً معبراً قوياً واضحاً، بحيث تصبح فكرة الشاعر مصورة في صورة حقيقية تزخر بالعاطفة والتجربة والانفعال، لا مجرد تصوير عادي ميت، وتصبح وكأنك أمام مناظر تصوير متحركة مؤثرة [١]، فالشاعرة أحاسيسها وهي على الوادي واستمتاعها بما شعرت به بإيقاع خيالي يضفي بعداً جمالياً لأبياتها وبألفاظ واضحة لا تعقيد ولا تكلف فيها.

اما **ام العلاء** في وصف الطبيعة فقد رسمت صورة جميلة لبستانها محاطًا بالقصب، يتدفق النسيم بينهما، ويظهر القصب ناعمًا ورقيقًا في كف الرياح، مثل الأشياء التي ترفرف في همس النسيم، فها هي تنظر الى بستانها لمشاهده الجميلة فتصفه بهذا التشبيه [٢]، **إذ تقول:**

[كامل مدور]

للهِ بُســـــــــــــــــتَانِي إِذَا يَـهـفُـو بِـهِ الـقَـصَـبُ الـمُـنـدَى

فَكَأَنَّمـــــــــا كـــــــــفَ الرِيا حِ قَـدَ أَســـنَـدَت بَـنـدا "فَـبـنَـدا [٣]

وصفت الشاعرة تفاصيل بستانها كأنه مرتبط بخيالها ومشاعرها المرهفة، إذ كانت الريح إذا هبت في بستانها تشكل بُعدا نفسياً للتأمل والخيال، الذي يجعل فكرها يسرح ويداعب دوافعها النفسية المخفية، والتي من الممكن تفسيرها إلى مرحلة عشق عاشتها أو علاقة ندية رطبة طيبة. وهذا أيضاً يفسّر لنا أنَّ ارتباط الحالة المزاجيّة (الدافع النفسي) مرتبط بذلك البستان، الذي يحمل صوراً لمواقع وأماكن عاشت فيها، لذلك كان وصفها لذلك البستان هو محاولة لاستعادة الذكريات فيه

ابتدأت الشاعرة ابياتها بأسلوب التعجب فهو على حد تعبير الدكتور تمام حسان "مسكوكة ثابتة تعبر عن الانفعال والدهشة" [٤]، فعبرت الشاعرة عن اعجابها ببستانها من خلال وصفها له وتأثيره النفسي على انفعالاتها واحاسيسها.

---

(١) مدارس النقد الادبي الحديث :٥٥.

(٢) ينظر: نساء من الاندلس:١٢١.

(٣) الديوان :٩٠.

(٤) أسلوب التعجب في العربية رؤية جديدة (بحث) :١٦٠.

كما انها وظفت التشخيص الذي يراد به "مخاطبة الشاعر للطبيعة وكأنها انسان لديه إحساس وشعور وحواس" [١] في ابياتها اسندت للرياح (الطبيعة الصامتة) صفة إنسانية حسية وهي (الكف) واعطتها الشعور بالحركة والحياة.

وننتقل الى **أُنس القلوب** جارية اندلسية شاعرة، غنت عند المنصور بن ابي عامر [٢] ،**اذ تقول:**

[الخفيف]

قَـــدَمَ الَّليـــلُ عِندَ سَـيرِ النَّهارِ ... وبَـــدا البَـــدرُ مِـــثـــلَ نِصف السِوارِ

فـكـــأنّ النَّـــهـــارَ صـفـحَـةُ خَـدٍ ... وكـــأنَّ الظـــلام خَـــطُّ عِـــذار ٍ[٣]

وكـــأنَّ الكُـــؤوسَ جَـــامِـــدُ مـــاءٍ ... وكـــــــأنّ المُـــــدَام ذَائبُ نـــَـــارِ

نَـظَـري قَـد جَـنـَى عَـليَّ ذُنُـوبـاً ... كَيفَ ممّـا جَنَتـهُ عينِي اِعتَـذاري؟

يَـــا لقـــومِ تَـــعَجَّبوا من غَزالٍ ... جَـائِرٍ فـــي مَـحـــبّـتَـــي وَهو جَاري

لَيـــتَ لو كـــانَ لِي إليـــهِ ســـبيلٌ ... فَـــأُقَـــضّـــي مِـــن الهَوى أوطـــاري [٤]

إنَّ القلق الذي كان واضحا على الشاعرة أصبح من أهم سمات خلجاتها، مما جعل الدوافع النفسية واضحة في أبياتها المنطوية تحت حاجتها للاطمئنان والأمان في ظل الخوف المصاحب لحالتها وتوترها، مما جعلها تحاول أن تستطرد بخيالها إلى صور للمنصور، عسى أن تعيش على آثار الأمل لتدفع الاضطراب الذي صاحب انفعالاتها. فوجدت القمر باعثاً نفسياً يحرك مشاعرها وشجونها، عسى أن تستطرد ذلك الانفعال (انفعال الخوف والقلق)، مما جعلها تبالغ بالوصف والغزل. فالشاعرة في البيتين الثاني والثالث وظفت التشبيه "لما له من موقع حسن في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً، ويسكبها توكيداً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونبلاً" [٥]، فاستعانت الشاعرة بالصور الطبيعية التي لها القدرة على خلق دلالات ايحائية داخل النص الشعري

---

(١) جماليات التشخيص في الشعر الاندلسي (بحث) :٤٣٨ .

(٢) ينظر: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام :٢٤.

(٣) عذار: خط لحية الرجل .اللسان ،مادة (عذر) :١٠٥/٩.

(٤) الديوان : ٢٢ .

(٥) الذات والأخر في الشعر الاندلسي :٣٠٧.

فجعلت (النهار والظلام، والكؤوس والمدام) من طبيعة صامتة الى طبيعة حية، فنجد المبالغة في خيال الشاعرة عند توظيفها هذا التشبيه.

كما أنها وظفت الثنائيات المتضادة في قولها (النهار، الظلام) وهذه في الواقع تعكس حالة من الصراع النفسي المرتبط بالتعبير اللغوي الصادق عما كانت تشعر به في الوقت ذاته.

كما وصفت الشاعرة **ام السعد** تمثال نعل النبي "صلى الله عليه واله وسلم" اذ تقول:

[السريع]

سـألِتُم التـمـثـالَ اذ لَـم أجـد ... لِلثمِ نعـلِ المُصـطفى من سـبيـلِ

لـعـلـنـي أحـظـى بـتـقـبـيـلـه ... في جنَّـةِ الفردوسِ أَسـنَى مقيـلِ

في ظِـلِ طوبي سـاكنـاً آمنـاً ... أسـقى بأكواسِ منـهُ السَـلسَـبيلِ

وأمسـحُ القلبَ بـِـــــــه عَلَّهُ ... يُسـكِنُ مـا جـاشَ بِـه مِن غليـلِ

فَطـالَمـا اسـتشـفى بِـأطلال مَن ... يهواهُ أهـلُ الحـبِ في كِـلِّ جيـلِ [1]

إنَّ اهم الدوافع النفسية التي تتزاحم داخل نفس الشاعرة الحاجة الملحة للطمأنينة من خلال الاولياء والصالحين وكون الشاعرة لم تذهب لإداء مناسك الحج مما جعل الدافع يكون قد بلغ ذروته لذلك ولأن وجود تمثال للرسول الأعظم(ص) في الاندلس كان هو ذلك الباعث الذي حرك دوافعها وشجونها صوب بيت الله الحرام مما جعلها تكتب عن رسول الله.

مفردة التمثال يعتبرها علماء اللغة "الصورة، وإن كان بعضهم قيدها بذات الظل وقالوا ان ظل كل شيء تمثاله حيث المشابهة والمماثلة بين الشيئين "ومرادهم ان لفظ (التمثال) لا يختص استعماله بصور ذات الظل بل حتى على الصور المجسمة من غير ذوات الظل [2]، فكان هذا الرمز يحمل قدسية عند الشاعرة اعتمدت على حالتها النفسية فعبرت ببساطة ووضوح بألفاظ رقيقة.

اما في قولها:

في ظل طوبي ساكناً آمناً ... أسقى بأكواس منه السلسبيل

---

(1) الديوان : ٦٨.

(2) البيوع المحرمة والمنهي عنها :٢٩٩.

رسمت الشاعرة صورة ذوقية جميلة، فتجد نفسها في مكان سماوي تحت ظل شجرة طوبي، إذ يوجد نعيم لا متناه، ومشاهد تفوق الوصف للعينين، وهي تتأمل، وقعت عيناها على عين ماء تسمى سلسبيل، فاقتربت وأومأت، وسكب لها كوباً من هذا الماء الذي لم تذق مثل طعمه، فشربت كوبًا تلو الآخر، لم تشعر أبدًا بالعطش أو الظمأ، وبدلاً من ذلك شعرت باللذة والنشوة [1]، فطعم الماء الذي لا يضاهى هو الذي جعلها الى ان تسقى بأكواس منه.

اما **ولادة** فقد وصفت نفسها بالظبية **اذ تقول:**

[الكامل]

إنـي وان نَـظَـر الأَنـامَ لِـبَـهـجـتِـي كَـظـبـاءِ مـكّـةَ صـيـدُهـنَّ حَـرامُ

يُحسَـبنَ مِن لِينِ الكَلامِ فَواحشـا ويصّـدهنّ عَن الخَنَا [2] الإسـلامُ [3]

إنَّ الشاعرة في البيتين أعلاه تتسم شخصيتها بصبغة واضحة، يكاد أي قارئ يستنتج منها التضخم في الأنا وزيادة حيث يبرز الدافع هو حب الذات، فهنا حالة من تعظيم الذات، وهو مرض لا نعيره الاهتمام، ويسمى في علم النفس تضخم الأنا أو النرجسية أو حب الذات المفرط والمرضي. وقد اتفق علماء النفس في تحليلهم للانا المتضخمة على القول اختصاراً أن المصطلح يعني شخصية متمركزة على ذاتها وبشكل متطرف، وهذا ما اتسمت به الشاعرة. لكن الباعث الخارجي الذي جعلها تبوح بدافعها النفسي هو التفاخر بذاتها وبأنوثتها أمام الآخرين.

هذه الصورة التشبيهية بين الشاعرة وظباء مكة جعلت الناس ينظرون اليها بإعجاب وأقاويلهم بأنها من تريد ذلك تخف، فتسمح لها أن تتمتع بحريتها وحركتها بين الناس وتشعر بالأمان، وهو ما تبرره بتشبيه نفسها بهذه الظباء في حرم مكة وليس خارجها، لأن ظباء مكة محرّم صيدها، فأعطت لنفسها أماناً افتراضياً وتبديد الأفكار المسبقة عنها فلين كلامها قد يحسب عليها فاحشة ولكنها تعلن أنها امرأة

(1) ينظر :صورة الرجل في شعر المرأة الاندلسية :٢٢٧.

(2) الخنا :من قبيح الكلام .اللسان ،مادة (خنا) :٢٣٨/٤.

(3) الديوان :١٢٨.

مسلمة يمنعها عن قبح الكلام دين الإسلام [١]، فأرادت من هذا التشبيه الأمان والتمتع بحرية في ذلك المكان.

فالصورة الشعرية تثير خيال المتلقي بعملية عكسية، إذ يقوم الشاعر ببناء صورة رائعة ومؤثرة من مادة مفككة والمتلقي يأخذ الصورة ويفككها وفقا لقدراته وخياله وبذلك يتحرر العقل نحو آفاق عليا من الحرية والتماس المتعة [٢]، فتصوير الشاعرة عبر عن انفعالات واحاسيس داخلية

صفيه بنت عبد الله قد عابت امرأة خطها فقالت لها:

[الطويل]

وعَـائبـةٌ خَطِّي فَقُلـتُ لَهَـا اقصِـــري فَسَـــوف أُرِيكَ الدُّرَّ في نَظم اســـطُري

وَنَـــاديـتُ كَفى كَـي تَجُود بخَطّهَـا وَقـرَّبـتُ اقـلامِـي وَرقِـي وَمِـحـبَـري

فَخطّـت بـأبيـاتٍ ثلاثٍ نَظَمتُـهـا لِيَبـدوا لهَـا خطّي وقلـتُ لهـا أُنظرِي [٣]

إنَّ الطبيعة البشرية التي يعيش فيها الإنسان تسعى دائمًا للكمال، وهذا الكمال نسبي ومرهونٌ بحسب المستوى الفكري والبيئي وغيره من العوامل التي تستلزم مفهوم الكمال. فهو دافعٌ نفسي يشغل الذات البشرية، وهذا ما كان واضحاً عند الشاعرة صفية بنت عبد الله. ووجود التحدي، الذي هو الآخر يُعد من أهم البواعث الخارجية التي تحرّك دوافع الإنسان الداخلية أو تثير ما بداخله. وهنا، التحدي حينما نعتت إحداهن خط يدها فسمة التباهي أو التحدي هي ما أثارتها لتحاولَ إظهار أفضل ما لديها من كيفية الكتابة.

اعتمدت الشاعرة أسلوب الحوار المباشر في مقطوعتها الشعرية، فتشكل للمتلقي من خلال تقنية الوصف الذي يندرج ضمن "إبراز الانفعالات الداخلية والخارجية بكلمات معبرة، إما من خلال الوصف النقلي، وإننا من خلال التحليل" [٤]، ينقل الأديب إلى قارئه المشهد الذي يقع عليه بصره، فيُصوّره له

---

(١) ينظر: القيم الجمالية في شعر المرأة الاندلسية :١٣٨.

(٢) ينظر: مدخل الى تحليل النص الادبي :٦٢.

(٣) الديوان :٨٣.

(٤) المعجم الأدبي: ٦٩.

تصويرًا واقعيًا ويبرزه في تشخيص معبر. وعند ذلك يكون عمله من حيز الوصف العادي، أو يوحي إليه، من خلال التشابه والرموز والانفعالات بطبيعة هذا المشهد، وبالجانب العاطفي أو العقلي منه، فيرقى بعمله إلى مستوى فني رفيع [١] فأحدثت لمسة جمالية في النص الشعري الحواري وتصويره بكل دقة وبراعة.

أما في البيت الثاني، فقد وظّفت صفية صفةً تراسل الحواس، وذلك بأنّها أعطت للكف حاسة السمع بقولها "ناديت كفي"، وعن طريق هذا التراسل، تتجرد هذه المحسوسات وتتحول إلى مشاعر وأحاسيس خاصة، وذلك "إنّ اللغة في أصلها رموزٌ اصطلح عليها لتثير في النفس معاني وعواطفًا خاصة، والألوان والأصوات والعطور تنبعث من مجال وجدانٍ واحد، فنقل صفات بعضها إلى بعض يساعد على نقل الأثر النفسي كما هو أو قريبًا مما هو، وبذلك تكمل أداة التعبير بنفوذها إلى نقل الأحاسيس الدقيقة، وفي هذا النقل يتجرّد العالم الخارجي عن بعض خواصه المعهودة ليصير فكرةً أو شعورًا، وذلك لأنّ العالم الحسي صورةٌ ناقصةٌ لعالم النفس الأغنى والأكمل" [٢]، فأعطت لحاسة اللمس حاسة السمع لتثير الدهشة لدى المتلقي.

كما أنها وظفت الجناس فهو "لون من ألوان الجمال اللفظي، له أثر موسيقي كبير على السامع إذ يؤدي دوراً مهما في زيادة تناسق الألفاظ وانسجامها في النص، فيسهم في بيان الوظيفة الدلالية للألفاظ في ضوء تأثير هذه الالفاظ على المتلقي" [٣]، فجانست الشاعرة بين لفظين هما (اقصري، اسطري) لتحدث نغما موسيقيا وذوقا جماليا.

ومن خلال ما تقدم، نجد ثمة علاقة بين الطبيعة وشواعر الأندلس، فكان لها تأثير كبير في تشكيل الصور الشعرية المختلفة. فقد وظفت كل من "حمدونة بنت زياد" و"أنس القلوب" الصور الخيالية بكل براعة ودقة في التصوير. فاستعملن هذه الصور لإظهار الأفكار والأحداث الخيالية ولإضافة التأثير والدلالة إلى النص، فتعبر عن أفكار أو تصورات خاصة، لكن اختلف عند كل منهن. فنجد أن "أنس القلوب" بالغت في وصف تجربتها الشعرية، كما لعبت الأنسنة دورًا مهما في رسم صورهن وتأثيرها على

---

(١) ينظر: جمالية الحوار القصصي في الشعر الجاهلي والاموي (بحث) :١٣٥.

(٢) عن بناء القصيدة العربية الحديثة: ٨٠.

(٣) فنية الجناس في شعر عبد الصمد بن المعذل البصري (بحث) :١٩٧.

المتلقي، فتشكل الأساس للنص الشعري، فتحدثن عن تجاربهن وأحداثها عند رسمهن. أما "حمدونة"، شخصت الصبح بهيأة إنسان، أما "أم العلاء" فأسندت للرياح القدرة على الحركة والحياة، كما وظفن أسلوب التشبيه، فعند "ولاّدة" دل على الأنا، أما "حمدونة" فكانت متقنة ومثالية، بالإضافة إلى أن ألفاظهن إنمازت بالرقة والعذوبة والدقة، فتضفي على جمال اللغة وتزيد من تأثير النص على المتلقي.

البواعـــــث الأخـــــــرى

[الفخر، الغيرة، الغناء]

_الفخر:

فن غنائي يمجد فيه الشاعر نفسه أو قومه انطلاقاً من حب الذات كميل إنساني طبيعي ولم يكن الفخر غاية او هدفا بحد ذاته، بل هو وسيلة لرسم صورة عن النفس ليخافها الأعداء فتجعلهم يترددون طويلاً قبل التعرض للشاعر أو لقبيلته؛ لذلك فالفخر له أكثر من معنى وأكثر من وظيفة، فضلا عن التصاقه الشديد بالذات الإنسانية يعد حدوداً تمنع الأعداء من التقدم ،فالإنسان بطبيعته محب للذات ويتأمل نفسه كثيراً ويقارن نفسه بالآخرين، لكنه غالبا لا يرى اخطاءه بينما يرى كل عيوب الآخرين، ومهما كان صادقاً مع نفسه، فإنّ الغرور يغلب عليه فيؤمن بأنه أفضل بكثير من غيره[١] ،فهو تعبير عن واقع الانسان بمختلف انفعالاته.

فهو تعبير عن الجوانب الايجابية لمصير الانسان، والنصر، والمساواة، والشعور بالرضا عن الذات وعن الوجود، لا شك إنّ هناك، نوعا أكثر تعقيدا من الفخر إذ يوهم بالانتصار بينما يكون في الحقيقة غطاء للشعور بالفشل والهزيمة، عندما يغمر الإنسان شعور الإذلال والفشل، يحارب هذا الشعور فتتولد فيه حالة من العنجهية. ومع ذلك، فإن السمة الرئيسة للشعور الفخري هي الفرح والعزة للعقل، وتأثير النصر، أو الشعور بالتفوق والقدرة [٢]، فهو وليد التجربة الشعورية بتأثير البواعث الخارجية.

فالبواعث الخارجية في الأندلس التي تمتعت بها المرأة منها مجالس الانس واختلاطها بالملوك والحرية التي أعطيت لها هي التي ساعدت الشاعرة الاندلسية ان تعبر عمّا في ذاتها بفخر فكان لها دور أساس في المجتمع.

ومن هذه الشواعر **عائشة القرطبية** فقد رفضت بعنف كل من تقدم يطلب يدها وماتت من غير زواج وقد طلب يدها أحد الشعراء فلم ترض به زوجاً، لكنها لم تكتف بالرفض فكتبت إليه توبخه، ذلك أنها ترفض ان تجعل نفسها مناخاً لاحد طول الدهر ابداً فهي امرأة حرة لا تستطيع ان تقيم في كنف

---

(١) ينظر: الفخر في الشعر العربي :٥

(٢) ينظر: فن الفخر وتطوره في الادب العربي: ٦

رجل، ولو ارادت الزواج فلم تتزوج منه، فكم منعت سمعها عن الاسود فما بالك بكلب لا يساوي شيء[١] وتقول في ذلك:

[الطويل]

لَبـــوة لكنّـــــني لا أرتـضـــــي نفســـي منـاخـاً طول دهري من أحَـد

ولوَ اِنّـــــنـــــي أختارُ ذلك لم أجب كـــلبـــاً وكم غلّقت سمعي عن أسَد [٢]

وإنَّ ما دفع الشاعرة الى هذا على الرغم من أخلاقها الحسنة ليس سوى غضب نفسي يوحي باحتمال وجود كراهية قديمة مدفونة بينها وبين الشاعر الذي تقدم لخطبتها أو أنها تعرف إنّه غير مؤهل للارتقاء إلى منزلتها؛ لذلك كانت غاضبة جداً عندما سمعت الخبر لكنها لم تكن في تلك اللحظة تتحكم في نفسها فنعتته بالكلب ولعل الغرور والعنجهية هو الذي دفعها، فجعلها تمتنع عن قبول أي رجل لا تراه اهلاً لها ولهذا ظلت عذراء تجعل اصابعها في أذنيها حتى لا تسمع مالا يروقها الى ان توفاها الله [٣]، فالطبقية في المجتمع آنذاك كانت باعثا لجعل الشاعرة تفتخر بنفسها وتنعت هذا الرجل.

النص في تشكيلاته يرسم صورة فنية من الطبيعة. وظفت الشاعرة الصورة الفنية للحيوان، وهي اللبوة، لتصوير نفسها. فتقارن بين نفسها واللبوة فيما يتعلق بالقوة والخفة والاعتماد على الذات. وتعبر الشاعرة عن رفضها للخضوع لرجل، ورفضها للتزوج من رجل أقل منها مكانة كما نعتته بالكلب، ورفضها للأسد رغم تكافؤ المنزلة بينهما، وبالتالي، تركز الشاعرة على طبيعة كل من هذه الكائنات على حدة، مما يبرز الفرق بينهما. وهذا يعد رمزا لصورة الانا الشاعرة.

وننتقل الى نوع آخر من الفخر هو إنَّ الشاعرة **تميمة بنت يوسف** تفتخر بنفسها إذ تقول:

[المتقارب]

هي الشَّـمسُ مَسـكنُها في السَّـماءِ فَـــعـــزَّ الفُـــؤادُ عَـــزاءً جَـــمِـــيـــلا

فـلَن تَـسـتَـطـيـعَ إليَها الصَعودا ولن تَـــســـتـــطـــيعَ إليكَ النُزولا [٤]

---

(١) ينظر: دراسات في التاريخ والفن والأدب الاندلسي محطات اندلسية :٩٤

(٢) الديوان :٨٤

(٣) ينظر: الشعر النسوي في الأندلس :٥٩

(٤) الديوان :٢٨

التفاخر والتعالي صفتان قد غلبتا على ابيات الشاعرة تميمة بنت يوسف وهنا من الجانب النفسي ممكن ان تُرى مغروه او ان لديها الانا مرتفعة فقد وصفت نفسها بالشمس التي لا يمكن أن يطالها الآخرون لذلك جزمت بأنها لا يمكن أن تحب وتنزل لمحبوبها لأن كرامتها لا تسمح بذلك واستصغرت ان يحبها لأنه يصعب عليه الولوج لمكانتها التي تقطنها وهنا كان وصف وفخر يعج بملامحه المبالغة.

ونلحظ قدرة الشاعرة الابداعية في مدح نفسها وإيصال ما تريد من خلال استعمالها رموز ذات دلالات ايحائية مكثفة مثل قولها " مسكنها في السماء " توحي الى علو مكانتها ونسبها.

كما أنها وظفت التكرار في البيت الثاني قولها "لن تستطيع" فمن بواعث التكرار القصد قد يكون الشاعر قصد ذلك عمدا لغرض أو لفائدة معينة يريدها إذ يبدو اللفظ المتكرر مشحونا بشحنة دلالية كبيرة تبعد المعنى عن الانبساط والظهور، تحقق التكثيف المطلوب؛ فالتعمد في التكرار يستدعي وعيّا تاماً بكل الحالات السابقة للمعنى المكرر، كما يتطلب قدرة لغوية وذاكرة شعرية خارقة [1]، فالشاعرة ارادت بأنه يصعب الوصول اليها.

تظهر في هذه المقطوعة ثنائية التضاد في قولها "طلوعا، نزولا" فمن خلالها تصور الانا الشاعرة الموقف الذي تريد إيصاله، إذ تعطي للنص قيمة جمالية تؤدي إلى إثارة مشاعر المتلقي، وأحدثت نغماً موسيقياً متناسقاً.

وفي موضع اخر نجد **بثينة بنت المعتمد** تفتخر بنسبها **إذ تقول:**

[الرمل]

رَبَّ رَكـبٍ قَـد أنـاخَـوا عـيسَـــهُم ... فـــي ذَرَى مَـجـدِهُـم حِـيـنَ نَسَـــق

ســـكـتَ الـدَّهـرُ زَمـانـاً عَـنـهُـم ... ثم أبكَاهُم دمـــاً حـــِين نطـَـــــق

من عَزا المجـدَ إليَنَـا قـدْ صَـــدَق ... لَم ْيُلَمْ مَن قـالَ مَـهمـا قـالَ حق

مَجدنَـا الشَّـــمس سَـــنـاءً وسَـــنى ... مَن يَروم ســـتر سَـــنـاهـا لم يُطِق

أيّها النّاعِي إلينا مَجدنَـــــــــــــا ... هـل يُضَـــرُّ المَجـدُ أن خَطَـب طَرق

لا تُرع للدّمعِ في أماقِيـــــــــــنَا ... مزجَتهُ بـــدمٍ أيدي الـــحُـــــــــرَق

([1]) ينظر :التكرار في شعر محمود درويش :٣٤

حِـنَـقَ الـدّهـرُ عَـلـيـنَـا قَسَـــطـاً	وَكذَا الدّهرُ على حّـــــــــــرِ حَنِق [1]
وَقديماً كَلِفَ المُلكُ بـــــــــــــنَا	وَرأى مَـــــــنّا شُموسَاً فَعشـــَــــــق
قَـد مضـــى منَّـا ملوكٌ شَـــهُروا	شُـــهرةَ الشّـــمسَ تَجلَّـت في الأُفق
نَـحنُ ابنَـاءُ بنـي مَـاء السّـــمـا	نَـحُـونَـا تَـطـمُـحِ ألـحـاظُ الـحَـدَق [2]
وإذا مـا اجـتَـمـع الـدَّيـنُ لـنَـا	فَحقيُر مَا مِن الدّنيَا افتـــَــــــــــرق
حِجَجـاً عشـــراً وعشـــراً بعـدهـا	وَثلاثينَ وَعشرِين نَســـــَــــــــــق
أشـــرَقَت عشـــرون مِن أنفُسِـــنـا	وثلاثٌ نيـــــــراتٍ تَأتلـِــــــق [3]

ابتدأت الشاعرة قصيدتها موضحة بأن أي صاحب مجد اناخ ركبهم بتاريخ المجد تتغير احوالهم ويكون الدهر عصيا فان الدهر يومان يوما لك ويوما عليك هذا ما كان واضحا في ابياتها الأولى ،إلاّ إنها استدركت قصيدتها بالمقارنة بين مجدهم ومجد الآخرين من العالمين فمهما تكلم الآخرون عن مجدهم فهو العالي كعنان السماء، بل هو الشمس المطلق، ومن ثم كانت في أبياتها اللواحق انكسار ضمني يُستدل من خلالها كيف أن النوائب قد حلت ضيفا ثقيلاً وعلى الرغم من ذلك الضيق كانت تتفاخر معلنه بان أي ضيق لا يمكن ان يُغيّر شيء من سناء مجدهم، وبعدها صرحت معلنه ومهما اشتد غيض الدهر فإنّ هؤلاء الشموس الذين سبق وكلف بهم الملك فكانوا شموس أهلا للعشق، إذ تزداد الشاعرة تفاخراً حتى أن تفاخرها تارة يكون وصفياً تشبيهياً محسوساً وآخر يكون تمثيلاً ملموساً، إذ أن لجوء الشاعرة إلى التفاخر بنسبها ما هو الا دافع نفسي (الحاجة للأمان) كونها كانت تعاني من القلق الأساسي حسب نظرية **"كارين هورني"** "هو اضطراب شعور الفرد بالأمن ناجم عن العجز التام تجاه دنيا مشحونة بالعداء مما يؤدي الى الحصر "القلق" الأساسي" [4] إنّ الباعث النفسي الذي جعلها تكتب تلك الابيات هي تلك النوائب وتهديد ملكهم ونسبهم الذي كانت تعتقد بأنه لا يزول.

([1]) حنق: شدة الاغتياظ او الغيظ .اللسان ،مادة (حنق) : ٣٦٤/٣

([2]) حدق: حدق به الشيء واستدار : اللسان ،مادة (حدق) :٣ /٨٧

([3]) الديوان :٢٧

([4]) نظريات الشخصية :ك .هول .لندزى: ١٧٨

توظيف مفردة "الدهر" يبدو للذات إنّ سير حياتها في إطار سلبي هو من مسؤولية الدهر نتيجة ازدياد خبراتها، بأن التدمير لا يقوى على فعله سوى قوة غامضة، حاضرة في الوجود كحضور الحياة تلك هي قوة الدهر أو الزمن، فالدهر هو المسؤول عن تخريب الديار، وهو الذي يقلب حياة الذات ولا يدع لها نعيماً [١]، فالذات الشاعرة نظرت إليه نظرة مزدوجة الأولى سكوته أرادت به الازدهار والأخرى نطقه الذي أرادت به الخراب.

كما وظفت الشاعرة التصوير الرمزي "الذي يعتمد على التشابه النفسي بين الأشياء، وهو ثمرة يقتطفها الشاعر من خلال ادراكه الحدسي للعلاقات العميقة والخفية بين المظاهر المادية وما يختبئ وراءها من اسرار، ثم يوظف الطاقة الايحائية المتولدة من التقاء الأشياء للكشف عن تلك الاسرار" [٢]، فمن خلال استعمال الشاعرة لرمز "الشمس" أعطت لمجدها وقومها السمو والرفعة والعلو وبهذا أعطت للرمز ايحاء وفاعلية في التعبير عن عوالمها الداخلية.

لجأت الشاعرة الى توظيف الطباق في الافعال (سكت، نطق) (اجتمع، افترق)؛ وذلك إن جمالية هذا الأسلوب لها تأثير على الشعر من ناحيتين " لفظية تتأتى بمجيئه في الأسلوب سلسا طيعاً غير متكلف فيخلع عليه جزالة وفخامة ويجعل له وقعا جميلا ومؤثراً ومعنوية تتحقق من ايضاحه المعنى واظهاره، وتأكيده وتقويته، عن طريق المقارنة بين الضدين وتصور أحد الضدين فيه تصور للآخر، وعلى هذا فالذهن عند ذكر الضد يكون مهيأ للآخر ومستعداً له، فاذا ورد عليه ثبت وتأكد فيه" [٣]، فأحدثت الشاعرة تناغماً صوتيا بأسلوب واضح.

ومن ثم انتقلت إلى الخطاب بصيغة الجماعة في قولها "نحن" فتماهى صوت الشاعرة مع الجماعة "القوم" فخطابها كان بلسان قومها وليس ذاتها.

نخلص مما سبق، إنّ باعث الفخر عند شواعر الأندلس ارتبط بالذات والأشخاص الذين يرتبطون بهم من خلال الثقة بالنفس والتوازن النفسي والعاطفي. يأتي هذا عبر الصور والمعاني والتعبيرات الخاصة التي وظفنها في قصائدهن الشعرية. فقد تنوعت استعمالاتهن للصور الشعرية، فاستعملت تميمة بنت

---

(١) ينظر :جماليات الانا في الخطاب الشعري :٥٩.

(٢) التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية :١٦٧.

(٣) جماليات الأسلوب في الشعر الجاهلي :٢٥٥ .

يوسف رمز "الشمس" للدلالة على الذات، بينما اعتبرت بثينة بنت المعتمد "الشمس" رمزًا للعلو والرفعة، واستعملت عائشة القرطبية صورة الحيوان "اللبوة" للتعبير عن ذاتها، إذ اعتمدن على رموز طبيعية للتعبير عن فخرهن.

_الغيرة:

حالة انفعالية يشعر بها الانسان، يمكن الاستدلال منها أحيانا على الشعور الداخلي ولها مظاهر خارجية، لكن هذا الادراك غالبا لا يكون سهلاً، لأن الشخص في العادة يحاول أن يخفى الغيرة بإخفاء مظاهرها قدر جهده إذ تختلف درجة الغيرة من شخص لآخر [١]، وقد صور القران انفعال الغيرة تصويراً رائعا في قصة يوسف وشدة غيرة اخوته منه للحد الذي أرادوا ان يقتلوه ذلك عندما تناجوا بينهم قائلين [٢] **(اقتلوا يُوسُفَ أَوِ اطرحوه أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ)**[٣]، فحب أبيهم الزائد ليوسف بعث في نفسهم الغيرة.

ولعل كل واحد قد شعر في وقت ما بالغيرة شعورا خفيا أو حادا فهو شعور مؤلم يتعرض له الانسان ينتج عادة عن خيبة الشخص في الحصول على أمر محبوب، كشخص أو مركز أو قوة أو مال، ونجاح شخص آخر في الحصول عليه لهذا نجد أن انفعال الغيرة من الانفعالات المركبة من حب تملك، وشعور بالغضب لأن عائقا ما وقف دون تحقيق غاية هامة، تنشأ عند الإنسان منذ الطفولة وبشكل غريزي دون تعلم أو اكتساب، بينما يلعب المجتمع والبيئة وحالة الفرد النفسية ووضعه المادي والثقافي دورًا مهما في ترسيخها فتحدث ضمن مؤثرات تربوية اجتماعية ونفسية ،ولا يعترف الفرد عادة بالغيرة وذلك بسبب ما تتضمنه من الشعور بالنقص الناتج من الاخفاق بل كثيرا ما تكبت الغيرة لأن النفس الشعورية لا تقبل ألم الخيبة ولا شعور النقص [٤]، فالغيرة تنشأ من مواقف اجتماعية.

هنالك حالات انفعالية يخفيها الفرد لا يمكن معرفتها كونها انفعالات شعوريه مخفيه لا يمكن الاستدلال عليها الا من خلال سلوكيات معينة، وتلك الانفعالات ماهي الا مزيج مختلط بين الغضب والفشل ،وهذا المزيج يكون نتيجة الخيبة في الوصول لشيء معين مادي او معنوي ،قدْ يكون هو ذاته الذي نجحَ به انسان آخر فتتوجه الغيرة نحو ذلك الشخص ،اما في قاموس علم النفس هي "الخوف من ان تجد نفسك فاقدا للأمور التي نعلق عليها أهمية كبيرة وبخاصة المحبة والقدرة" [٥]، وقدْ تكون تلك

---

(١) ينظر: أسس الصحة النفسية :٤٢٩

(٢) علم النفس العام، د. صالح الداهري :١٠٨

(٣) سورة يوسف :٩

(٤) ينظر: أسس الصحة النفسية :٤٢٩

(٥) ينظر: الغيرة بين التفوق والمنافسة– والعداء والانانية : ٢٠

الغيرة هي سبب الالهام او السعي لنجاح او السبب للإبداع وهذا ما لمسناه عند الشواعر من الأندلس فنجد ذلك عند **حفصة الركونية** عندما وصل اليها الخبر بأن عشيقها أبا جعفر علق بجارية سوداء وأنه قضى معها أياما بظاهر غرناطة، فكتبت تعاتبه بسخرية بدافع قوي من الغيرة[1] اذ تقول:

[المنسرح]

يَـــــا أظـــــرَفَ النَّاسِ قبلَ حالٍ ... أوقَـعَـــــــــــــهُ نـحـوهُ القَـــدَرْ

عَـــشـقـتَ سَـوداءِ مِـثـل ليـلٍ ... بـــــــــَـدائِعَ الحُـــسْـنِ قَـدْ سَـتـرْ

لا يَـظـهـرُ الـبِشُـــر فـي دُجـاهَـا ... كـــلّاً ولا يُـبْـصَـرُ الخَـفَـــــــــــــرْ

بِـاللَهِ قُـــــــــــــلْ لي وأنتَ أدْرَى ... بـــكُـــلّ مَـــن هـــام فـــي الصـــوَرْ

مَـــــنْ الّذَّي هـــامَ فـــي جِـنَـــانٍ ... لا نَـــوَّار فـــيـــه ولا زَهَـــــــــــرْ[2]

يجد المتأمل لهذا النص ان الشاعرة عبرت عن حالة الانكسار النفسي للذات فشعرت بالغيرة بعد ما عشق حبيبها جارية تفتقر الى الجمال فشبهتها بسواد الليل الذي لا يظهر ملامحها فضلا عن زعزعة مكانتها في الواقع الاجتماعي لصعوبة الموقف الذي مرت به فأصبح هذا الانكسار دافعا لان تقول هذه المقطوعة الشعرية فكانت صورة عن احساسها الداخلي الانثوي بعاطفة سلبية تحمل بين طياتها لحنا خفيفا بلغة العتاب في محاولة يائسة لاستمالته مرة أخرى للتأثير في وجدان المتلقي استهلت الشاعرة ابياتها بأسلوب الحوار الخارجي بصورة مباشرة مع حبيبها، فجاء اعتذارها مطعما بالمديح حتى انها صرحت بانه " اظرف الناس" فكان على نحو مختلف نتاج الظروف الاجتماعية ،كما أنبته بقولها "عشقت سوداء" كانت تلك المفردات اشاره للذم، فالأبيات فيها شيء من الاستفهام والاستغراب.

هذه الصورة تكاد تقول ان الشاعرة لديها القدرة في رسم صورة واضحة للجارية كما أنها وظفت الصورة اللونية لتحكي مالم ترد ان تقوله مباشرة فاستعملت اللون الأسود تعبيا عن النفسية المضطربة ومشاعر الغيرة التي تنتابها، ففيها صورة موحية لما تريد الشاعرة ايصاله للمتلقي، ومثل هذا الأسلوب يتطلب جرأة من الشاعرة.

في قولها:

---

(1) ينظر: الشعر النسوي في الاندلس :١٢٧

(2) الديوان :٤٦

مَنِ الّذي هام فـي جنـان لا نـور فـيـه ولا زهـــــر

تستفهم متعجبة من فعل أبا جعفر وهذا الاستفهام أحدث انفعالا وقد عرفه **دافيروف** بأنه "حالة داخلية تتصف بجوانب معرفية واحساسات وردود أفعال فسيولوجية وسلوك تعبيري معين وهو ينزع للظهور فجأة ويصعب التحكم فيه" [١]، فهي تتساءل بأنه هام في جارية سوداء خالية من الزهر والثمر وتركها، فعبرت عن شعورها الداخلي بهذا الأسلوب.

تنتقل العاشقة الجريئة من مرحلة الغيرة الى مرحلة الانانية فتغار عليه من كل شيء المرئي وغير المرئي ومن المادة والمعنى ومن الزمان والمكان [٢]، **اذ تقول:**

[الوافر]

اغَارُ عَليكَ مِن عَينَي رَقيبِي وَمِنكَ ومن زَمانِكَ والمكانِ

ولو أني خبأتك في عيوني الى يَومِ القَيامَةِ ما كَفانِي [٣]

ان الابيات واضحه بتداخل المشاعر فيها على الرغم من ان الأكثر وضوحا هو الغيرة، وإنّ من اهم أسباب الغيرة هي التربية والنشأة الاجتماعية والشعور بالنقص والتقصير وعدم احترام الذات وكل ما ذكر هو علامات على عدم الاستقرار النفسي للشاعرة وقد يكون كل ما تم ذكره هو عباره عن دوافع نفسية داخلية، اما الباعث النفسي هو خوفها الشديد منه ومن الزمن وحتى من المكان فجعل الدافع يطغى على ابياتها، وهذا لون جديد من غزل المرأة أكثر اندفاعا من طبيعة المرأة المحبة، في حفصة جرأة على الغزل ونهم إلى الحب يدفع بها إلى الغيرة ثم ينتقل بها من مرحلة الغيرة إلى مرحلة الأثرة والأنانية، إنها تغار عليه من كل شيء يحيط بها، إن طبيعة المرأة العاشقة تتمثل في حفصة أكثر مما تتمثل فيها طبيعة المرأة الشاعرة ، وإن مظهر العشق والشعر قد اجتمعا وتصارعا وتساجلا في نفس حفصة فانتصر مظهر العاشقين وتصرفهم على رهافة الشعراء وتفننهم[٤] فقد رسمت صورا خيالية ارادت بها اثارة ذهن المتلقي.

---

(١) علم النفس العام ,صالح الداهري :١٠٤

(٢) شعر النساء في الادب الاندلسي –قضاياه وظواهره الفنية، بحث :٥٣

(٣) الديوان :٥٤

(٤) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه :٢٢٤

كذلك هاجس التشاؤم " موقف تجاه الحياة أو فلسفة حياة تعبر عن نفسها في النظرة القائلة بأنه من الأفضل للمرء الا يوجد وأن عدمه خير من وجوده، أو أن الانسان يولد للتعاسة والشقاء" [١] أحد العوامل النفسية الذي ولد من الغيرة وخوف الحسد عند **حفصة الركونية، اذ تقول:**

[الطويل]

لَعـمـرُكَ مـا سُـرَّ الرَّيـاضُ بِـوصلِنَا ولكِـــنَّه أَبـــدَى لَنـــا الغِـــلَّ والحَسَد

وَلا صـــفَّقَ النَّهرُ اِرتيـاحـاً لِقُربِنـا وَلا غَـــرَّد القُـــمـــريُّ إلّا لِمَـــا وَجَد

فَتُـــــحسِـــنِ الظَّنّ الذَّي أنتَ أهلُهُ فَـــمَـــا هُوَ في كُلِّ المواطنِ بالرَّشَـد

فَمَـا خِلـتُ هـذا الأفقَ أبـدَى نُجومـهُ لأمـرٍ سـوَى كَـيـمَا يَكونَ لَنا رصَد [٢]

ابتدأت الشاعرة ابياتها بلفظة " لعمرك" قسم بعمر من تحب تحاول اثبات ان الرياض هذا الذي نحن كنا نجلس به لم يكنْ فرحا بلقائنا وانما ابدى الغيرة والحسد منهما والطبيعة هنا سلبية لم تشاركهما فرحة اللقاء [٣]، **إذ تقول:**

لعمركَ ما سرّ الرياض بوصلنا ولكنّه أَبدى لنا الغلّ والحسَد

وهنا الشاعرة ارادت اقتران مواقف في الطبيعة تزامنت مع تواجدهم حيث اسقطت مشاعرها الخفية تجاه الطبيعة التي قد تكون ذات مناخ سيء حال التقائها بحبيبها مدعية بان الطبيعة لم تفرح ببقائهم، فاستعملت الية الاسقاط النفسي "وهي اليه من اليات الدفاع النفسي اللاشعورية تتمثل في نزعة الفرد بإلصاق العيوب والنقائض والرغبات المستهجنة الى شخص او الى أشياء او ظروف خارجية" [٤]، كما انها عملية لوم على الأشياء او الأشخاص على فشل يصيب الفرد اثناء حاله معينة.

ثم انتقلت للبيت الثالث مستعملة الانا باعتبار حبيبها هو فقط الذي يفترض ان يحسن الظن به عكس الآخرين الذين لا يمكن ان يُحسن الظن بهم، أما في بيتها الأخير رجعت الشاعرة لتعتنق نظرية

---

(١) موسوعة علم النفس :٧٠

(٢) الديوان :٤٢

(٣) ينظر: القيم الجمالية في شعر المرأة الاندلسية :٢٠٤

(٤) ينظر: أسس علم النفس العام :٤٧٨

المؤامرة وهنا اشاره على أنها كانت تعاني من حاله نفسية جردتها من استخدام اماكن الجمال والاستمتاع بها الى حالة مرضية ابعدتها من التلذذ بالطبيعة وما تحمل.

فإذا بالشاعرة تتحاور مع الشاعر بلغة مشتركة تنم عن تذوق متخذا من العناصر الطبيعة أدوات لمشاركتها، فالليل يجود عليه، ويواريه معها، والرياح تهب عليهما عذبة محملة بروائحها الطيبة تشاركهما متعة هذا اللقاء، والقمرى يغرِّد على دوحه، والروض مزدحمة بحركة أشجاره سرورا وسعادة بفرحة هذا اللقاء تساهم معه ،تأخذ الشاعرة هذه الصور ،وتنشد على أساس منها حوارها الذي تتبدى فيه علامات ذكائها ووعيها ،ويظل الحوار الشعرى دلالة واضحة على شعر المرأة في هذا الاتجاه الذي يعد فيه وليد اللحظة والتجربة، بعيدا عن الأناة المتعمدة أو الصنعة المتأنية، فهو تعبير تلقائي عن ذوق الشاعرة فيما هي بصدد نظمه وتصويره في أبياتها [1]، فأبدعت الوصف في حوارها الشعري المليء بالتشاؤم.

اما في قولها:

وَلا صفّق النهرُ اِرتياحاً لقربنا وَلا غرّد القمريّ إلّا لما وجد

نرى في هذه العبارات التشخيص وهو " احياء المواد الحسية الجامدة واكسابها إنسانية الانسان وافعاله" [2] فقد انزاحت العبارة عن معناها الحقيقي فأمتلك النهر صفة التصفيق وهذه صفة من صفات الانسان وليس من صفات النهر فقد تجاوزت الشاعرة العبارة عن الدلالات الاصلية الى دلالات ايحائية أعطت النص بعدا جماليا.

فالغيرة تنشا ضمن مؤثرات ذاتية فتعبر عن الغضب والاستياء في حياة الشواعر الاندلسيات فانبعثت عند الشواعر الاندلسيات كرد فعل فاختلفت من شاعرة لأخرى نجدها عند حفصة الركونية وذلك في غيرتها المرضية على حبيبها فتغار عليه حتى من الطبيعة، وكذلك ارتبطت غيرتها بهاجس التشاؤم والحسد وهذا ينتج عن أسباب نفسية في داخل الشاعرة أدت بها الى هذه الحالة.

---

(1) ينظر: الشعر النسائي في ادبنا القديم :٣٤-٣٥

(2) المصدر نفسه:١٥٦

_الغناء :

الغناء ضرب من الشعر، وهو مصدر له، وما خرج عنه وما يتبعه كالموشحات والمواليا والزجل لا يكون غناء وانما هو ترتيل، ويكون تلحين الاشعار على انواعه، بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة، يوقع كل صوت منها توقيعاً عند قطعه، فيكون نغمة، ثم تؤلف تلك النغمات بعضها الى بعض تستند الى نسب وتوقيعات معروفة قبل سماعها للتناسب الذي يكون بينها. وما من بحر شعر، الا وله لحن يتغنى به، فهو والغناء نظيران، لا يفترقان، فكأنَّ الشعر هو الجسد والغناء هو الروح، ويفرح القلب عندما يكشف سر الوجه أو شلال يتدفق ببطء، وهو ما استفز الانسان من فرح او حزن او حديث [١]، فالغناء أداة للتعبير عن أحاسيس النفس والروح.

فالغناء يعد احد البواعث التي ساعدت على قول الشعر، لم يكن حب الغناء والموسيقى وقفا على الرجال النبلاء، وإنما كان القاسم المشترك بين الناس، فالحكام شأن القواد والصناعين، والشعراء كانوا مفتونين بها صبابة، وبعضهم لم يقف عن حب السماع فقط ،وانما كانوا موسيقيين فعلا، و لم تكن مسألة اعداد الفتيات والجواري لإجادة الغناء والموسيقى متروكة للصدفة ، إنما كانت تربية الفتيات تضم تعليمهن الموسيقى وتدريبهن تطبيقيا العزف على العود والرباب وادوات موسيقية اخرى ،وكانت عادة بعض الاسر القرطبية أن يجعلن الفتيات يغنين بالتناوب في حفلاتهم الخاصة [٢] ،فأنتشر الغناء انتشارا كبيرا حتى عد مظهرا من مظاهر التطور الحضاري.

وقد اثر الغناء في ادب الاندلسيين خاصة في الشعر فقد عادت على ذلك النوع من الشعر _الغزل_ بمزايا طيبة، هذبته ورققته ساعدت الشواعر على التسابق في اختيار الالفاظ العذبة والعبارات السلسة المستساغة كي يسهل تلحينها وغنائها، وعادت بذلك نفسه على ما غني به من غير شعر الغزل كالمدح ووصف القصور والحدائق وغير ذلك مما دعت اليه المعيشة هناك واوحت به الى نفوس الشعراء حياتهم الاجتماعية رغد العيش وجمال البلاد [٣]، عُرِفَتْ كثيرٌ منَ المغنّياتِ في الأندلس ، وأخذت تشكل جزءا كبير من تاريخ المرأة الأندلسية، وظهرت مغنيات من مختلف الجنسيات، وكُنَّ ينشرنَ سِخرهنَّ

---

(١) ينظر :المغنيات في الادب العربي :٥

(٢) ينظر: المرأة في المجتمع الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة : ٦٨

(٣) ينظر: الادب العربي في الاندلس : ٢١٠

وتحريضهن بين عرب الأندلس واثرن القيانُ الأندلسيات في النفوس، بسبب جمال طبيعة البلاد ،وحياة أهلِها مليئة بالتّرفِ، وقد تطوَّر فن الغناء حتى وضعوا عليه فنا من الشعر اطلقوا عليه اسم الموشحات، ونهض فن الغناء في الأندلس وارتقى، خاصة بعد أن احتفلت الأندلس بوصول زرياب إليها، وكانَ احد اعظم المغنين والملحنين البارعين، فتخرّج في مدرستِهِ الزَّريابية كثيرات من الجواري والقيان والنساء[١]، واشتهر من الجواري "قمر" جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب اشبيلية فقد كانت تقول الشعر وتلحنه ثم تغنيه، ومما أثر عنها من ذلك قولها في مدح مولاها [٢] ،**إذ تقول:**

[الكامل]

مَا فِي المغاربِ من كريمٍ يُرتَجى إلا حَليفُ الجودِ إبراهـــيم

إنـي حَلَلتُ لديهِ منزِل نـعمـــةٍ كلُّ المنـازلِ ما عَداهُ دَمـــيمُ [٣]

عند تأمل النص الشعري نجد أن الباعث الذي جعل الشاعرة تحوله من دافع لاشعوري إلى كلمات تسترق بها اذن الممدوح لغرض التقرب ،حيث كان الدافع هو التقرب أولا ومن ثم حاولت ترسل رساله مبطنه مفادها انت الأول بالنسبة الي، فالشاعرة تتميز بذكاء وقدرة على التحدث بلغة عالية إذ ابتدأت ابياتها بنفي واستدراك باستثناء سيدها ابراهيم بن حجاج التي امتدحته بالجود والكرم، ثم تذم جميع المنازل وتستثني منزله الذي تراه منزل نعمة، وهنا اشاره لذكاء الشاعرة وقدرتها على التلاعب بالألفاظ بجزالة في المدح اللائق والمفرط ووضوح الألفاظ وعذوبتها.

استعملت الشاعرة البحر الكامل الذي يعد من البحور الشائعة في الشعر القديم والحديث، فيمتاز بجرس واضح وكذلك الرقة واللين لما فيه من نبرة شجيه مطربة [٤].

كما نلحظ وجود الانتماء" ظاهرة إنسانية فطرية تربط بين مجموعة من الناس المتقاربين والمحددين زماناً ومكاناً بعلاقات تشعرهم بوحدتهم، وبتمايزهم تمايزاً يمنحهم حقوقاً، ويحتّم عليهم واجبات، وهو متطوّر بالإرادة الإنسانية الباحثة عن الأفضل تطوراً ينوّع، ويوسّع، ويربط دوائره بالحذف والإضافة وليس بالإلغاء،

---

(١) ينظر : نساء من الاندلس :٣٤-٣٥

(٢) الادب العربي في الاندلس : ٢٠٧

(٣) الديوان :١٠١

(٤) ينظر: شرح تحفة الخليل في العروض والقافية :١٧٧

ولا بالخلق الجديد" [١] في ابياتها الشعرية فهي تفدي نفسها لأجل إرضاء سيدها، ونلحظ ذلك من خلال توظيفها أسلوب التوكيد (إني–كل) فهي تؤكد على انتمائها من خلال الانسجام والتكامل مع الاخر.

وكذلك "**العجفاء**" من الجواري الوافدات من المشرق فقد كانت تتقن الغناء والشعر الوجداني انمازت بالصوت العذب الذي يهز المشاعر ويخاطب العاطفة فغنت قائلة:

[مخلع الكامل]

بيـــدِ الذي شَغَف الفؤاد بِكـــــم فرجُ الــذي ألقـــــى مِــنَ الهـــــم

هـــــمُ من أجلك ليــس يكشفــه إلا مليـــــك جـائـــــر الحـكـــــم

فاستيقـــــني أن قد كلفت بكـــــم ثم افعلي ما شئـــــت عــن علـــــم

قـــــــد كان صرم في الممات لنا فعجلـــت قبــل المــوت بـالــصــرم [٢]

تداخل الدوافع والبواعث في ابيات الشاعرة أعلاه حيث كان مرحلة الوله هو عبارة عن دوافع نفسيه تكمن تحت حاجتها للراحة من هم العشق (وممكن ان يندرج ضمن الحاجة للطمأنينة) والدافع هنا أي الحاجة للطمأنينة ما هو الا بحث الشاعرة عن الصحة النفسية كونها تعاني من فقدان الامن النفسي فالإخلال به يُعد من مظاهر اللاسواء؛ وذلك إنّ الحاجه للأمان النفسي من اهم الحاجات الفسيولوجية لدى الفرد المتصف بالسواء، فإحباطها يثير في النفس القلق ويؤدي إلى كثير من اضطرابات الشخصية، فيشعر الانسان بالأمن متى ما كان مطمئنا [٣]، أما الباعث الخارجي الذي جعلها تقول تلك الابيات هو الهم والهجر الذي استدعاها لتحريك الحافز الداخلي فعبرت عن مكنوناتها الداخلية .

تعود العجفاء إلى ذكر الحبيب كأنه قد رد عليها في هذه الابيات؛ وذلك للتكتم عليها فالاسم الموصول "الذي" ويريد به الخالق "سبحانه وتعالى" واللفظ " بكم" يريد به الحبيبة، اي ان الخالق الذي جعلني مشغوفا بكم بيده تفريج الهم، اذ يجعل اللقاء يسيراً، وان تتيقن ان هذا الحبيب قد كلف بها، وأن الهجر موت قبل الموت ولتفعل ما تشاء فقالت هذه الابيات [٤].

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي :١٤

(٢) الديوان :٨٩

(٣) ينظر: أصول علم النفس :١١٢

(٤) صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية :٣٠

كما نلاحظ الإيقاع في تكرار حرف الميم وكذلك تكرار لفظة "صرم "فقد أحدث تنغيما موسيقيا في ابياتها للتعبير عن حزنها، فقد كان كولردج قد أرجع الإيقاع إلى عاملين نفسيين، أولهما: يقوم على التوقع الناشئ عن تكرار وحدة موسيقية معينة، وثانيهما يقوم على المفاجأة أو خيبة الظن التي تنشأ عن النغمة غير المتوقعة والتي تولد الدهشة لدى المتلقي، وهذا ما أشار إليه ريتشارد حين جعل آثار الإيقاع ينبع من توقعنا، وعادة يكون هذا التوقع لا شعورياً [١]، فبالإيقاع تكتمل جماليات النص الشعري.

وننتقل الى عتبة جارية الاميرة ولادة بنت المستكفي سوداء بديعة الغناء طلب ابن زيدون منها بعد ان سمع غنائها الإعادة بغير علم ولادة فكانت سبب في خلافهم فغنت قائلة:

[الطويل]

أحبَّتنا أني بَلغتُ مؤملَيَ وَساعَدَني دَهري وَواصلني حُبي

وجاء يُهَيِّنِني البَشيرُ بِوصلِهِ فَأعطيتُه نَفسي وَزِدتُ له قَلبي [٢]

الابيات أعلاه كانت رسالة ضمنية تعلن مفازة عتبة جارية الأميرة ولادة امام الجميع فكان الدافع النفسي لتلك الابيات هو الكبت الذي كانت تعاني منه حيال عملها مع ولادة بنت المستكفي وحال حصولها على من تحب وفوزها بالحبيب كانت تلك الشعلة للباعث النفسي الذي جعلها ترسل رسالتها الضمنية المشحونة بالتحدي والانتصار والاعلان عما يجول بخاطرها وجعل الشعور هو الناطق عن اللاشعور الذي كان ينطوي بطيات الكبت النفسي.

الشاعرة استدعت التناص في ابياتها الشعرية فقد تناصت من القرآن الكريم قوله تعالى: **[فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ]** [٣] ،فتضمنت لغة الشاعرة رؤياها الفكرية والفلسفية التي ارادت ان تمنحها عمقها وتشحنها بالدلالات من اجل التأثير في المتلقي ولمعرفتها بتأثير اللغة الدينية في الوعي الجماعي فضلا عما يمكن ان تقوم به من اثراء للنص الشعري [٤]، فأعطت قيمة جمالية للنص الشعري.

---

(١) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي :١٢٩

(٢) الديوان :٨٧

(٣) سورة يوسف :٩٦

(٤) ينظر: التناص في الشعر الحديث – البرغوثي نموذجا– :٢٨

وبهذا فالغناء هو احد البواعث التي أدت بالشواعر الاندلسيات الى قول الشعر واختلفت دوافعهن من شاعرة الى أخرى فنجده عند عتبة كان الدافع هو الكبت النفسي الذي تعاني منه، أما العجفاء فكان بدافع الحاجة الى الطمأنينة كونها تعاني من فقدان الامن، فكان هذا الباعث متنفس اليهن يعبرن من خلاله عمّا يجول بخاطرهن من مشاعر واحاسيس.

الخـــاتمة

وقد خلصت هذه الدراسة (بواعث الشعر في شعر الشواعر الاندلسيات دراسة في الموضوع والفن) الى مجموعة من النتائج اهمها:

- الشعر كان انعكاسا حقيقيا لنفسيات الشواعر، فهو يحمل فضاءً واسعا من البواعث الخارجية والذاتية التي قادت الشاعرات للبوح بتلك الابيات.
- إن البيئة في الأندلس التي كانت تحمل جمالها وانفتاحها واختلاط النساء مع الرجال في مجالس الانس والغناء والتحضر دفع كثيراً من الشواعر إلى قول الشعر الفاحش البذيء.
- في الأعم الاغلب نلمح حالة الاغتراب النفسي عند الذات الشاعرة التي اتضح جليا في البعض من مقطوعاتها الشعرية إذ تعيش الغربة النفسية في شيخوختها وحنينها إلى حياتها الأولى زمن الصبا والشباب فضلا عن الاغتراب من الغربة المكانية التي تتجلى في الشعور بالغربة والحنين إلى الوطن والاهل فهي في مكان غربتها ترتبط نفسيتها بالمكان الأول وجدانيا، عودتها إلى ذكريات ذلك المكان وحنينها اليه واستدعائها لصور الماضي ينتشلها من الواقع الكئيب ويخرجها من دائرة اغترابها وهذا ما يسمى بعلم النفس النكوص الية دفاعية نفسية محاولة الرجوع لمرحله عمرية سابقة الذي اتضح في اغلب مفردات الشعر لدى الشواعر.
- إنّ جمال الروح ورقة المشاعر دفعت الشواعر للتأثر بالبواعث الخارجية المتمثلة بغزل الطبيعة فجمال البيئة الأندلسية كان باعثا مؤثرا في ابداع الشاعرة فينمي الدافع النفسي للشاعرة للتعبير عما يختلج في ذاتها فتوظف من الطبيعة دلالات وايحاءات تتخذها رمزا لأحاسيسها وانفعالاتها الداخلية فاستندت على جمال الطبيعة في غزلها بالحبيب، وكذلك في الفخر نجد ان بعض الشواعر استندت على الطبيعة اذ اتخذت من اللبوة وظباء مكة والشمس رمزا للتعالي والتفاخر بالنفس.
- الغزل كان أكثر بواعث الشعر حضورا لدى شواعر الاندلس؛ وذلك لارتباطه بالطبيعة الإنسانية، فتكشف عن مكنونات نفسها وما يجول فيها من مشاعر واحاسيس مشاعرها الملتهبة وانفعالاتها ففيه اتجاهان الغزل العفيف جاء مليء بالمعاني الوجدانية الذاتية إذ يرتبط بالشكوى وما تشعر به من الحزن والألم جراء الهجر وفراق الحبيب، والوفاء لزوجها

وحبها له ،والغيرة عليه من كل شيء، ومشاعر الفرح بقرب لقائها مع الحبيب، والغزل الفاحش اتسم بالجرأة في التعبير من خلال التصريح بالحب والشوق اليه وطلب الخلوة، الدافع لهذا هو الحياة اللاهية التي كانت تعيشها الشاعرة فأغلب الغزل الماجن وجد عند الشواعر ذات الطبقة العليا .

- إنَّ الذات لدى بعض الشواعر كانت تحاول رفض الذكورية في المجتمع فشكل باعثا للشاعرة ارادت من خلاله تفريغ الكبت الذي في داخلها فلجأت الى هجاء الاخر.
- الحزن والخوف كانا واضحان في اغلب المقطوعات الشعرية الذي اتضح بصورة الليل فقد كان باعثا كشف عما تضمره الذات الشاعرة في مكنوناتها الداخلية من انفعالات متناغما مع الصور الملائمة لتجربتها، لذا كان يثير في النفس معاني ومشاعر تحوي على السوداوية.
- تضخم الذات عند الشواعر في اغلب مفردات ابياتها الشعرية وتشكله بضمير الانا إذ تجعل نفسها ندا لإثبات وجودها من جانب أو التمرد من جانب آخر بسبب الحرية التي تتمتع بها في مجتمعها فالانا تدعم الذات بالتعالي فهي حالة عصابية مرضية تتجمع في تشكيلة من ثلاث شخصيات النرجسية والتسلطية والاحتوائية وكل هذا كان واضحا عند شواعر الاندلس.
- تفرد المديح ليكون من اهم البواعث الاجتماعية عند الشواعر الاندلسيات اذ طلب الحاجة أو طلب الاحسان او الشكر هو ما جعله باعثا مدويا لتأجيج الانفعالات التي تجعلها تمدح، فهو كالصراع حول الممدوح لمدحه، فالمديح هو ما يسكت حاجتها ونيل استحسان المقابل، ومن خلال المديح السياسي حاولت إيصال صورة بأن للنساء وجود قوي ذو صوت مدوي في المجتمع.
- كان لتداخل الحياة الاجتماعية وتغير الظروف النفسية المزاجية أثر في نفوس الشواعر الاندلسيات تمثلها في صور شعرية على الرغم من اختلاف البواعث التي كان من شأنها تعزيز السلبي او الإيجابي للانفعالات النفسية الداخلية التي دفعتهن للبوح بتلك المقطوعات، لأن الشعر يمثل الوعي الفكري والجمالي والاهتمام بالجوانب الانفعالية فله دور كبير في اثارة الابداع وايصاله إلى الذات المبدعة.

- توظيف الشواعر الحوار مع الحيوان وأنستنه في صور شعرية فشملت أنسنه الطبيعة بشقيها الحية والصامتة لتبث فيها مشاعرها واحاسيسها من خلال خلع الصفات الإنسانية على الموجودات والمدركات سواء كانت حسية أو مجردة وبث الحركة والحيوية فيها فتحاكي واقعا يؤلمها أو شوقا يؤرقها، فترمز الشاعرة الى معان عميقة وغايات نفسية تبوح بها عما تعانيه من آلام واحزان، تجعلها احيانا شريكة لها في افكارها، فهي اداة مهمة لتحفيز الخيال في ذهن المتلقي، جسدت فيها الشاعرة براعتها وقدرتها على الابداع.
- المبالغة في رسم الصور الخيالية إذ تجعل الشاعرة الاندلسية فكرها يسرح ويداعب دوافعها النفسية المخفية فتعبر عمّا يجول في ذهنها بكل دقة وبراعة، فهو عنصر من عناصر الابداع.

هذه النتائج التي توصلت اليها تبقى نتائج نسبية لا ازعم فيها القطع فلعل لذوي المعرفة غير ذلك حسبي أني حاولت وما ادخرت جهداً في ذلك، فأن اصبت فهذا ما اطمح اليه، وإلاّ فأني التمس العذر وجل من لا يخطئ.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي اسلوبي: د. محمد العبد، دار المعارف، ط١، (١٩٨٨م).
- الابداع في الفن: قاسم حسين صالح، دار الرشيد للنشر، د. ط، ١٩٨١م.
- ابداع المرأة رؤية سيكولوجية: محمود قاسم دار المعارف، القاهرة، (د. ط) ،٢٠١١م.
- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري: يوسف حسين بكار، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
- الاتجاه النفسي في نقد الشعر: د. عبد القادر فيدوح، عمان، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت.
- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين ابن الخطيب، تح، محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- اخبار النساء: ابن قيم الجوزية (٦٩١_٧٥١هـ)، تح: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان ،١٩٨٢م.
- الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف: د. يوسف شحدة الكحلوت، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- الأدب الاندلسي: د. سامي يوسف أبو زيد، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة-عمان، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ: د. منجد مصطفى بهجت، دار الكتب للطباعة والنشر، الجمهورية العراقية، (د. ط)، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م.
- الأدب العربي في الأندلس: عبد العزيز محمد عيسى، مطبعة الاستقامة، (د. ط) ، د. ت
- الأدب العربي في ظلال الأندلس ٩٢-٨٩٧هـ: د. عبد الهادي عبد النبي علي أبو علي ،دار الكتب، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث: بطرس البستاني، دار نظير عبود ،(د. ط) ،(د. ت).
- الأدب وفنونه دراسة ونقد: د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٩ ،١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد بن احمد الزمخشري (٥٨٣هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د. ط)،(د.ت) .
- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي: د. ابتسام أحمد حمدان، مراجعة وتدقيق، أحمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- أسس الصحة النفسية: د. عبد العزيز العوضي، مكتبة النهضة المصرية، ط٤ ،١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
- الأسس النفسية للإبداع الأدبي (في القصة القصيرة خاصة): د. شاكر عبد الحميد، د. ط، ١٩٩٢م.
- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، مصطفى سويف، دار المعارف بمصر، (د. ط)، ١٩٥١م.
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- أسس علم النفس: د. عبد الستار إبراهيم، دار المريخ للنشر، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- أسس علم النفس العام، تأليف: د. طلعت منصور وآخرون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- اسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس: د. سهى بعيون، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١ ،١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- أصول علم النفس، د. احمد عزت راجح: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط٧ ،١٩٦٨م.
- أطياف من تاريخ الادب العربي من تاريخ الادب العربي ونصوصه في الاندلس: د. سعيد احمد غراب، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، مصر ،٢٠١١م.
- اعلام النساء (تراجم سبع وستين امرأة اندلسية): أ. د. منجد مصطفى بهجت ،محمد الشوادفي للنشر ،ط١ ،١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

- أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي: احمد محمد الحوفي ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط١ ،١٩٥٨م.
- الاغتراب في الشعر الأموي: د. فاطمة محمد حميد السويدي، مكتبة مدبولي، ط١ ،١٩٩٧م.
- الاغتراب في القصيدة الجاهلية دراسة نصية: محمود سليم هياجنة ، دار الكتاب الثقافي ،الأردن –اربد ،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي: د. صلاح الدين احمد الجماعي، دار زهران، عمان ،ط١ ،١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- الانتماء في الشعر الجاهلي: د. فاروق أحمد اسليم، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د. ط)، ١٩٩٨م.
- الانتماء والاغتراب (دراسة تحليلية): حسن عبد الرازق منصور، الأردن، دار جرش للنشر والتوزيع، ط١، (د. ت).
- الاندلس: ج. س. كولان، تر: إبراهيم خورشيد، د. عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني-دار الكتاب المصري، بيروت، ط١ ،١٩٨٠م.
- أنماط الشخصية اسرار وخفايا: كارل البرت، تر: حسين حمزة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١ ،١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس: للضبي(٥٩٩هـ-١٢٩٣م) ،تح: إبراهيم الانباري ،دار الكتب المصري –القاهرة، دار الكتب اللبناني- بيروت ط١ ،١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- البلاغة العربية المعاني البيان البديع: أ. د. حسنى عبد الجليل يوسف: ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- البلاغة العربية والتحليل النفسي: د. انور عبد الحميد الموسى، دار النهضة العربية، بيروت –لبنان، ط١ ،١٤٣٤هـ-٢٠١٦م.
- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني): د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤ ،١٤١٧هـ-١٩٩٢م.
- البلاغة وفنونها عند النقاد البلاغيين والاندلسيين (عصر المرابطين والموحدين): شريف علاونة، دار المناهج-الأردن، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م

- البناء الفكري والفني للقصيدة الإسلامية في الشعر العراقي الحديث: د. ماهر دلي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق-بغداد، (د. ط)، (د. ت).
- البيوع المحرمة والمنهي عنها دراسة فقهية مقارنة: د. عبد الناصر بن خضر ميلاد، دار الهدى النبوي مصر، (د. ط)، (د. ت).
- تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٦٩م.
- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: د. عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق، ط٧ ،١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، مؤسسة هنداوي ،٢٠١٧، (د.ط)، (د.ت).
- تاريخ النقد الادبي في الاندلس: د. محمد رضوان الداية، دار الانوار ، بيروت-لبنان ،ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- التجديد في الأدب الأندلسي: د. باقر سماكة، مطبعة الإيمان، بغداد، ط١، ١٩٧١م.
- التجنيس وبلاغة الصورة، فخري صالح، دار ورد الأردنية، عمان-الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.
- تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص): د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي ،ط٣ ،يوليو ١٩٩٢م.
- التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية: د. عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع-القاهرة، (د. ط) ،٢٠٠٠م
- التكرار في شعر محمود درويش: فهد ناصر عاشور، المؤسسة العامة للدراسات، بيروت، ط١ ،٢٠٠٤م.
- التناص في الشعر الحديث – البرغوثي نموذجاً: حصة عبد الله سعيد البادي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع-عمان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام: د. ليلى نعيم الخفاجي ،دار الكتب والوثائق ببغداد،ط١، ٢٠١٣م.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس: احمد ابن القاضي المكناسى(٩٦٠-١٠٢٥)، دار المنصور-الرباط، ١٩٧٣م.

- جماليات الأسلوب في الشعر الجاهلي مقاربة نقدية بلاغية في ابداع شعراء المدرسة الأوسية: د. عبد الكريم علي الرحيوي ،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع–عمان، ط١، ١٤٣٥هـ–٢٠١٤م.
- جماليات الأنا في الخطاب الشعري "دراسة في شعر بشار بن برد": د. إبراهيم احمد ملحم، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط١ ،٢٠٠٤م.
- الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر: د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١ ،٢٠٠٨م.
- الحزن الخبيث تشريح الاكتئاب: لويس ولبرت، تر: عبلة عودة، مراجعة: د. احمد خريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والسياحة–أبو ظبي، (د.ط) ،٢٠١٤م.
- الحنين والغربة في الشعر العربي: الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري، دار مجدلاوي–عمان، ط١، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٨م.
- حياتي والتحليل النفسي: سيجموند فرويد، تر: مصطفى زيور–عبد المنعم المليحي، دار المعارف، (د .ط) ،١٩٩٤م.
- الحياة والموت في الشعر الجاهلي: د. مصطفى عبد اللطيف جياووك ،دار الحرية للطباعة ،بغداد، ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م.
- الحيوان في الأدب العربي: شاكر هادي شكر، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ط١،١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.
- الحيوان في الشعر الجاهلي :أ. د حسين جمعة ،دار مؤسسة رسلان ،سوريا –دمشق ،٢٠١٠م.
- الدافعية للإنجاز: د. عبد اللطيف محمد خليفة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،٢٠٠٠م.
- دراسات في الادب العربي: د. شاكر هادي التميمي، المكتبة الوطنية، ط٢ ،٢٠٠٨م.
- دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي محطات أندلسية: محمد حسن قجه، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط١ ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.
- دراسات في علم النفس الادبي، حامد عبد القادر، لجنة البيان العربي–القاهرة، (د.ط٩)، ١٣٦٧هـ–١٩٤٩م.
- دراسات في القصة العربية الحديثة، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، الإسكندرية، (د.ت).

- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٧م.
- دفاع عن البلاغة، احمد حسن الزيات، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م.
- ديوان الأعشى الكبير: تح، محمود الرضواني، وزارة الثقافة، قطر، ط١، ٢٠١٠م.
- ديوان ابن خفاجة: تح، عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
- ديوان ابن رشيق: جمعه، د. عبد الرحمن ماغي، دار الثقافة، بيروت –لبنان،١٢٠٩هـ–١٩٨٩م.
- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م، (د. ط).
- ديوان شواعر الأندلس: جمع وتحقيق: أ. م. د. واقدة يوسف كريم، دار ومكتبة سامراء للنشر والتوزيع، ط١ ،٢٠٢٠م.
- الذات والآخر في الشعر الأندلسي: د. منتصر نبيه صديق، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١ ،١٤٤٢هـ–٢٠٢١.
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة: ابي الحسن علي بن بسام الشنتري (٥٤٢) ،تح: د. احسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت–لبنان ،١٤١٧هـ–١٩٩٧م (د.ط).
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧هـ–٥٣٨هـ)، تح: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- الروض المعطار في خبر الاقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري، تح: د. احسان عباس ،مكتبة لبنان ،بيروت ،ط٢ ،١٩٨٤م.
- الرومانتيكية: د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،(د.ت).
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: د. عبد الإله الصائغ، عصمى للنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- السمات الاسلوبية في الخطاب الشعري: د. محمد بن يحيى، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١ ،١٤٣٢هـ–٢٠١١م.
- سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب: يوسف ميخائيل أسعد، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، ١٩٨٦م.

- سيكولوجية الشخصية: محدداتها، قياسها، نظرياتها: د. سيد محمد غنيم، دار النهضة، القاهرة، (د.ط)، ١٩٧٢م.
- الشخصية في ضوء علم النفس: محمد محمود عبد الجبار الجبوري، دار المكتبة، بغداد، (د.ط)، ١٩٩٠م.
- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: جمعه ووقف على طبعه: بشير يموت، المكتبة الأهلية في بيروت ط١، ١٣٢٥هـ-١٩٣٤م.
- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبد الحميد الراضي، كلية الآداب -جامعة بغداد، ط٢ ،١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: صفي الدين الحلي، تح، د.نسيب نشاوي، دار صادر-بيروت، ط٢، ١٤١٢-١٩٩٢م.
- الشعر الأندلسي، اميليو غرسيه غوميس عربه عن الاسبانية: حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،ط١ ،١٩٥٢م.
- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف وأثر الثقافة المشرقية في ترسيخ مذهب الأوائل فيه، معين خليف القرالة، دار الفاروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن ،١٤٢٨هـ-٢٠١٧م.
- شعر المخضرمات في الجاهلية والإسلام: د. نضال أحمد باقر الزبيدي، المجمع العلمي، (د.ط)، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- شعر النازحين من الأندلس إلى مصر والشام في القرن السابع الهجري بين التأثر والتأثير: د. آمنة البدوي، الأهلية للنشر والتوزيع المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، ٢٠٠٩م.
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: د. محمد مجيد السعيد، دار الراية، (د. ط) ،١٩٨٥م.
- الشعر النسائي في نقدنا القديم: د. مي يوسف خليف، كلية الآداب-جامعة القاهرة، مكتبة غريب، (د. ط)، (د. ت).
- الشعر النسوي في الأندلس: محمد المنتصر الريسوني، قدم له العلامة عبد الله كنون، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، (د. ط) ،١٩٧٨م.
- الشعر والشعراء، تح، احمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، (د.ت).

- الشكوى من العلة في ادب الاندلسيين: عبد الله بن علي بن ثقفان ،مكتبة التوبة ،الرياض–السعودية ،ط١ ،١٤١٧هـ–١٩٩٦م.
- الصحة النفسية والتوافق: أ. د. سهير كامل احمد، مركز الإسكندرية للكتاب، (د.ت).
- صفة جزيرة الاندلس: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط٢ ،١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.
- صورة الرجل في شعر المرأة الاندلسية دراسة تحليلية، أ. د. احمد حاجم الربيعي، دار غيداء للنشر والتوزيع–عمان، (د.ط)، ٢٠١٣م.
- الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام: د. صاحب خليل إبراهيم، اتحاد الكتاب العرب، (د. ط)،٢٠٠٠م.
- صورة المرأة في الشعر الأندلسي: د. سليمان القرشي، دار التوحيدي، ط١، ٢٠١٥م.
- طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي (ت٣٢٣هـ)، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، السعودية، (د. ط) ،١٩٨٠م.
- علم الاجتماع الادبي(منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد)، د. أنور عبد الحميد الموسى، دار النهضة العربية، (د. ط) ،(د.ت).
- علم اجتماع الادب، عبد الله العرفج، كتاب المجلة العربية(٢٨٣) –الرياض، ١٤٤١هـ.
- علم النفس التحليلي: ك. غ. يونغ، تر: نهاد خياطة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية –سوريا، ط٢ ،١٩٩٧م.
- علم نفس الشخصية: د. حلمي المليجي، دار النهضة العربية، بيروت –لبنان، ط١ ،١٤٢١هـ–٢٠٠١م.
- علم نفس الشخصية: الشيخ كامل محمد عويضة، مراجعة: أ. د. محمد حبيب البيومي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.
- علم النفس العام: د. صالح حسين الداهري، أ. د. وهيب مجيد الكبيسي دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، (د.ت).
- علم النفس في حياتنا اليومية: كينيث.ت. سترونجمان، تر: معتز سيد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١ ،٢٠١٥م.
- علم نفس النمو: حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، دار قباء للطباعة والنشر، (د.ط)، (د. ت).

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (ت: ٤٦٣هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.
- عناصر الإبداع في شعر ابن زيدون: د. فوزي خضر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، (د.ط)، ٢٠٠٤م.
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة: د. علي عشري زايد، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- عيار الشعر :أبو الحسن محمد بن احمد بن إبراهيم طباطبا الحسني العلوي (ت٣٢٢هـ) ،تح :د. عبد العزيز بن ناصر المانع ،دار العلوم للطباعة والنشر ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الغربة في الشعر الجاهلي :عبد الرزاق الخشوم ،منشورات اتحاد الكتاب العرب دار الانوار للطباعة، دمشق ،١٩٨٢.
- غزل ابي نؤاس: د. علي شلق، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٥٤م.
- غزل الشواعر في العصر العباسي أنماطه وخصائصه: مثنى عبدالله جاسم، تقديم: أ. د. منتصر، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن ،ط١، ٢٠١٣م-٢٠١٤م.
- الغزل في الشعر العربي: سراج محمد الدين، دار الراتب الجامعية، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د. ت).
- الغيرة بين التفوق والمنافسة والعداء والأنانية: د. سناء محمد سليمان، كلية التربية- جامعة عين شمس، عالم الكتب، ط١، (د. ت).
- الفخر في الشعر العربي: سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د. ت).
- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة: د. حكمت علي الأوسي، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، (د. ط)، (د. ت).
- فصول في فقه اللغة العربية: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٦ ،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- فضاء النص بين إيقاع الشعر وإيقاع العصر: أ. د. أمل نصير، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، (د.ط) ،٢٠١٤م.
- فقه اشراط الساعة: محمد بن احمد بن إسماعيل المقدم، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط٦ ،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م
- فن الجناس بلاغة. ادب .نقد :علي الجندي ،دار الفكر العربي ،(د .ط) ،(د.ت).

- فن الفخر وتطوره في الأدب العربي: إيليا حاوي، منشورات دار الشرق الجديد، ط١ ،١٩٦٠م.
- فن المديح وتطوره في الشعر العربي، احمد أبو حاقة، دار الشروق الجديد، بيروت، (د.ط)، ١٩٦٢م.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي: د. شوقي ضيف، دار المعارف ،مصر،ط١١، ١٩٨٧م.
- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: د. مصطفى الشكعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م).
- في الأدب الأندلسي: د. جودت الركابي، دار المعارف بمصر، ط٢ ،١٩٦٦م.
- في الأدب الأندلسي: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر والمعارف، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- في الشعر الأندلسي: عدنان صالح مصطفى، دار الثقافة، قطر الدوحة، ط١ ،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- القصيدة الأندلسية في عصر الطوائف دراسة فنية: ياسر رشيد البياتي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط١ ،١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- القيم الجمالية في شعر المرأة الأندلسية: أ. د. أحمد حاجم الربيعي، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١ ،١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر ،بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري: د. أحمد مداس، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،الاردن ،ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م
- لغة الشعر الأندلسي في عصر الخلافة: د. صادق حسين كنيح، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق-بغداد ،ط١ ،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- لغة الشعر العراقي العاصر: عمران خضير حميد الكبيسي، وكالة المطبوعات، الكويت ،ط١ ،١٩٨٢م.
- اللغة والبلاغة: عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،١٩٨٣م.
- محاضرات في تاريخ الأدب الأندلسي: د. محمد حامد شريف، دار الكتب المصرية، ط١ ،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

- مدارس النقد الأدبي الحديث: د. محمد عبد المنعم خفاجي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١ ،١٤١٦هـ-١٩٥٥م.
- مدخل إلى تحليل النص الأدبي: عبد القادر أبو شريفة –حسين لافي قزف، دار الفكر، المملكة الأردنية-عمان، ط٤، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
- مدخل الى علم النفس: د. علي فالح الهنداوي، د. عماد عبد الرحيم الزغلول، مراجعة، د. ماهر أبو هلال، د. فدوى المغيربي، دار الكتاب الجامعي، ط٨، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- مدخل الى علم النفس: ليندا دافيدوف، ت: سيد طواب، محمود عمر، نجيب خزام , مراجعة: فؤاد أبو حطب ,الدار الدولية للنشر والتوزيع ,ط٣ ,١٩٩٢م.
- المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد(نموذجاً): زين الدين المختاري، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، (د. ط),١٩٩٨م.
- المديح في الشعر العربي: سراج الدين محمد ,دار الكتب الجامعية ,بيروت-لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- المرأة الاندلسية مرآة حضارة شعت لحظة وتشظت: أ. د. دلال عباس، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, ط١، ٢٠١٩م.
- المرأة العربية في جاهليتها واسلامها: عبد الله عفيفي، مكتبة الثقافة-المدينة المنورة، ط٢، ١٣٥٠هـ-١٩٣٣م.
- المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: محمد جميل بهيم، دار النشر للجامعيين، (د. ط)، (د، ت).
- المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف (من سنة ٤٠٠-٤٨٤هـ): د. سلمى سليمان علي، مكتبة الثقافة الدينية ,القاهرة ,ط١، ٢٠١٤م.
- المرأة في المجتمع الاندلسي من الفتح الاندلسي حتى سقوط قرطبة: د. راوية عبد الحميد شافع ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١ ،٢٠٠٦م.
- مراجع الشخصية دراسة في التحليل النفسي: فرويد وآخرون، تر: وجيه اسعد ,منشورات وزارة الثقافة ,دمشق ،(د.ط) ,٢٠٠٢م.
- المرجع في علم نفس الإبداع : روبرت ج.ستيرنبرج : تر: محمد نجيب الصبوة وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة , ط١, ٢٠٠٥م.
- مشكلة الحياة: د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، (د. ط)، (د. ت).

- معجم الأديبات الشواعر: السيد جمال الدين محمد الحسن بن السمان الحموي الحسيني المكنى بأبي العزم عفى الله عنه آمين، تح: أحمد يوسف الدقاق ،دار الثقافة العربية- دمشق،ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- المعجم الأدبي، د. نواف نصار، دار ورد للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.
- معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة، دار المنارة للنشر والتوزيع جدة ,دار الرفاعي للنشر والتوزيع الرياض,ط٣, ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- معجم الحضارة الأندلسية: يوسف عبد ,يوسف فرحات، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- معجم علم النفس والتحليل النفسي: د. فرج عبد القادر طه وآخرون، بيروت ,دار النهضة العربية للطباعة والنشر,ط١،(د. ت).
- معجم علم النفس والتربية: د. فؤاد أبو حطب –د. محمد سيف الدين فهمي الخيران بالمجمع, الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، د. ط ,١٩٨٣م.
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية: د. جميل صلبيا ,دار الكتاب اللبناني، بيروت, ١٩٨٢م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة: أ. د. احمد مختار عمر ،عالم الكتب ،القاهرة ،ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مجدي وهبة كامل المهندس، مكتبة لبنان-بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام: عبد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ,ط١ ,١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- المغرب في حلى المغرب: لابن سعيد المغربي ،تح :د. شوقي ضيف ،دار المعارف ، القاهرة ،ط٤ ،(د. ت).
- المغنيات في الأدب العربي، عيسى ميخائيل سابا ,بيروت ,دار الثقافة، (د.ط) ,١٩٥٤م.
- مقولات بلاغية في تحليل الشعر: محمد مشبال، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ,ط١ ,١٩٩٣م.
- المكان في الشعر الأندلسي من عصر الطوائف حتى نهاية الحكم العربي: محمد عويد الطربولي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط١ ,١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

- المكان في الشعر الأندلسي (من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢هـ -٤٢٢هـ): د. محمد عبيد السبهاني، دار غيداء للنشر والتوزيع ,ط١ ,١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- ملامح الشعر الاندلسي: د. عمر الدقاق ,دار الشرق ، بيروت، (د.ط),١٩٧٥م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبي الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب ابن الخوخة ،دار الغرب الإسلامي-بيروت،ط٤ ,٢٠٠٧م.
- موسوعة علم النفس: د. اسعد رزوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ,بيروت, ط٣, ١٩٨٧م.
- موسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس ،مكتبة الانجلو المصرية ,ط٢ ,١٩٥٢م.
- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده: محمد خلف الله، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.
- الموقف النفسي عند شعراء المعلقات: د. مي يوسف خليف ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،(د. ط) ،(د. ت).
- النابغة الذبياني شاعر المدح والاعتذار :د. علي نجيب عطوي ،دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ،ط١ ،١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- نزهة الجلساء في اشعار النساء :للامام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ،تح :عبد اللطيف عاشور ،مكتبة القرآن للطبع والنشر ،القاهرة ،
- نساء شاعرات ديوان الحسان دراسات في شعر المرأة العربية: محمد عبد الواحد حجازي، مكتبة جزيرة الورد ,القاهرة ,ط١ ,٢٠١١م.
- نساء من الأندلس: أحمد خليل جمعة: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ,دمشق - بيروت ,ط١ ,١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- نظريات الشخصية: عادل محمد هريدي. ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢, ٢٠١١م.
- نظريات الشخصية : ك. هول .و ج لندزى : تر :د. فرج احمد فرج -قدري محمود حفنى-لطفى محمد فطيم ،مر: لويس كامل مليكة ،الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر ،١٩٧١م.
- نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية) نظريات تأسيسية ومفاهيم ومصطلحات: د. مصطفى الجوزو، دار الطليعة -بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي: لزهر مساعديه، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ,الجزائر , ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: الشيخ أحمد بن المقري التلمساني ،تح: د. احسان عباس, دار صادر بيروت –لبنان،د.ط،١٩٨٨م.
- النقد الأدبي أصوله ومناهجه: سيد قطب، دار الشروق ,ط٨ ,١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
- النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم: محي الدين صبحي ,الدار العربية للكتاب،(د.ط)،١٩٨٨م.
- نقد الشعر في المنظور النفسي: ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، ط١، ١٠٨٩م.
- النقوش الشعرية الأندلسية في قصور الحمراء بغرناطة الإسبانية، توثيق ودراسة: د. مرتضى كمال حريجة، الجامعة المستنصرية، دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٩١٦) لسنة ٢٠١٧م، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- الهجاء في الأدب الأندلسي: د. فوزي عيسى، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١ ,٢٠٠٧م.
- الهجاء في الشعر العربي الأندلسي: د. نافع عبد الله، مكتبة جامعة بيرزيت، ط١، ١٩٨٤م.
- الهجاء والهجاؤون في الجاهلية: د. م. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، (د.ت).
- الوجودية: جون ماكوري، تر: د. إمام عبد الفتاح إمام ,مراجعة: د. فؤاد زكريا، علم المعرفة، صدرت السلسلة في يناير١٩٧٨م،بإشراف: أحمد مشاري العدواني ١٩٢٣-١٩٩٠م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه : للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ،تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ،علي محمد البجاوي ،عيسى البابي الحلبي وشركاه ،(د.ت).

ثانيا: الرسائل والأطاريح:

- الأنا والآخر في الشعر الأندلسي عصري المرابطين والموحدين: لقاء عبد الزهرة إسماعيل، اشراف: أ. د. شاكر هادي التميمي، جامعة القادسية، كلية الآداب، (أطروحة دكتوراة) ،١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- البواعث النفسية وأثرها في المعنى الشعر الأندلسي(٦٣٥-٨٩٧هـ) عصر بني الأحمر انموذجاً: عبير سليمان عطية عساف الدليمي، اشراف: أ.م. د. بشار خلف عبود العلواني، جامعة الانبار، كلية الآداب، (رسالة ماجستير) ،١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- الحنين في الشعر الأندلسي مقاربة نقدية لنونية ابن زيدون: ليدريسي خيرة، اشراف: د. قادة محمد، جامعة عبد الحميد ابن باديس. مستغانم، كلية الآداب والفنون، (رسالة ماجستير) ،٢٠١٩م.
- الشعر النسوي الأندلسي في القرن الخامس الهجري: سعد بولاقة، اشراف: د. عبد الرؤف مخلوف، جامعة عنابة، معهد اللغة والأدب العربي، (رسالة ماجستير) ،١٤٠٦هـ-١٦٨٦م.
- الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري: جواد رشيد مجيد، اشراف: د. عناد إسماعيل الكبيسي، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، (رسالة ماجستير) ،١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- الشكوى في الشعر العربي في النصف الأول من القرن العشرين: ياسمين اختر، اشراف :د. سيد سيد عبد الرزاق ,الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام اباد ,كلية اللغة العربية ،(أطروحة دكتوراة) ,٢٠٠٤م-٢٠١٠م .
- الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني(٢٣٢-٣٣٤هـ): محمد عبد المنعم محمد قباجة، اشراف: د. عبد المنعم حافظ الرجبي، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، (رسالة ماجستير) ،١٩٩٨م،
- المنهج النفسي عند النقاد المصريين المعاصرين: بسام موسى عبد الرحمن قطوس، اشراف: أ. د. محمود السمرة، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، (رسالة ماجستير) ،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- (الوصل والهجر) في شعر المرأة الاندلسية: صباح فارس احمد الجحيشي، اشراف: أ.م. د. مثنى عبد الله محمد علي المتيوتي، جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، (رسالة ماجستير) ،١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

ثالثا: الدوريات والمجلات:

- اسلوب التعجب في العربية رؤية جديدة: باسم يونس البديرات، حوليات آداب عين شمس، مج٤٥، جامعة مؤته، الأردن، (د.ع) ،٢٠١٧.
- أصداء الطبيعة في الشعر الأندلسي: محمد عبد السلام إبراهيم صقر، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، ع١٠ ،١٩٩٠م.
- البنية التضادية في بناء الدلالة الواقعية عند الشاعرة بشرى البستاني: جمال العبيد، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، مج١٤، ع٢، ٢٠٢٢م.
- جماليات التشخيص في الشعر الأندلسي: قصيدة الجبل لابن خفاجة نموذجا: بولاقة محمد سيف الإسلام، وزارة الثقافة والاعلام –النادي الادبي الثقافي بجدة، ع١٥،١٦ ،٢٠١٥م.
- جمالية الحوار القصصي في الشعر الجاهلي والأموي: خبرة بوخاري، مجلة القراءة والمعرفة، جامعة عين شمس، كلية التربية الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، ع٢٠٧ ،٢٠١٩م.
- شعر النساء في الأدب الأندلسي قضاياه وظواهره الفنية: د. عبير عبد الصادق محمد، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، مج٢، ع٢٧، الإسكندرية.
- شعرية التضاد في النقد العربي: علي قاسم محمد الخرابشة، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، جامعة ذمار، كلية الآداب، ع١٥، ٢٠٢٢م.
- فن العتاب في شعر ابن الرومي: دراسة موضوعية وفنية: زياد يوسف عبد السادة واخرون، آداب الكوفة، جامعة الكوفة، كلية الآداب، مج١٤، ع٥٢ ،٢٠٢٢م.
- فنية الجناس في شعر عبد الصمد بن المعذل البصري: احمد موفق مهدي، المجلة الدولية أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، جامعة البصرة، مج١، ع٦ ،٢٠٢٠م.
- ملامح الغربة والحنين في منظومة "حنين" للشاعر المجدوب "رشيد أيوب": محمد بولخطوط، جامعة محمد الصديق بن يحيى –جيجل (الجزائر)، مجلة (لغة –كلام)، ع٠٨، جانفي ٢٠١٩م.
- assalam٩٤@gmail.com

Abstract

Andalusian poetry is the poetic art that emanated from Andalusia, so its poets excelled in expressing their inner feelings of psychological emotions, sensations and feelings, so that the political, social and natural factors were psychological motives that worked in arousing the poets' grievances and motivating their emotions to write poetry, especially the poets of the Andalusian era.

This study came to reveal the creativity of Andalusian poets and the motives that prompted them to say poetry, and to discover the creative features in their poetry, and their linguistic ability that distinguishes them from others. And self-expression, so she was the boldest in addressing the topics of poetry and the most capable of venting her feelings in the form of eloquent poetic images in which she described her reality and her life through the honest experiences that she lived in that period.

The study required dealing with the psychological motives of the poets and identifying the most important of these motives that affected the psyche of the poetess and its various connotations through analyzing the poetic models that indicate this, as well as studying the social motives and the poet's relationship with her society through the poetic stanzas, also dealing with the motives of nature through her relationship with the Andalusian environment and describing it. And other motives, and it has been shown that poetry was the result of motives that lie in the same creator that had the greatest impact on the creativity of Andalusian poets.

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Qadisiyah / College of Arts
the department of Arabic language

Poetry motives in the poetry of Andalusian poets

(Study in subject and art)

Message presented by:

Riam Shaker Hadi Hammoud AL-Tamimi

To Council of the College of Arts-University of Qadisiyah
And is part of the master's degree requirements In Arabic Language and Literature

Supervision

ASS.D. Yasser Ali Abdul-Khalidi

1444 A.H 2023 A.D